أجمل وأشهر

رباعيات العرب

إعداد

الشاعر الكبير

فريد إبراهيم

دار الروضة

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ ـــ ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٨ / ٣٢٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

٩٧٨-٩٧٧-٤٥٨-٠٠٢-٤

دار الروضة ـــ للنشر والتوزيع

---

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
محمول : ٠١٢٢٣٦٠٨٩٩٥
ص.ب: ٢٢٢٧ ـ رمز بريدى:١١٥١١
٢٥٩١٢٤٢٤ ـ ٢٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٢٥٩٢٧٣٦٤

المقدمـــــة

قلما يجود علينا الزمان بمثلهم، صلاح جاهين١٩٣٠

و عمر الخيام ١٠٤٤ صاحبا اشهر الأعمال الشعرية انتشارا بين المهتمين بالشعر " الرباعيات"

أهـــم مـــا يميز الرباعيات لكلا منهم هو النزعة التشاؤمية والممزوجة برنة تفاؤل خفـية باهـــتة لا تتـــضح بسهولة مع ثقة مطلقة في حكمة.الأقدار بتلاعب الأحداث بالإنسان ، تأمل الخيام في إحدى رباعيته إذ يقول :

ديوان شعر تحت غصن شجرة
زجاجة من النبيذ،رغيف ، خبز
وأنت إلى جانبي في القفار نغني
آه ، إن القفار وقتئذ تكون جنتنا

بينما تغلبه رنة الحزن والتشاؤم بسرعة فيقول في رباعية أخرى :

كل صباح يأتينا بآلاف الورود،هكذا أنت تقول
ولكني أتسائل،أين ترك الصباح الزهور التي حملها بالأمس
فهذا الشهر الأول من الصيف الذي سيجيئنا بالورود
سيطوي "جمشيد" و "كايكوباد" في مكان بعيد

وجمشيد و كايكوباد هؤلاء ملوك فارسين أسطوريين .

أمـــا بالنـــسبة لـــرباعيات صلاح جاهين فلم يدع نزعته التشاؤمية تفقده روح الدعابة الجبارة التي وهبه الله إياها في معظم رباعياته :

أنا قلبي كان شخشيخة أصبح جرس
جلجلت به صحيو الخدم و الحرس
أنا المهرج قمتم ليه؟ خفتم ليه؟

لا فـ أيدي سيف ولا تحت منى فرس
ثم للشجن يعود و بشدة فيحكي
دخل الربيع يضحك لقاني حزين
نده الربيع على أسمى لم قلت مين
حط الربيع أزهاره جنبي وراح
واش تعمل الأزهار للميتين

قال صلاح جاهين أن شد ما يحزنه انه بعد مماته فإن أكثر ما سيذكره الناس له هي الرباعيات رغم غزارة وتنوع أعماله وهو خاطر أجده غريبا إلى الآن :

ياللي بتبحث عن إله تعبده
بحث الغريب عن أي شيء ينجده
الله جميل،الله عليم، رحمن رحيم
احمل صفاته وأنت راح توجده

أما عمر الخيام فبعد أن جاوز الثامنة والأربعين وجد نفسه وحيدا مهجورا ومطاردا من السلطة الجديدة التي تقاسمها أبناء السلطان السابق، يستعيد في وحدته وجه ياسمين حبيبه عمره، وهي في حمى الموت بعد أن حرمته الظروف منها طويلا ثم التقى بها في حلب يفترسها المرض بعد طلاقها وحملها إلى الشام وتزوجها ولكنها ماتت بعد أسبوع واحد في الطريق إلى نيسابور فدفنها تحت شجرة عتيقة لا يفارق الظل موقعها وعاد فقال :

يخيل إلى أحيانا أن الوردة لا تحوز احمرارها القاني
إلا من تربة رواها دم قيصر دفين
وكل زهرة من الياسمنت في ثوب الحديقة
هبطت في حضنها من رأس محبوب لنا ذات يوم

قال جاهين في لقاء له ذات مرة حين سؤل-:

المقدم: أستاذ صلاح ما الذي دفعك إلى كتابة الرباعيات على الرغم من أن

هناك الرباعيات التي سبقك إليها عمر الخيام ؟

صلاح جاهين: ما هو أنا كنت برخم عليه

المقدم: طيب ما هو أكثر شيء يمكن أن يضحكك في هذه الدنيا ؟

صلاح جاهين: لما ببص في المراية

هكذا كانت شخصية صلاح جاهين ساخرة مرحة و جلادة لذاتها طول الوقت ولا يمكنك أبدا فهم الأعاصير التي تدور داخلها فهما مطلقا وكذلك كانت رباعياته

يا باب أيا مقفول ، إمتى الدخول؟
صبرت ياما و اللي يصبر ينول
دقيت سنين،والرد يرجعلي مين؟
لو كنت عارف مين أنا كنت أقول

أجمل اللحظات اقضيها مع رباعيات عمر الخيام حينما أتناوب قراءتها مع ما نقله العظيم " احمد رامي " للرباعيات بعد أن أتقن دراسة اللغة الفارسية في ترجمته الشعرية للرباعيات و لم أكن أفهم الفرق قبلها بين الترجمة الشعرية والترجمة العادية — الحرفية - قـبلا حتى قرأت رباعيات الخيام لأحمد رامي وقارنتها بالترجمة الحرفية لرباعيات الخيام الأصلية فمثلا كتب الخيام فقال :

انهض الآن، فالشمس التي أطاحت بالنجوم
بعيدا عن حقول الليل
أطاحت بالليل معها عن السماء
واخترقت قلعة السلطان بسهم من الضياء

فترجم " رامي " هذا ترجمة شعرية فقال

سمعت صوتا هاتـفا في السحر نادى من ألحان ، غفاة البشر
هبو املأوا كأس الطلى قبل أن تفعـم كأس العمـر كـف القدر

ولان الـــرباعيات المتـــرجمة ليست متماشية ترتيبا مع الرباعيات المنقولة فلك أن تتخـــيل المـــتعة والإثـــارة عندما ابدأ في مقارنة الرباعية هذه بتلك لأبحث عن الأفكار المشتركة بين الرباعيات حتى أجد الرباعية المترجمة ونظيرتها المنقولة ، وهي تسلية لذيذة وممـــتعة إلي أقـــصى حـــد كما أنها بحث متفرد في حد ذاته بين طيات الأفكار المتنوعة لشعراء عظام .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــــــــة

الشعر الفلسفى قديم قدم الشعر وإذا كان الشعر قد كتب قيل كلون من التأسى واخراج مكنونات النفس فى كلمات لها وقع يعمل صداه فى النفس والقلب سواء أكان هــذا المكـــون فرحا أو حزنا أو شوقاً أو بأساً أو أملا فإننا نستطيع أن نقول إن شعر الـــرباعيات أو الربعات هو تتويج لكل هذا فى رسائل قصيره يرسلها الشاعر إلى مجتمعه وكـــونه وكأنه يقدم وصاياه وشهادته التى لا يسعفه الوقت للإطاله فيها بعد أن اسعفته الحياة والتجارب حتى استطاع ان يقدم الكثير فى القليل .

يختـــصر الزمن والكلام والفكر فى عبارات شعرية تحفظها النفوس قبل العقول ، وقد اشتهر من شعراء العرب اعلام قد قدموا رباعياتهم سواء باللغه الفصحى أو العامية وحفظتها الاجيال لما بها من قدره على التعبير والتوصيل والدخول إلى قلب المتلقى دون إذن أو ممانعة بل ترحيب ومتعه .

وقد تميز صلاح جاهين بالرباعية المفاجأة - إن صح التعبير - حيث تنتهى نهاية فجائية تختلف عن مقدمتها فهى رباعية كأنها مغلقه أو مقفولة أو دائرية وهذه مسميات تؤدى المعنى حول طبيعة الرباعية التى تتناول قضية اجتماعية حقيقية فى لغة عامية رشيقة لذلك ثالث ذيوعا خاصا ساعد عليه عمله بالصحافة وعلاقته بالإذاعة المسموعه وتوفر اصـــوات حملـــت رباعـــياته للناس بالإضافة والاهم هو المرحله التى وجد فيها صلاح جـــاهين وهى مرحلة الاعلاء من تأن البسطاء والمطحونين فى المجتمع وتقديم قضاياهم باعتبارها قضايا المجتمع الحقيقية .

وإذا عرفنا ان جاهين كان يمثل الثورة ولسانها اقوى الناس لتقديمها للجمهور ادركنا سر ذيوع هذا الرباعيات التى توفر لها كل اسباب بالأثار ومن كلماته الجميلة الرقيقة

حاسب على الإحزان حاسب لها
حاسب على رقابيك من جيلها
راح تنتهى ولابد راح تنتهى
مش انتهت احزان من قبلها
عجبى

عمــر الخــيام من الشعراء الذين نالوا موهبة الشعر فى ذروتها وفروا من شظف العــيش وهى السمة التى تغلب على طبيعة الشعراء الذين قد يحرمهم الجرى وراء لقمة العيش من التفرغ للحلم أو الرومانسية العميقة أو احيانا يدفعهم إلى انتاج شعر يتسامى الى قامــه المعانــاه التى يواجهونها فتتحول المحنة الى منحه فى العطاء الشعرى وإن فقد الــشاعر الحياة الناعمه أو راحت البال مثل الشغفرى الشاعر الجاهلى الصعلوك الذى ابدع شعراً من خلال معاناته ونكران اهله له وصارت من عيون شعر العرب وكذلك عمر بن الورد الذى اهدى للانسانيه مشاعر رقيقه عذبه فى عمق رائع .

وفى عــصرنا الحــديث كان الشاعر عبد الحميد الديب وامل الذى عاشا مأساة رهيبة لا يستحقان ان يعيشاها فى مجتمع من المفترض انه يقدر الابداع .

ونعــود إلى شاعرنا الجميل عمر الخيام لنجد ان الحياة الناعمة منحته قدرة على الــتأمل والتفكر فى الحياة والكون والخلق والعدم فناقش ذاته والكون من عزله وطرح اسئلته التى عاده ما توافق كل الذين يعيشون حياة التفكر والتأمل والغريب ان كثيرا من امثاله طرحوا سؤالاً يتكرر وهو سر الوجع ولماذا جيئ الانسان الى الحياة دون إذن منه ولمــاذا يذهب دون إذن منه رغم ان الاسلام قدم حلاً واضحاً لهذه القضية حين قال :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:٥٦) .

وجل معضله أخرى وهى عم مسئوليه الانسان عن رزقه وكأنه مقابل دون إذن مــنحه حــق الــرزق المقدر الذى لا يحتفى بذكاء ولا يحرم نه بجهل أو قلة الحيله وفى

الحديث القدسى لأرزقن من لا حيله له حتى يعجب اصحاب الحيل .

ومع ذلك كان السؤال عن الوجود متكرراً نجده عند ابو العلاء المعرى كما عند الخيام الذين يشتركان فى نقاش فلسفه الأشياء وسرها وكنها وإن كان ابو العلاء المعرى لم يساعده الثراء وانما ساعده الفراغ والعمى .

ومع ذلك فإننا نجد الشاعر رغم ثراءه وكفايته مالياً يعيش شقاء آخر وهو شقاء الفكـــر والتأمل والبحث عن كنه الأشياء بل اننا قد نجد طبيعته تجنح للشعور بالحرمان والحاجـــه وكأنه يخلق لنفسه معاناه لكى يبدع وهو واضح فى شعر الخيام وفى عصرنا الحـــديث نجده فى الشاعر عبد الله الفيصل الذى سمى بالشاعر المحروم رغم ثرائه قدراته المتنوعة اجتماعيه واقتصادياً وغير ذلك لكنه عاش يبحث عن الحب كأنه شاب لا يملك ولا يجد فيحرم من حبيباته ويحرم مما يبحث عنه .

يقول الخيام :

احس فى نفسى دبيب الفناء
ولم احبب فى العيش إلا الشقاء
يا حسرتا إن جان جينى ولم
يتح لفكرى حل لغز الفضاء

ويقول :

تروح ايامى ولا تغتدى
كما تهب الريح فى الفدفد
وما طويت النفس همّا
على يومين امس المنفضى والغد

ويقول :

الدهر لا يعطى ما تأمل
وفى سبيل اليأس مانعمل

ونحن فى الدنيا على همها
يسوقنا حادى الردى المعجل

أمـــا الشاعر القدير بين عروس والذى عاش فى العقد العثمانى وعاشت اشعاره يـــتداولها الناس ويأخذ منها الشعراء افتيا او سرقه أو يقرءونه ليكون زاداً لابداع جديد لما تميز بين شعر أو مربعاته التى تسمت باسمه من حكمه وبلاغة فى الاداء كما انه جبل الامثال الشعبيه قيلة له يصنعها شعراً مثل قوله :

مسكين من يطيح الفأس
ويريد فرق من حديده
ومسكين من يعشه الناس
ويريد من لا يريده

ونمـــاذج كثيرة من الامثله صاغها شعراً بل قال من الحكمه هى طبيعة شعره التى صـــارت بعد ذلك مثلاً يقال وقد نقل عنه شعراء الربابه وغنوا وللأسف قل من يرجع اليه فضل ما يكتب او يقول .

أمـــا الـــرباعيات الفصحى لفريد ابراهيم الصحفى بالجمهورية فى تجليات فقد اتخـــذت منهج السابقين فى تقديم قصيدة طويلة فى اربع ابيات تختصر كثير من الكلام والشرح وإنما تقدم الحكمة موجيزة وقد اعتمدت فى ذلك على ترجمة احاديث رسول الله ﷺ التى تتناول الاخلاق والقيم الفاضله فى لغه سهله وبسيطة يقرأ كل من يستطيع القراءة وتصل إليه ويفهمها وهى لغة صحفية حيث تأثر بمهنيته فى صياغة رباعياته لانها مهـــنه تفرض على العاملين فيها ألا يقدموا إلا كلاما يفهمه كل من يكتبه وهى تختلف عن ابن الخيام .

فى ان الخـــيام قدم وجهة نظر فلسفيه اما هى فقد قدمت القيم الاخلاقيه مجردة دون طرح للاسئلة الازلية إلا فيما تدر من ذلك قوله:

ليس التدين بالكلام

وإنما بالفعل والخلق الكريم
فرسولنا لم يأت إلا كى
يتم مكارم الخلق الحليم
ويعيد للإنسان عزته
ويخرجه من الظلم الاليم
حتى تصير حياتنا قيثاره
للحب والخير العميم

وقد نشرت هذه الرباعيات فى جريدة الجمهورية عام ٢٠٠٣م بشهر رمضان .

أمـــا عبد الرحيم منصور فقد جاءت مربعاته منفرده فى لغتها ومعانيها كأنما نيته العامـــيه و لم يحـــرص على الحكمه فيها قدر حرصه على تناول المفارقات الاجتماعيه والنفسيه فى المجتمع وكأنها مفارقات لا مفر منها ولا نملك إلا التسليم بها .

وهو يختلف عن صلاح جاهين فى صناعة جملة طويلة فى رباعيهع أو ربعة يكتمل فيها معنى يأخذ قارئه ويختلف عن ابن عرس الذى قدم الحكمة مستعينا بالامثال الشعبيه التى لا تخرج من القلب إلا إلى القلب ولا يملك قارئها الا التسليم بها .

ومن كلام عبد الرحيم منصور :

ياما قصص وحكايات
فاتوها ناس للزمان
لها روح مع
لها عين وودن ولسان

وقوله:

الصرخه فى القلب جوع
تخاق ربيع أو خريف
وورده فى صدر الربوع
دمعه فقير على الرغيف

وكتاب أجمل واشهر رباعيات العرب من الاهمية بمكان لانه الرباعية هى خلاصة فكـــر ونهاية تأمل ورحيق فلسفه ولا يقدم عليها شاعر فى بداياته وإنما يلجأ اليها بعد سبع وعطاء طويل يمنحه قدرة على تقديم علاحياته فى رباعيه او مربعه تحمل معانى أكبر بكثير من كلماتها تتضح تجربة وخيرة وعطاء .

لـــذا قد احسنت مكتبة دار الروضة حين جمعتها فى كتاب يضمها ليقدم عقول متنوعة فى مائدة فكرية واحده .

فريد ابراهيم

من رباعيات صلاح جاهين

زحام و أبواق سيارات مزعجـــة
للي يطول له رصيف.. يبقي نجــا
لو كنت جنبي يا حبيبي أنــــــا
مش كنت أشوف إن الحياة مبهجة
عجبي!!

إيديا في جيوبي وقلبي طـــــرب
سارح في غربة بس مش مغترب
و حدي لكين ونسان و ماشي كده
وبابتعد ما اعرف .. أو باقـــترب
عجبي !!

يا ميت ندامه ع القلوب الخـــــلا
لا محبة فيها و لا كراهـــــــه ولا
حتي يا قلبي الحزن ما عادش فيــك
معلهش .. لك يوم برضه راح تتملا
عجبي !!

مرحب ربيع مرحب ربيع مرحبـــــه
يا طفل يا للي ف دمي ناغا وحبـــا
علشان عيونك يا صغنن هويــــــت
حتي ديدان الأرض و الأغربـــــة
عجبي !!!

فتحت شباكي لشمس الصبـــــــاح
ما دخلش منه غيـــــر عويل الريــاح
و فتحت قلبي عشان ابوح بالألـــــــم
ما خرجش منه غير محبه و سمـــــاح
عجبي !!!!

غمست سنك في السواد يا قلـــــــم
عشان ما تكتب شعر يقطر ألـــــــم
مالك جرالك إيه يا مجنون ... و ليـــــه
رسمت ورده وبيت و قلب و علـــــم
عجبي !!!!

انا الذي عمري اشتياق في اشتيـاق
و قطر داخل في محطة الـــــفراق
قصدت نبع السم وشربت ســــم
من كتر شوقي وعشمي في الترياق
عجبي !!!

انا الذي عشت الزمن مضيعــــه
بروح حزينة معفنة مضعضعـــه
زرعتشجرة سنط لاجل انجـــرح
لقتها شعر البنت و مفرعــــــه
عجبي !!

حاسب من الاحزان و حاســــب لـها
حاسب علي رقابيك من حبلـــــــها
راح تنتهي و لابد راح تنتهـــــــي
مش انتهت أحزان من قبلهـــــا؟
عجبي !!!

يأسك و صبرك بين إيديك و انت حر
تيأس ما تيأس الحياه راح تـــــمر
أنا دقت مندا ومندا عجبي لقيـــت
الصبر مر و برضك اليـأس مـــر
عجبي !!

ولدي نصحتك لما صوتي اتنبــــح
ما تخفش من جني و لا من شبـــح
و ان هب فيك عفريت قتيل إسألـــه
ما دافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح
عجبي !!

ولدي إليك بدل البالون ميت بالـــون
انفخ وطرقع فيه علي كل لـــــون
عساك تشوف بعينك مصيرالرجـــال
المنفوخين في السترة و البنطلـــون
عجبي !!!

لو فيه سلام في الأرض وطمان و أمن
لو كان مفيش و لا فقر و لا خوف جبن
لو يملك الانسان مصير كل شـــــــئ
انا كنت اجيب للدنيا ميت ألف ابــــــن
عجبي !!

العشب طاطا للنسايم و نـــــــــــخ
أخضر طري مالهش في الحســـن أخ
عصفور عبيط انا .. غاوي بهجه و غنا
ح انزلهنا.. و انشا لله يهبرني فـــــخ
عجبي !!!

أوصيك يابني بالقمر و الزهــــــــور
أوصيك بليل القاهرة المسحــــــــور
و إن جيت في بالك .. إشتري عقد فل
لأي سمرا.. وقبري إوعك تـــــزور
عجبي !!!!

غمض عينيك و ارقص بخفة و دلع
الدنيا هي الشابة و انت الـــــجدع
تشوف رشاقة خطوتك تعبــــدك
لكن انت لو بصيت لرجليك ....تـقع
عجبي !!!!

ياللي بتبحث عن إله تعـــــبده
بحث الغريق عن أي شئ ينجــده
الله جميل و عليم و رحمن رحــيم
أجمل صفاته .. وانت راح توجده
عجبي !!!

حقرا و فوق كوكب حقير محتقـــر
في الكون تكون دنياكو إيه يا بـــقر
رملايه من صحرا ؟ لكين إيش تقول
و الكون بحاله جوه عقل البشـــر
عجبي !!

لا تجبر الانسان و لا تخـــيره
يكفيه ما فيه من عقل بيحيـــره
اللي النهارده بيطلبه و يشتهـــيه
هو اللي بكره ح يشتهي يغيـــره
عجبي !!

ياللي في حماه الشمس تلقي المــلاذ
و ألف بكره و بكره .. في ضلوعه لاذ
مين أنت ؟ مارد ؟ رب ؟ قال لأ ده بس
انا اللي باروي القمح و اسقي الفـولاذ
عجبي !!!

غسل المسيح قدمك يا حافي القـدم
طوبي لمن كانوا عشانك خـــــدم
صنعت لك نعليك أنا يا أخــــــي
مستني إيه .. ما تقوم تدوس العدم
عجبي !!!!

البط شال عدي الجبال و البحـــور
ياما نفسي اهج .. احج ويا الطـيور
أوصيك يا ربي لما اموت .. و النبي
ما تودنيش الجنه .. للجنه ســـور
عجبي !!!!

طال انتظاري للربيع يرجـــــــع
و الجو يدفا و الزهور تطلـــــع
عاد الربيع عرمرم شبـــــــاب
إيه اللي خلاني ابتديت افـــزع ؟
عجبي !!!

و لو اتضنيت و فنيت وعمري انفرط
مش عاوز الجأ للحلول الوســـط
و كمان شطط و جنون مانيش عـاوز
يا مين يقول لي الصح فين والغلــط
عجبي !!

خوض معركتها زي جدك ما خـــاض
صالب و قالب شفتك بامتـــــــــعاض
هي كده...ما تنولش منها الأمـــــل
غير بعض صد ورد ووجاع مخاض
عجبي !!!!

كام اشتغلت يا نيل في نحت الصخور
مليون بئونه و الف مليون هاـتور
يا نيل أنا ابن حلال و من خلفتـــــك
و ليه صعيبه علي بس الأمـــــور
عجبي !!!!

منين أجيبها كلمه متألمــــــــــــة
لعيبه فايره حايره و مصممـــــــه
منين اجيبها كلمه تكون بنــت ارض
تشفي اللي ما شافهوش كلام السما
عجبي !!!

أنا قلت كلمة و كان لها معنييـــــن
كما بطن واحده و توأمين زي وشين
لو دنيا شر.. التوأم الخير يمـــوت
لو دنيا خير .. الشر ح يعيش مـنين
عجبي !!

أنا اللي بالأمر المحال !غتـــــــــوي
شفت القمر نطيت لفوق في الهـــوا
طلته ما طلتوش إيه انا يهمنــــــــي
و ليه .. ما دام بالنشوة قلبي ارتوي
عجبي !!

بره القزاز كان غيم و أمطار و بــــــرق
ما يهمنيش ـ أنا قلت ـ و لا عندي فرق
غيرت رأيي بعد ساعة زمــــــــــان
و كنت في الشارع .. و في الجزمة خرق
عجبي !!!

عيني رأت مولود علي كتف أمــــــــه
يصرخ تهنن فيه يصرخ تضـــــــمه
يصرخ تقول يا بني ما تنطق كـــــلام
ده اللي ما يتكلمش يكتر همــــــــه
عجبي !!!!

يا عندليب ما تخافش من غنوتك
قول شكوتك و احكي علي بلوتك
الغنوه مش ح تموتك إنمــــــا
كتم الغنا هو اللي ح يموتــــــك
عجبي !!!!

عاد الربيع كأنه طعم الحــــــــــب
و الحب نار جوه العروق بتصـــــب
اتمتع ازاي بيه وانا متقطـــــــــع
من كتر خوفي لا في الخطيئة يطب ؟
عَجبي !!

ازاي شبابنا يقوم و ياخـــــد دوره
من غير صراخ ينذيه و يجرح زوره
يا هلتري أحسن له يقعد ساكـــــت
أو ينترك و لو خرج عن طــــوره ؟
عجبي !!!

عيني رأت عصفور ووياه ابـــــنه
بيحدفه في الريح و ياخده ف حضنه
نوبتين و تالت نوبه ـ عجبي عليهم ـ
كانوا سوا بيرفرفرا و يغنــــوا
عجبي !!!!

احسن ما فيها العشق و المعشقـــة
و شويتين الضحك والتريقـــــة
شفت الحية . لفيت . لقيت الألـــــذ
تغييرها . و ده يعني التعب و الشقا
عجبي !!!!

عجبي علي العجب العجيب العجاب
لما الحقيقة تطل بعد احتجاب
و تروح و تحلا وفجأة تصبح مفيش
كمثل طراطيش بحر ياما خد و جاب
عجبي !!!

في الهو ماشي يا بهلوان إش إش
يا فراشة منقوشة علي كل وش
شقلبت عقلي و عقلي شقلبني
و كنت باحسبني بقيت ما اندهش
عجبي !!

وقفت ساعة الصبح باغسل سناني
قالت لي شايف قوتي و لمعاني ؟
إيش تطلب اليوم مني ضحكة أسد ؟
والا ابتسامة اعلانات أمريكاني ؟
عجبي !!

الحلو يم اليم صابـــــح رايح
سارح في حضن الميه سابح سايح
الحلو داب في البحر ، قلـــت أدوقه
وجدت لسه البحر برضك مالـــح
عجبي !!!

أنا قلبي كوكب و انطلق في المدار
حواليكي يا محبوبتي يا نور ونــار
يلف مهمــا يلف ما بيكتفــفيش
وتمللي نصه ليل و نصه نهـــار
عجبي !!

الأرض شوك أيوه لكين هايش
و الحمرة مش يعني الطريق حايش
دي دمنا السيال .. وبشرة خيـــر
ان انتي عايشة و ان كنت أنا عايـش
عجبي !!!

إيه اللي خدته من مرور السنـــين
يا قلبي الا دمعتك و النيــــين
بتئن و ترجع و بتفرح و ترجع تحـن
مع إن مش كل البشـــر فرحانين
عجبي !!!!

اوقات أفوق و يحل عني غبـــايا
واشعر كأني فهمت كل الخبايـــا
و افتح شفايفي علشـــان اقول الدرر
ما أقولش غير حبة غزل في الصبايـــا
عجبي !!!!

يا كل كلمة للعجب في قامـــــــوس
انسكلوبيديا لسان العرب أو لا لاروس
تعالوا نجدة . ده لسه في عصـــرنا
الشمس و البحر العريض بالفــلوس
عجبي !!!!

الموج تلول تهبط وتطلع تلـــــــول
يا بحر خدني الشط صاحبك ملـــول
و الا بلاش الشط ح اعمل به أيـــه
ده ريحته طحلب مهري و ام الخلــول
عجبي !!!!

ما آنتاش بتلعب ليه يا روح بابـــا ؟
و لا عسكري و لا لص في عصابة ؟
إلعب، أسد أو ديب رهيب أو غـــزال
دي الدنيا في نهاية المطاف غابـــة
عجبي !!!

ورد في ورق سلوفان يا حلوة اهديلك ؟
و الا انقله بالطين في الشتلة و اجيلـــك
الأولاني لو وحا بحنـــــــــــــاني
عجبي علي التاني بإيـــــه يوحيلـــك
عجبي !!

عيني رأت مخلوق في غاية البشاعة
أنا قلت له لما تأملته ساعـــــــة
اللذه و الموت علموك اللـــــزج
و انا علموني الفلسفة و الشجاعـة
عجبي!!

غطس وقب الموج نهود بمبي
من ألف جيل جمالات ما تعلم بي
يا قلبي عيب دول امهاتنا القدام
أستغفر الله العظيم ربـــــــي
عجبي !!

علقت في المسمار قناع مهزلة
ومعاه قناع مأساة بحزنه ابتــلا
بصيت لقيتهم يشبهوا بعضهـــم
واهو ده العجب يا ولاد و الا فلا
عجبي !!

ظهر المسيح الحي علي سفح ربـــــوة
و نزل بهالة الضي و قعد في قهـــــوة
بصوا .. تعالوا .. قالوا خليه في حالــــه
الناس في حالهم يا بني .. مالهمش دعوة
عجبي !!!

لولا اختلاف الرأي يا محـــترم
لولا الزلطتين ما لوقود انضرم
و لولا فرعين ليف سوا مخاليف
كان بيننا حبل الود كيف اتبرم ؟
عجبي !!!!

يا وردة قلبي معاكي في الريح لعب
لا تعبتي م الريح و لا قلبي تعـــــب
احنا كده : نرتاح في صخب الجنون
و في السكون بنخاف قوي و نترعب
عجبي !!!!

مركب ورق من نفخة تتطـــــــوح
ركبتها و الكل بيـــــــــــلوح
سوحت فيها اتنين و خمسين سنـــه
للآن ..... و لا بتغرق و لا تـــروح
عجبي!!

عالجسر فت الصبح تحت الضباب
بين اللي لسه بيزغرس و اللي طاب
ما اهتز قلبي لنبت طالع جديـــــد
قد اللي ماشي .. وتحت باطه كتاب
عجبي !!

يا خالق الكون بالحساب و الجبر
و خالقني ماشي بلختيار و الجبر
كل اللي حيلتي زمزمية أمـــــل
وازاي تكفيني لباب القـــــــبر؟
عَجبي !!

قاعدة قناني الخمر ساكتة و ساهية
مع ابن آدم في الشبه متناهيـــــــة
مفيش كده روقان في لحظة تشوفهم
و بعدها بلحظه يودوا في داهيـــــه
عجبي !!!

حتة محارة وجدتها في يوم لقيـة
قالت لي شوف كيف الطبيعة شقية
نظرت للكهف اللي فيها و لقيـــت
إن الطبيعة كمان لا أخلاقيـــــــة
عجبي !!!!

بلياتشو قال إيه بس فايدة فنونــــي ؟
و تلات وقق مساحيق بيلونونــــــي
و الطبل و المزامير و كتر الجعـــــير
إذا كان جنون زبوني زاد عن جنوني
عجبي !!!!

نقطة مرارة كمان علي مشروبـــــــي
دوبها يا ساقي حسب مطلوبـــــــي
طعب الحياة .. مش برضه فيها و فيها ؟
ليالي وردي و نهارات خروبــــــي ؟
عجبي!!

وسط الحطام اتفرجوا يا أنـــــام
تمثال ملك . و مبونه م الرخـــام
لتنين نحتهم نفس أسطي الحجـــر
و كانوا ذات يوم كتلتين لسه خــام
عجبي !

عيد و العيال اتنططوا ع القبـــــور
لعبوا استغمايه .. و نعبوا بابــــور
و باللونات و نايلونات شفتشــــي
و الحزن ح يروح فين جنب السرور
عجبي !!

أنا قلبي كورة و الفراودة أكـــــم
ياما اتنطح و انشاط و ياما اتعكـــم
و اقول له كله ح ينتهي في المعــاد
يقول بساعتك ؟ و الا بساعة الحكم ؟
عجبي !!!

الضحك قال يا سم ع التكشيـــــر
امشير و طوبه وانا ربيعي بشير
مطرح ما باظهر بانتصر ع العدم
انشاالله أكون رسماية بالطباشير
عجَبي !!!!

أهوي الهوي و همس الهوي في العيون
وبسمة المغرم ودمعه الحنـــــــون
و زلزلات الحب نهد الصبـــــــا
أكون انا المحبوب أو لا أكـــــون
عجبي !!!!

يا ملونين البيض في شم النسيــم
لون الحنين و الشوق و خمر النديم
ما تعرفوش سايق عليكو النبـــي
تلونوا الأيام بلون النعيـــــم ؟
عجبي!!

الدنيا صندوق دنيا .. دور بعـــد دور
الدكة هي .. و هي كل الديكـــور
يمشي اللي شاف ويسيب لغيره مكان
كان عربجي أو كان امبراطـــور
عجبي !

قطي العزيز راقد علي الكنبـــــات
في نوم لذيذ .. و بيلحس الشنبات
و انا كل عين فنجان مدلدق قلـق
صدق اللي قال إن الحياة منابات
عجبي !!

قالوا السياسة مهلكة بشكل عــــــام
و بحورها يا بني خشنة مش ريش نعام
غوص فيها تلقي الغرقانين كلهـــــــم
شايلين غنايم .. و الخفيف اللي عـــام
عجبي !!!

سلام سلام سلام سلام ... سلام
كلام كلام كلام كلام ... كلام
هز الورق يا صاحبي كدهـــوه
يطلع كلام سلام .. و سلام كلام
عجبي !!!!

فوق تحت . ورا قدام . يمين شمـــال
في الجو . تحت الميه . أو في الرمال
طلب الكمال يحرم علي الممـــــكن
و الممكنات دول محرومين م الكمال
عجبي !!!!

نبذة عن صلاح جاهين

نشأته

ولــد في شارع جميل باشا في شبرا. كان والده المستشار بهجت حنمى يعمل في الــسلك القضائي، حيث بدأ كوكيل نيابة و إنتهى كرئيس محكمة استئناف المنصورة. درس الفنون الجميلة ولكنه لم يكملها حيث درس و الحقوق.

حياته

أنجب ابنه الشاعر بهاء من زوجته الاولى تزوج من زوجته الثانية الفنانة منى قطان

أعماله

أنتج العديد من الأفلام التي تعتبر خالدة في تاريخ السينما الحديثة مثل أميرة حبي أنا و فلم عودة الابن الضال، و لعبت زوجته أدوار في بعض الأفلام التي أنتجها. عمل محررا في عدد من المجلات و الصحف، و قام برسم الكاريكاتير في مجلة روز اليوسف و صباح الخير ثم إنتقل إلى جريدة الاهرام.

كــتب سيناريو فلم خلي بالك من زوزو و الذي يعتبر أحد أكثر الافلام رواجا في الــسبعينيات إذ تجاوز عرضه حاجز ٥٤ اسبوع متتالي. كما كتب أيضا أفلام أميرة حــبي أنـــا ، شفيقة ومتولي و المتوحشة. كما قام بالتمثيل في شهيد الحب الإلهى عام ١٩٦٢ و لا وقت للحب عام ١٩٦٣ و المماليك ١٩٦٥.

إلا أن قمــة أعماله كانت الرباعيات التي كان يحفظها معظم معاصريه عن ظهر قلــب و الـــتي تجاوز مبيعات احدى طباعات الهيئة المصرية العامة للكتاب لها أكثر من

١٢٥ الف نسخة في غضون بضعة ايام. هذه الرباعيات التي لحنها الملحن الراحل سيد مكاوي وغناها الفنان علي الحجار.

علاقاته الفنية

ينظـــر البعض إلى جاهين على أنه متبنى علي الحجار، احمد زكي و شريف منير. كما أرتبط بعلاقة قوية مع الفنانة سعاد حسنى حيث دفعها إلى العمل مع أحمد زكي في مسلسل هو وهي.

جاهين و السياسة

كـــان حـــركة الضباط الاحرار و ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، مصدر إلهام لجاهين حـــيث قام بتخليد جمال عبد الناصر فعليا بأعماله، حيث سطر عشرات الاغاني. لكن هـــزيمة ٥ يونـــيو ١٩٦٧م، خاصة بعد أن غنت أم كلثوم أغنيته راجعين بقوة السلاح عـــشية النكسة، أدت إلى أصابته بكآبة. هذه النكسة كانت الملهم الفعلي لأهم أعماله الـــرباعيات و الـــتي قدمت طروحات سياسية تحاول كشفت الخلل في مسيرة الضباط الاحرار، و التي يتعبرها الكثير أقوى ما أنتجه فنان معاصر.

من هو صلاح جاهين

أحـــد أعظـــم شعراء العامية في مصر ويأتي برأيي بعد الشاعرين الكبيرين بيرم التونسي وفؤاد حداد.

صلاح جاهين فنان شامل فهو شاعر مجيد ورسام كاريكاتير من الدرجة الأولى أعطـــته شخـــصـيته المرحة وظرفه الكثير من التفرد في مجال الشعر العامي ومجال رسم الكاريكاتير.

بــل حتى انه كاتب سيناريوهات من الدرجة الأولى كتب سيناريوهات العديد من الأفلام الشهيرة .... ومنها خلي بالك من زوزو.

ولــد صلاح جاهين في ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٠ م بحي بشبرا في شارع جميل باشا. وصلاح جاهين هو الأكبر بين إخوته.

والــده المستــشار بهجت حلمي الذي تدرج في السلك القضائي بدأ من وكيل نيابة حتى عيّن رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة.

كانــت ولادة صلاح جاهين متعثرة تعرضت أثنائها والدته للخطر، فولد شديد الــزرقة و دون صراخ حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتاً، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال.

وكانــت لهــذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أن الولادة المتعثرة تترك آثارهــا على الطفل فتلازمه طول حياته وقد تتسبب في عدم استقرار الحالة المزاجية أو الحــدة في التعبير عن المشاعر - سواء كانت فرحاً أو حزناً، وهو ما لوحظ في صلاح جــاهين الــذي يفــرح كالأطفــال ويحــزن لدرجــة الاكتــئاب عند المصائب. اســتطاع صلاح جاهين ببساطته وتلقائيته التعبير عن كل ما يشغل البسطاء بأسلوب يــسهل فهمــه واستيعابه، وهو ما جعله فارساً يحلق برسومه وكلماته ويطوف بها بين مخــتلف طــبقات الشعب المصري، بل كانت جواز سفره لمختلف البلدان العربية التي رددت كلماته حَفْزاً للعمل والإنجاز.

كــل ما نبع من صلاح جاهين وما أحاط به كان يؤهله للثراء الفني والإنساني.. بل كان يرشحه أيضًا لمعاناة تصنعها نيران الموهبة.

حظــي بحب جماهيري جارف فلم تشهد مصر إلا فيما ندر هذه الموهبة المتسعة الأرجاء شعرًا ورسمًا وغناءً وتأليفًا وتمثيلاً.

لم يستكمل صلاح دراسته بالفنون الجميلة ، ولكنه درس القانون في كلية الحقوق إرضاءً لوالده ، ووصل إلى السنة الأخيرة لكنه في النهاية لم يدخل الامتحان ولم يتخرج منها فقد كان بالفعل وقتها ملء السمع والبصر كفنان وشاعر متميز وكان قد اختار طريقه في الحياة .

تزوج مرتين الأولى من السيدة سوسن التي أنجب منها بهاء وأمينة والثانية من الفنانة منى قطان التي اشتركت في تمثيل الأفلام التي انتجها وأنجب منها ابنته سامية.

كان أبدع من كتب بالعامية المصرية الأصيلة مستخدما ألفاظ الشارع المصري البسيط لتصوير الأحداث الجارية في كلمات أغنياته وفى وجوهه الكاريكاتيرية المعبرة عن الواقع ، وقد أحب جاهين البسطاء وأسكنهم كلماته ورسومه فمنحوه كل الحب والاحترام وقد عشق الجمهور رباعياته بل أصبحوا يترنمون بها فهي مدرسة في فلسفة الحياة بل انها أصبحت أمثالا يرددها العامة ، وقد اعتبره النقاد امتدادا لبيرم التونسي سيد الزجل الشعبي والسياسي في مصر القرن العشرين.

عمل رساما في العديد من الصحف ، أخرها الأهرام.
كتب العديد من الأغنيات العاطفية والوطنية ، وسيناريو وحوار أفلام مثل – خللي بالك من زوزو – أميره حبي أنا – شفيقة ومتولي – المتوحشة ، كما ألف العديد من مسرحيات العرائس منها – الليلة الكبيرة ، واو بريت – القاهرة في ألف عام.
كان صلاح غزيرا في الإنتاج حيث لم يتوقف لحظة واحدة طوال حياته عن الإبداع.

كان يحس أن الحياة قصيرة جدا وسريعة ... فدخل في سباق معها فأنجز المئات من القصائد التي تراوحت بين الزجل و الشعر العامي و الشعر الشعبي و تحولت إلى أغنيات غناها عشرات المطربين .

وراوحت بين أغاني الحب والأغاني الوطنية والأغاني الخفيفة، وكتب أيضا عددا من الأوبريتات الغنائية ربما كان أشهرها أوبريت الليلة الكبيرة الذي ما زال يحتفظ بألقه حتى اليوم .

ومـئات الرسوم الكاريكاتيرية التي بدأ في رسمها أسبوعيا في مجلتي صباح الخير و روز اليوسف الأسبوعيتين، قبل أن ينتقل إلى صحيفة الأهرام التي كانت آنذاك في أوج ازدهارهـا، فكـان يلخـص في رسومه اليومية تلك و في صورة كاريكاتيرية ساخرة الموقف السياسي السائد آنذاك.

بدأ صلاح جاهين يكتب الشعر الكلاسيكي في أواخر الأربعينات، قبل أن يبلغ العـشرين مـن عمره. لكنه قرأ يوما قصيدة بالعامية المصرية لشاعر لم يكن قد سمع به آنـذاك، فقـرر التعرف إليه و كان له ذلك. و لم يكن ذلك الشاعر سوى فؤاد حداد، الذي أثر فيه تأثيرا كبيرا و جمعته به صداقة عميقة استمرت فيما بعد حين تزوجت ابنة صلاح جاهين السيدة أمينة من ابن فؤاد حداد الشاعر أمين فؤاد حداد.

و في أواسط الخمسينات بدأ صلاح جاهين مسيرته الفنية التشكيلية في مجلة روز اليوسـف، ومسيرته الشعرية التي بلغت ذروتها في ديوانه الشهير والكبير "الرباعيات". خـلال الفترة التي فصلت بين أواسط الخمسينات و بين الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ غـنى صـلاح جـاهين للحب و الشباب والأطفال، كما غنى للثورة المصرية ولزعيمها جمال عبد الناصر. ولكنه بعد النكسة التي حدثت في ذلك اليوم أصيب بحالة مـن الكآبـة لم يشف منها حتى رحيله، فتوقف عن كتابة الأغاني والأناشيد الوطنية، واتجه إلى الكتابة في اتجاهين؛ الشعر التأملي العميق كما في الرباعيات (الأشهر بالعامية) الـتي كتبها قبل النكسة وكتب خمس منها بعد النكسة ، والأغاني الخفيفة، و التي ربما

كـــان أشـــهرها تلك الأغاني التي غنتهـ المثلة سعاد حسني في فيلم "خللي بالك من زوزو"، مثل الأغنية التي حملت عنوان الفيلم، و"يا واد يا تقيل" و غيرها.

و الطريف أن ملحن هذه الأغاني هو الموسيقي الكبير كمال الطويل، الذي كان في الفتـــرة الـــسابقة، يلحـــن لـــه أغانيه الوطنية و الحماسية مثل "صورة" و"ياأهلا بالمعـــارك" و"بـــستان الاشـــتراكية" و غيرها. كما لحن له آخر أغانيه الوطنية وهي "راجعين بقوة السلاح". و قد قال صلاح جاهين مفسرا حالة الكآبة التي دخل فيها و مـــبررا قراره بالتوقف عن كتابة الأغاني الوطنية، إنه كتب الأغنية المذكورة التي لحنها كمـــال الطـــويل لتغنيها أم كلثوم عشية هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وتقول كلمات الأغنية:

راجعين بقوة السـلاح ** راجعين نحرر الحمى**
راجعين كما رجع الصباح ** من بعد ليلة مظلمة**

وفي اليوم التالي جاءت النكسة على نقيض مروع من الأمل الذي تحمله كلمات هـــذه الأغنـــية، فلـــم يحتمل قلب صلاح جاهين المثقل كل هذا الألم فدخل في حالة الاكتئاب حتى مات في ٢١ نيسان١٩٨٦

تعتـــبر القصيدة الملحمة "على اسم مصر" أهم ماكتب من شعر بعد ذلك وقد كتـــبت سنة ١٩٧١ . إلا أنه أيضاً كتب ديوانه الأخير الجميل "أنغام سبتمبرية" بعد ١٩٦٧ وكتبت معظم قصائده في الثمانينات.

مـــن أعمالـــه السينمائية تمثيل: لا وقت للحب اللص والكلاب المماليك حوار: اللعنه المتوحشه خللى بالك من زوزو شيلنى واشيلك شفيقه ومتولى سيناريو : المتوحشه خللى بالك من زوزو شفيقه ومتولى ومن أعماله الشعرية، رباعيات "صلاح جاهين" الـــتي لحنها الفنان الراحل سيد مكاوي، وغناها المطرب علي الحجار، وكذلك كلمات

الكـــثير مـــن الأغاني مثل والله راجعين بقوة السلاح التي لحنها كمال الطويل وغنتها المطربة أم كلثوم، وكذلك الأغنية الشهير لسيد مكاوي "ليلة امبارح ما جانيش نوم"، ولـــه أيضا عدة دواوين شعر عامي ومسرحيات أطفال، كان أروعها بالتأكيد ما لحنه سيد مكاوي على شكل أوبريت: الليلة الكبيرة .

صلاح جاهين: شاعر الثورة وفيلسوف الفقراء

فرانسوا باسيلي

كاتب من مصر يقيم في نيويورك

لاتستطيع ان تستحضر للذاكرة العبقرى المصرى المبدع صلاح جاهين (١٩٣٠ -١٩٨٦) الا وتحـــضر معه بالضرورة كوكبة من المبدعين الذين زاملوه واشتركوا معه فى صنع السيمفونية الباهرة للثقافة والفنون والفكر التحررى المثير فى عصر مصر الذهبى فى الخمسينات والستينات من القرن العشرين. فيحضر معه بالضرورة زميلاه الشاعران أحمـــد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور وكان الثلاثة يعملون فى غرفة واحدة تضم مكاتبهم الثلاثة فى دار روز اليوسف ويقول حجازى: "كان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحا وحضورا، كان يرسم وينظم بالعربية وكان احيانا يغنى بعض الأغنيات الاسبانية مـــن تـــراث الحرب الأهلية، بالاضافة الى أغنيات روسية، وفى تلك الغرفة سمعت من صـــلاح جـــاهين معظـــم أغنياته التى نظمها فى الخمسينات وأوائل الستينات :ويقول حجازى انه رغم بدانة جاهين فإنه هو الذى علمه رقصة الفالس! ويقول حجازى: "لم يكـــن صلاح جاهين صوتا بسيطا مفردا، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصـــوت البشرية، صوت الجماعة فى الواقع وفى الحلم معا، صوت جماعة ناهضة حرة مـــتقدمة ســـعيدة منتمية لحضارة العصر مشاركة فى صنعها. فصلاح جاهين ليس ثمرة

تــراث قومى مغلق وانما هو ثمرة التراث القومى والتراث الانسانى، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر مايدين لشوقى وبيرم التونسى."

كمـــا لابد أن يحضر معه للذاكرة أيضا شاعر مصر الكبير صلاح عبد الصبور. لــيكون هـــو المقابل المخالف المضاد لصلاح جاهين ربما فى كل شئ، روحا وجسدا، شـــكلا وموضوعا، فعبد الصبور هادئ حزين متشائم، يكتب بالفصحى شعرا للنخبة المـثقفة عاكـــسا ثقافة عالمية نخبوية، بينما جاهين صاخب مرح متفائل يكتب بالعامية لعامـــة الـــشعب شعرا وغناء يفوح برياحين صبايا القرى وأحلام رجل الشارع وتعبه اليومى، دون ان يتخلى عن عمق انسانى فلسفى بالغ التأثير. ولايشترك "الصلاحان" — جاهين وعبد الصبور- سوى فىأن كليهما استطاع ان يؤثر تأثيرا حاسما على جيله فى مجـــال ابداعه. فيمكن القول أن عبد الصبور قد شكل الذائقة الشعرية والوجدانية لجيل مـــصرى كامل بقصيدة واحدة هى "احلام الفارس القديم"، والتى اعترف بعض رواد الـــشعر فى الجيل التالى أنهم كانوا يجوبون طرقات القاهرة ليلا منشدين المقاطع الشهيرة لهذه القصيدة بصوت مرتفع.

وبيـــنما قـــام عبد الصبور بتشكيل الذائقة الشعرية لجيل كامل من الشعراء من بعده، قام جاهين بتشكيل الذائقة الوجدانية لجيل الثورة بأكمه، شعراء وفقراء وبسطاء وعمـــالا وفلاحين وموظفين وعاشقين وحالمين. من هنا تأتى أهمية هذا الشاعر الشعبى العظـــيم، ولهـــذا أقوم بالمقارنة بينه وبين صلاح عبد الصبور، فبينما نال عبد الصبور تقديـــرا كـــبيرا مـــستحقا فى الوسط الثقافى المصرى، فإن جاهين فى اعتقادى لم ينل مايـــستحقه من تقدير يناسب انجازاته الهائلة فى ميادين الابداع المتنوعة التى طرقها، من الرسم الكاريكاتورى الى شعر العامية والزجل والاغنية والأشعار المسرحية والسينمائية والفوازير التليفزيونية ومسرح العرائس والسيناريو السينمائى فضلا عن الأناشيد الوطنية التى صنع منها جاهين فنا جديدا قائما بذاته .

شاعر الثورة

بينما اجد بعض النقاد يطلقون على صلاح جاهين لقب "مغنى الثورة" لان كل ماكتبه كان يتحول الى أغنيات ثورية شعبية بصوت فنان الثورة عبد الحليم حافظ بألحان الموسيقار الفريد كمال الطويل، وربما مع بعض التردد فى اطلاق لقب شاعر الثورة عليه، فى ميل للإحتفاظ بلقب شاعر لمن يكتبون بالفصحى، الا أننى لاأجد أى محل للتردد فى وصف جاهين بشاعر الثورة المصرية، فهو وحده من استطاع ان يترجم مشاعر وأحلام وأفراح ملايين المصريين الى كلمات حية متوثبة مليئة بالدفء والزهو والنشوة. فبينما كتب عبد الصبور وحجازى بعض القصائد الفصحى المعبرة عن بعض جوانب تلك الفترة، فإننا لانجد فى قصائدهم تلك حرارة ولهفة وصدق المشاعر اللافحة التى نجدها فى كلمات جاهين، كما وكيفا، ولعل من المفارقة ان القصيدة الوحيدة الدافئة الحس المرهفة الصدق التى كتبها حجازى فى تلك المرحلة بأسرها هى قصيدته العميقة فى رثاء عبد الناصر "مرثية الزمن الجميل" بينما –على العكس– كان رحيل عبد الناصر هو نهاية مرحلة الشعر الثورى لدى جاهين.

فى أشعاره "الثورية" لم يكتب جاهين شعارات باردة جوفاء بل استطاع ان يغوص فى اعماق الانسان المصرى المتطلع الى عالم أفضل ليستخرج منه بكلمات عامية بسيطة وبليغة فى آن واحد، أجمل ما فيه من أغنيات ومزامير راح ينثر بها البهجة والفرح الحقيقى بالفجر البهى القادم على الأفق. لم تكن فى كلماته أية ظلال لافتعال سياسى او تعبوى، بل كانت مشاعر عفوية صادقة ترقص فى قلبه المتفائل المحب للحياة فتتحول عبر شاعريته الأصيلة الى أناشيد للفرح والحب واللهفة المتوثبة. ولأن هذه المشاعر كانت تعبيرا صادقا عن الوجدان المصرى الجارف فى تلك المرحلة، لم يكن صعبا على مبدع مرهف آخر مثل كمال الطويل أن يضع لها ألحانا نابعة من عمق

الوجـع المـصرى الطويل وصاعدة فى نبرات متسرعة لاهثة فرحة متشوقة للغد الأجمل الذى وعدت به القلوب الفائرة الثائرة.

وبهـذا الصدق والفرح والتفاؤل كتب جاهين -وغنى عبد الحليم- أناشيد إحنا الـشعب (٥٦) وبالأحـضان (٦١) والمسئولية (٦٣) وياأهلا بالمعارك (٦٥) وصورة وناصـر وغيرها. وكان من المدهش حقا إستقبال الجماهير لهذه الاناشيد وتجاوبها معها حفظا وغناء وكأنها أغنيات فى الحب والصبا والجمال وليس فى الثورة والحرية والكرامة بـل والـسياسة الاقتصادية (على راس بستان الاشتراكية/ واقفين بنهدس ع المية/ أمة أبطال/ علما وعمال / ومعانا جمال..)

مزامير الحب والبهجة

فى نفـس الـوقت الذى كان يكتب فيه جاهين هذه الأناشيد الوطنية الشعبية الـواعدة، كان يكتب أيضا مزامير الزهور والحب والبهجة . فهو عاشق للحياة يحبها بحس شاعر ونزق طفل وتهور شاب مقبل على مباهج الأحلام المنتظرة فى فرح حقيقى. ان علاقة جاهين بالفرح علاقة اساسية حميمة.

يقول فى رباعياته الشهيرة:

أنا اللى بالأمر المحال إغتوى
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا
طلته ماطلتوش إيه انا يهمنى
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى
عجبى

ويقول فى رباعية أخرى:

فتحت شباكى لشمس الصباح
مادخلش منه غير عويل الرياح
وفتحت قلبى عشان أبوح بالألم
ماخرجش منه غير محبة وسماح
عجبى

وفى تأكيد على أهمية الفرح العام الجهورى المعلن يقول:

كرباج سعادة وقلبى منه انجلد
رمح كأنه حصان ولف البلد
ورجع لى نص الليل وسألنى ليه
خجلان تقول أنك سعيد ياولد؟

ويقول فى شعر الغزل والشقاوة والمحبة:

يا بنت يام المريله كحلى
ياشمس هااله، وطاالله م الكومه
لو قلت عنك فى الغزل قوله
ممنوع عليا والا مسموح لى؟

وفى رباعية غزلية آخرى يقول:

اوقات افوق ويحل عنى غبايا
واشعر كأنى فهمت كل الخبايا
أفتح شفايفى عشان اقول الدرر
مااقولش غير حبة غزل فى الصبايا
عجبى

مسئولية الكلمة

يعرف صلاح جاهين مسئوليته كمبدع وكشاعر. كثيرا ما يشير الى الصمت فى شــعره كمرادف للموت، ويشير الى الكلمة كمرادف للحياة. يقول فى قصيدة بعنوان "اتكلموا":

اتكلموا.. اتكلموا.. اتكلموا
محلا الكلام، ماألزمه، ماأعظمه
فى البدء كانت كلمة الرب الاله
خلقت حياه والخلق منها اتعلموا
فإتكلموا
الكلمة ايد الكلمة رجل الكلمة باب
الكلمة لمبة كهربية فى الضباب
الكلمة كوبرى صلب فوق بحر العباب
الجن ياأحباب مايقدر يهدمه
فاتكلموا

وفى رباعية جميلة يقول:

ياعندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك واحكى على بلوتك
الغنوه مش حتموتك...... إنما
كتم الغنا هو اللى ح يموتك

فيلسوف الفقراء

ينفــرد جــاهين بخاصية هامة تمنح شعره -على بساطته وعاميته- بعدا فلسفيا لانعــرف لــه مثــيلا لدى شعراء العاميه الآخرين بل ولانعرف له مثيلا لدى شعراء

الفـــصحى المصريين، فيما عدا رفيقه صلاح عبد الصبور الذى إتسمت معظم أشعاره بأبعادها الفلسفية والانسانية الشاملة.

وهـــنا ايـــضا –وعلى الأخص– لم يحصل جاهين على حقه من التقدير، بسبب النظـــرة العدائـــية مـــن الوسط الثقافى النخبوى للعامية، وربما بسبب التحيز للفصحى والخـــوف علـــيها، مع قدر من عدم التصديق لإمكانية ان تقول العامية الدارجة معان تقـــرب من مدار الفلسفة المقدس. ولكن لايصح ان يمنعنا مثل هذا الموقف الاستعلائى الزائف والخائف من ان نخوض فى رفق وحدب فى أعماق أشعار جاهين لنكتشف مابها مـــن جواهـــر فكـــرية ووجدانية بديعة. فإنك لتجد فى رباعياته أصداء لفلسفة سارتر الوجودية ولمواقف البير كامو فى اغترابه ولجرأة نيتشه الذى لم تكن فلسفته سوى شعرا مكـــثفا. بالإضـــافة الى نهل جاهين من التراث الفلكلورى المصرى والعربى الاسلامى والمـــسيحى. ومزجها كلها فى صوت صادق متفرد هو صوته وحده. ولننظر الى بعض رباعـــياته التى يمكن اعتبار كل رباعية منها أطروحة فلسفية كاملة تطرح كل منها أحد الأسئلة الوجودية الهامة فى تصوير بالغ الإيجاز والإيحاء والدهشة:

عيد والعيال اتنططوا ع القبور
لعبوا استغماية ولعبوا بابور
وبالونات ونايلونات شفتشى
والحزن ح يروح فين جنب السرور!
عجبى

الدنيا صندوق دنيا.. دور بعد دور
الدكة هى .. وهى كل الديكور
يمشى اللى شاف ويسيب لغيره مكان
كان عربجى او كان امبراطور
عجبى

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام
وحيد ولكن بين ضلوعى زحام
خايف ولكن خوفى مني أنا
أخرس ولكن قلبى مليان كلام
عجبى

علمى ان كان الخلق من أصل طين
وكلهم بينزلوا مغمضين
بعد الدقائق والشهور والسنين
تلاقى ناس أشرار وناس طيبين
عجبى

وكـــان هذا الفيلسوف الجميل مفتوح القلب سريع البديهه. وأذكر انى استمعت اليه مــرة فى برنامج إذاعى اسمه "جرب حظك" سأله فيه مقدمه عباس أحمد: من فى رأيك أعظـــم رســـام كاريكاتير فى العالم؟ فأجاب جاهين الذى كان بدينا، قصيرا، أصلعا، وكأنه كرة ضخمة: الحقيقة أنى كل ما بصيت فى المراية عرفت ان ربنا سبحانه وتعالى هو أعظم رسام كاريكاتور فى الدنيا ! فانفجر الجمهور ضاحكا.

عالمى النزعة

رغـــم ان صلاح جاهين كان يغنى للاشتراكية فى إخلاص المثقف المنتمى للفكر اليـــسارى المنحاز للفقراء والبسطاء بشكل اساسى الا انه كان مثقفا وليس ايديولوجيا منغلقا. ومازلت أذكر أنه فى اليوم التالى لإغتيال الرئيس الامريكى الشاب جون كيندى فى عـــام ١٩٦٣ فوجئت فى جريدة الاهرام التى كانت تنشر لجاهين رسما كاريكاتوريا شهيرا كل يوم أنها تنشر له قصيدة رائعة فى رثاء الرئيس الامريكى لم أعد أذكر كلماتها

ولم اجدها بعد ذلك ولكنى اذكر جيدا انه ختمها وهو يهتف ملتاعا باسم الرئيس الامريكى قائلا: ياجون.. يايوحنا المعمدان! وقد أثرت فى نفس هذه الخاتمة المدهشة للقصيدة. ولم افهم للوهلة الاولى لماذا يخاطبه بيوحنا المعمدان. اذ كنت مازلت طالبا فى ذلك الوقت. ولم يكن فى ذهنى أن جون هى بالعربية يوحنا. فكانت هذه المقاربة الجميلة فى القصيدة والتى تدل على انفتاح جاهين السياسى والدينى معا، فلم تمنعه يساريته الفكرية من التعاطف مع رئيس امريكى شاب كان مثقفا ثقافه انسانية حقيقية وقف امام نفوذ التحالف الصناعى العسكرى فى بلده واشاع فى العالم كله أملا فى مستقبل اجمل.. ولامنعته ثقافته الاسلامية من معرفة واستخدام رمز مسيحى شهير هو يوحنا المعمدان الذى كان يوصف بالصوت الصارخ فى البرية لقوته وشجاعته فى المجاهرة بالحق حتى اوصله هذا الى تقديم رقبته على طبق هدية لسالومى من الملك هيرودس أنتيبى الذى صرخ فى وجهه يوحنا المعمدان يوما: هذا لايحل لك!

فرسان الثورة

إستطاعت الثورة المصرية منذ ولادتها وبسبب اهتمام عبد الناصر بالثقافة والفنون والادب اساسا ان تخلق مناخا إجتماعيا مثيرا لعوامل الابداع الانسانى فى جميع المجالات .. وانطلقت مع بداية الثورة وبشكل تلقائى مدهش شرارة الخلق والابداع الفنى والفكرى فى عدد هائل من الشباب المثقف الصاعد من قرى ونجوع مصر الزاحف نحو القاهرة والاسكندرية فإذا بعشات ومئات من المبدعين تتصاعد أنجمهم فى سماء مصر حاملين رايات ملونة زاهية لأعمال جديدة مدهشة فى كل مناحى الابداع.أرصد هذا لأوضح أن صلاح جاهين –وان كان حقا صوتا متفردا مميزا فى الشعر وفنانا مبدعا فى الرسم وغيره من الفنون – لم يكن وحيدا وانما كان واحدا من "جيش" مدهش من المبدعين المجددين الذين استقوا من ينابيع الجسد المصرى المتفجر بإرهاص الولادات

الجديدة ووعود الاحلام المثيرة القادمة فى فورة إبداعية نعرف الآن أنها كانت — للأسف- إستثنائية فى تاريخ مصر المعاصر.

وقد كان لجاهين شاعر الثورة المصرية وواضع مزاميرها الجماعية المحفزة أثر كبير فى حركة النهضة الفكرية التحررية المواكبة، فقد راح فى رسومه وكلماته وأناشيده وأشعاره يرسم ملامح المجتمع الحر القادم فى عيون شباب وصبايا يعانقون أحلام الحب الجميل والحرية الاجتماعية والتحرر الفكرى البادئ بالذات والممتد نحو الانسان فى كل مكان .

وكان لهذه الفورة الابداعية والتفجر الغنى المثير فعل السحر فى الشباب المثقف الصاعد الى حد انه حتى المثقفين الذين دخلوا السجون فى تلك الفترة بشبهة الميول الشيوعية او اليسارية المتشددة خرجوا منها وهم على إخلاصهم العجيب للثورة التى لم تتورع عن التهام عدة سنوات من شبابهم الحالم، وهى ظاهرة لا نعرف لها مثيلا فى التاريخ.

هل خان نفسه؟

حينما أصيبت الثورة المصرية بجرح هزيمة ٦٧ الغائر، ثم برحيل فارسها عبد الناصر عام ٧٠، شاهد جاهين كل شئ ينهار من حوله، فأصاب شاعر الثورة احباط الانكسار ودخل فى صمت المطعون المكلوم. ومع صعود الرئيس "المؤمن" - الذى كان معروفا طوال سنوات الثورة بأنور السادات لنكتشف فجأة ان اسمه الحقيقى هو محمد انور السادات !- أطلقت الاشارة لبدء حركة الهجوم الوحشى والتشويه المجانى لكل جوانب الثورة، المظلم منها والمضئ معا، حتى أن السد العالى نفسه — الذى أعترف العالم مخرا انه اهم عشرة مشاريع هندسية فى العالم فى القرن العشرين — لم يسلم من حملة التشويه الآثمة لإنجازات الثورة.

ولم يجد شاعر الثورة له مخرجا من نفق الاحباط وظلمة الاحساس بالغبن والضياع وربما لوم الذات وانكار الحلم بل ومعاداته سوى الدخول الى دوامة العمل السينمائى السهل فى حركة هى اقرب الى حركات مهرج السيرك الذى يضحك الآخرين بقلب نازف – فكتب لصديقة دربه سعاد حسنى اغنيات فيلمها "خلى بالك من زوزو" الذى حقق نجاحا جماهيريا ساحقا، بين جماهير متغيرة كانت قد تعبت من وطئة احلامها طوال عشرين عاما، وتعبت من الحروب والمعارك والاناشيد، وارادت ان تنسى وترقص وتلهو على انغام تقول لها ان "الدنيا ربيع، والجو بديع، قفلى على كل المواضيع" وهكذا نظر بعض المثقفين فى حزن الى شاعر الثورة وفارسها القديم وقد انكسرت قوادم احلامه (كما تنبأ صلاح عبد الصبور) وتحول مغنى الجماهيرالى مضحكها . وهو دور استنكروه عليه ولكنه لم يستنكره على نفسه فقد كان دائما منحازا الى الجماهير البسيطة يعبر عن أحلامها وآمالها وعن ضحكاتها وأوجاعها . ولم يجد غضاضة فى ان ينحاز اليها فى لهوها ومزاحها وهو المنحاز أبدا للفرحة والبهجة.

وقد أراد له –وتوقع منه– البعض ان ينخرط –وهو شاعر الثورة– فى حركة المعارضة الشعبية والطلابية لنظام السادات قبل حرب العبور كما فعل احمد فؤاد نجم بأشعاره الجارفة التى لحنها وغناها الشيخ امام والتى دخلا السجون بسببها . ولكن جاهين لم يفعل ولم يكن له ان يسير فى درب غير دربه فعالمه الشعرى ليس عالم احتجاج ومعارضة ضد النظام فقد كان منسجما مع النظام الناصرى الذى كان منسجما مع أحلام الفقراء وآمال المثقفين معا، وجاهين المنحاز للفرح فى الحياة لم يجد فى نفسه طبيعة الصدام والمعارضة والهجوم على الآخرين. بما فى هذه من العنف العاطفى والخشونة الوجدانية الضرورية للتحمل والصمود . نعم هو شاعر الحلم الثورى لكنه ليس شاعر الغضب والتصدى والتعدى، ولذلك كانت لأناشيده الثورية دائما جانب الاعراس المحفوف بالأجراس والمزامير والرقصات الشعبية، فليدع التصدى والمقاومة

والغضب الشعبى لغيره من الشعراء مثل نجم. فهل كان فى هذا خائنا لنفسه أم متس
معها؟

لاشك ان هذا سؤال سيستدعى إجابات متناقضة من نقاد مختلفين. اما انا الذى طالما اترعت قلبى مما كان يسكب لنا جاهين كل يوم من مياه المحبة والبهجة والأمل المثير فليس عندى له سوى فيضان من مشاعر العرفان والممنونية والإنحياز الحميم.

ولعل أجمل مايعبر عن حالة جاهين تلك بعد أنهيار أحلام الثورة التى شارك فى صنعها هى رباعيته التى كتبها عندما أصابه انسداد فى شرايين القلب احتاج الى جراحة فى صيف ١٩٨١:

يامشرط الجراح أمانة عليك
وانت فى حشايا تبص من حواليك
فيه نقطة سودة فى قلبى بدأت تبان
شيلها كمان.. و لفضل يرجع اليك.

لقد كانت النقطة السوداء قد احتلت قلبه الكبير وراحت تكبر فيه وتنهشه هى نفسها النقطة التى اصابت قلب مصر مع جرح ٦٧ ومع رحيل ناصر وانهيار احلام الجيل الصاعد وتسليم السادات مفاتيح مصر للتيارات الدينية الظلامية التى أطفأت مصابيح مصر واحدا بعد الآخر وحاربت الفن والفكر والابداع والتحرر والمساواة والفرح والبهجة والانطلاق والغناء والرقص والمزامير ، فكانت هى الخاتمة السوداء لاحدى أجمل فترات النهضة المصرية فى تاريخها الحديث.

سيظل جاهين صوتا مميزا مزهوا فى الوجدان المصرى الى الأبد.

فالشاعر الاصيل لايعرف موتا ولاصمتا. وهو الذى قال:

دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت
وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا
لكن حاجات أكتر بترفض تموت.

رحم الله صلاح جاهين ، ورحم معه الزمن المصرى الجميل.

من رباعيات صلاح جاهين

خرج ابن آدم من العدم قلت : ياه
رجع ابن آدم للعدم قلت : ياه
تراب بيحيا ... وحي بيصير تراب
الأصل هو الموت و الا الحياه ؟
عجبي !!!

ضريح رخام فيه السعيد اندفن
و حفره فيها الشريد من غير كفن
مريت عليهم .. قلت يا للعجب
لاتنين ريحتهم لها نفس العفن
عجبي !!!

ياما صادفت صحاب و ما صاحبتهمش
و كاسات خمور و شراب و ما شربتهمش
أندم علي الفرص اللي انا سبتهم
و الا علي الفرص اللي ما سبتهمش
عجبي !!

و الكون ده كيف موجود من غير حدود
و فيه عقارب ليه و تعابين ودود
عالم مجرب فات و قال سلامات
ده ياما فيه سؤالات من غير ردود
عجبي !!!

أنا شاب لكن عمري ألف عام
وحيد لكن بين ضلوعي زحام
خايف و لكن خوفي مني أنا
أخرس و لكن قلبي مليان كلام
عجبي !!!!

يا باب يا مقفول ... إمتي الدخول
صبرت ياما و اللي يصبر ينول
دقيت سنين ... و الرد يرجع لي : مين ؟
لو كنت عارف مين أنا كنت أقول
عجبي !!!!

أحب أعيش ولو في الغابات
أصحي كما ولدتني أمي و ابات
طائر ... حوان.. حشرة .. بشر ..بس أعيش
محلا الحياة.. حتي في هيئة نبات
عجبي !!

من شعر صلاح جاهين

اسم مصر

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء
أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء
بحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب
وبحبها وهي مرمية جريحة حرب
بحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء
واكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء
واسيبها واطفش في درب وتبقى هي ف درب
وتلتفت تلاقيني جنبها في الكرب
والنبض ينفض عروقي بألف نغمة وضرب
على اسم مصر

مصر النسيم في الليالي وبياعين الفل
ومرايه بهتانة ع القهوة .. أزورها .. واطل
القى النديم طل من مطرح منا طليت
والقاها برواز معلق عندنا في البيت
فيه القمر مصطفى كامل حبيب الكل
المصري باشا بشواربه اللي ما عرفوا الذل
ومصر فوق في الفراندة واسمها جولييت
ولما جيت بعد روميو بربع قرن بكيت
ومسحت دموعي في كمي ومن ساعتها وعيت
على اسم مصر

أنا اللي اسمي حتحور .. أنا بنت رع
مثال الأمومة ورمز الحنان
تفيض حلماتي وتملا الترع
وتسقي البشر كلهمَ والغيطان
نهايته يا مصر اللي كانت أصبحت وخلاص
تمثال بديع وانفه في الطين غاص
وناس من البدو شدوا عليه حبال الخيش
والقرص رع العظيم بقى صاج خبيز للعيش
وساق محارب قديم مبتورة ف أبو قرقاص
ما تعرف اللي بترها سيف والا رصاص
والا الخراب اللي صاب عقل البلد بالطيش
قال ابن خلدون أمم متفسخة تعيش ليش
وحصان صهل صحى جميع الجيش
على اسم مصر

النخل في العالي والنيل ماشي طوالي
معكوسة فيه الصور .. مقلوبة وانا مالي
يا ولاد أنا ف حالي زي النقش في العواميد
زي الهلال اللي فوق مدنة بنوها عبيد
وزي باقي العبيد باجري على عيالي
باجري وخطوي ونيد من تقل أحمالي
محنيه قامتي .. وهامتي كأن فيها حديد
وعينيا رمل العريش فيها وملح رشيد
لكني بافتحها زي اللي اتولدت من جديد
على اسم مصر

مصر .. التلات أحرف الساكنة اللي شاحنة ضجيج
زوم الهوا وطقش موج البحر لما يهيج
وعجيج حوافر خيول بتجر زغروطة
حزمة نغم صعب داخلة مسامعي مقروطة
في مسامي مضغوطه مع دمي لها تعاريج
ترع وقنوات سقت من جسمي كل نسيج
وجميع خيوط النسيج على نبرة مربوطة
أسمعها مهموسة والا أسمعها مشخوطة
شبكة رادار قلبي جوه ضلوعي مضبوطة
على اسم مصر

وترن من تاني نفس النبرة في وداني
ومؤشر الفرحة يتحرك في وجداني
وأغاني واحشاني باتذكرها ما لهاش عد
فيه شيء حصل أو بيحصل أو حيحصل جد
أو ربما الأمر حالة وجد واخداني
انا اللي ياما الهوى جابني ووداني
وكلام على لساني جاني لابد أقوله لحد
القمح ليه اسمه قمح اليوم وأمس وغد
ومصر يحرم عليها .. والجدال يشتد
على اسم مصر

للشاعر الكبير عم الشعراء صلاح جاهين

صلاح جاهين بين عبدالناصر وعبدالحليم

لا يمكـــن أن ننكـــر العلاقة بين الفن والأحاسيس الوطنية للشعوب، والفن هو التعـــبير الصادق لما يعتمل في داخل أفراد الشعب، وفي الأحداث العظيمة والجليلة مثل الثورات والانتصارات، والانكسارات تكون المهمة الملقاة علي عاتق الفن كبيرة، وبقدر إيمـــان الفن بتلك القضايا، وبقدر القناعة الداخلية للفنانين يكون الإبداع، ويكون الفن تعبيرا صادقا عن الحالة التي يمر بها الوطن.

هـــذا القـــول صدق بشكل واضح علي ثورة يوليو وارتباط الفن بها وبمبادئها وبقائدها، وهنا ستجد حالة خاصة سرت في الروح العربية، وروح الانجذاب للفن المعبر عـــن المـــرحلة، فوجدنا انجذاب الجمهور لما يغنيه عبدالحليم حافظ وبما يكتبه صلاح جـــاهين، لقـــد التمـــست الـــروح العـــربية درجة الصدق والإخلاص في هذا الفن.

بدايات المشوار

ولد محمد صلاح الدين حلمي الشهير بصلاح جاهين في ١٩٣٠/١٢/٢٥ وبعد دراســـته الثانوية التحق بكلية الحقوق، ثم انتقل إلي كلية الفنون الجميلة، عمل بجريدة الجمهـــورية عام ١٩٥٣، ثم بجريدة القاهرة ١٩٥٤ ثم روز اليوسف وفيها بدأ مشواره مـــع فن الكاريكاتير، وساهم في إنشاء مجلة صباح الخير، ثم انتقل للعمل بالأهرام، وبدأ مـــشواره الشعري عام ١٩٥٥ وأصدر جاهين ستة دواوين شعرية، وعندما قامت ثورة يوليو آمن صلاح جاهين بمبادئها وأصبح معبرا عن أحلامها وفلسفتها وذلك من خلال مجمـــوعة من الأغنيات الوطنية الجميلة، التي انطلقت إلي كل الآفاق من خلال صوت عبدالحلـــيم حـــافظ وألحـــان كمـــال الطـــويل ومحمـــد الموجـــي.

بلغ قمة شهرته الشعرية عام ١٩٦٥ حين أصدر ديوانه قصاقيص فاختفي من الأسواق فـور صـدوره من شدة الإقبال الجماهيري عليه، وصدرت منه الطبعة الثانية ونفدت أيـضا.. صـلاح جاهين كان يري نفسه إنسانا مختلفا عن كل إنسان آخر من ناحية واحـدة فقـط هي الكاميرا التي بداخله التي تلتقط ما يغفل عن التقاطه الآخرون، نعم كـان يستفيد من تجاربه في حياته الخاصة أو حياة الآخرين ويجعل منها أو من مواقف فيها، محورا للعمل الذي يبتدعه.

الثورة والزعيم

كان إيمان صلاح جاهين بالثورة وبالقائد جمال عبدالناصر يفوق الوصف، إيماناً مطلقاً بالثورة وبمبادئها كان يري في الثورة وزعيمها تحقيقا للعدل والمساواة، إنها ثورة العقل والإرادة ومن ثم شحذ كل إمكاناته وقلمه من أجل أن يغرس الثورة ومبادئها في نفوس كل أفراد الشعب.

كـان لابـد لهذه الثورة من توظيف مفاهيم وترويج شعارات تحريضية وتعبوية وكـان شـعار القومية العربية هو الشعار الذي عبرت بواسطته عن مشروعها القومي العربي، أما مضمون هذا الشعار فيتألف من ثلاثة مفاهيم: الوحدة والاشتراكية والحرية، ومـن دون شك فلقد كان شعار القومية العربية الذي رفعه عبدالناصر من الشعارات المحركة للوجدان، الملهبة للحماس، الموحدة للصفوف.

والمـدهش أن صلاح جاهين الذي كان يضحك جميع الأطفال في مسرحه إلي درجـة لا يـصدقها عقل، هذا الرجل كان نادر الضحك وكان من الماركسيين بعد الطـوفان النكسة يسمي بالصامت المكتئب، وفي الحقيقة انتهي جهد كل الماركسيين والراديكاليين في ٥ يونيو وبيد عبدالناصر نفسه.

وهـــناك عدد من الكتاب يقولون إن يوم وفاة عبدالناصر والناصرية بل والفكر اليساري كله في مصر ليس ٢٨ سبتمبر ١٩٨٠ وإنما ٩ يونيو ١٩٦٧.

يقــول صلاح جاهين: إيه عجبي، تسير حياتي مضطربة هائجة مثل عصري من بعد القلم المُكن اللي كلنا أخذناه في ١٩٦٧.

يكتب جاهين:

لو كان فيه سلام في الأرض وضمان وأمن
لو كان مافيش ولا فقر ولا خوف ولا جبن
لو يملك الإنسان مصير كل شيء
أنا كنت أجيب للدنيا ميت ألف ابن
عجبي

صـــلاح جــاهين كان متفقا ومتوافقا مع ثورة يوليو والدعوة إلي التجديد من الجـــذور إلي القمـــة، كانت الثورة حلما وأملا في إقامة مشروع قومي عربي ضد كل اســـتغلال واســـتبداد، مشروع قومي ضد كل صور الاستعمار والرجعية وكل صور الفـــساد، ربما نجانب الصواب عندما نقول كان أمله وطموحه أكبر من كل ما تطرحه ثورة يوليو، كان صلاح جاهين محبا للزعيم جمال عبدالناصر وكان القائد بمثابة الرهان علي المستقبل وعلي كل ما هو خير.

كـــان يري في الثورة وزعيمها تحقيقا للعدل والمساواة، إنها ثورة العقل و لإرادة ومـــن ثم شـــحذ كل إمكاناته وقلمه من أجل أن يغرس الثورة ومبادئها في نفوس كل الشعب.

ويلاحـــظ أن إقامـــة الصناعة الوطنية لم تكن فقط لأغراض التنمية الاقتصادية ولكن جزء من تحقيق التنمية المستقلة، وكذلك عمليات التأميم الكبري في عام ١٩٦١، ١٩٦٣ لم تكـــن لهـــدفي التنمية وتحقيق العدل الاجتماعي ولكن حلقة في بناء هيكل

الدولـــة الوطنية، وسيطرتما علي مصادر الإنتاج واستخدامها كذلك لدعم استراتيجية الاستقلال الوطني.

ويستخدم صلاح جاهين الكلمة للتعبير عن إيمانه بالزعيم وبالثورة.. وكما يقول الأســتاذ كمــال رمزي: تميزت قصائد صلاح جاهين بنكهتها الجديدة، ذات الترعة الــشعبية الــتي تــستوحي مشاعر الناس وتفوح منها رائحة الأرض والعرق الشريف، وتحيل، بلا افتعال، قضاي الوطن العامة، إلي قضايا تكاد تكون شخصية، وتصبح هموم الــوطن هي هموم القلب.. عند صلاح جاهين لم يعد حب الوطن يأتي من أجل الماضي التلــيد أو من أجل خيره العميم أو بسبب نيله ونخيله، ولكن الوطن أصبح هو الشعب الــناهض، الفلاحين والضايعين وهو المستقبل الذي تسهم الجموع في صنعه، يقول في قــصيدة إحنا الشعب التي لحنها كمال الطويل، وغناها عبدالحليم قبل العدوان الثلاثي بعدة أسابيع:

ياللي بتسهر لجل ما تظهر شمس هنانا
إحنا جنودك إيدنا في إيدك مصر أمانة
بكرة وطنا ح يصبح جنة وانت معانا
ياللي واعدنا بأيام عيدنا هل هلالك
بكرة يا بكرة مشتاق نظرة لسحر جمالك
بكرة بطلنا بجهد عملنا ييجي أمالك
واحنا اخترناك
راح نمشي وراك.. إحنا الشعب

هكذا كلمات مليئة بالإيحاء، تعبر عن موقف واضح من الحياة والوطن، تنبع من تجــربة نفــسية صــادقة، عامــة وخاصة في ذات الوقت، تبايع الرئيس وتؤكد إرادة الــشعب.. ويبرز كمال الطويل المعني العام، الواثق والآمل، في القصيدة، بدءا بالمطلع القوي إحنا الشعب.. إحنا الشعب والذي يؤكد فيه حق الجماهير في الاختيار الحر حتي

يـــصل إلي منتهـــي الرقة والعزوبة في جملة بكرة يا بكرة مشتاق نظرة لسحر جمالك. وظـــل صلاح جاهين المدافع والمناضل من أجل هدف الثورة ولذلك وجدناه متألقا في الأغنـــية الوطنـــية وأنـــواعها ويقـــول.. جاهين.. هناك الأغنية السياسية، والثورية، والتهييجـــية، والتثقيفـــية، وتنتمي أغنياتي إلي الجزء التعليمي فقد كنت أحاول شرح الاشتراكية والثورة لأقرب ذلك إلي الأذهان، وكان عبدالحليم حافظ يساعد علي ذلك لأنه لو غني كلمة بس تلاقي كل الناس ترددها.. وفي ١٩٦٧ اندبح الطير وبقي الجرح الأليم.. ويكتب جاهين:

ساعات أقوم الصبح قلبي حزين
أطل بره الباب يخدني الحنين
إللي لقيته ضاع.. واللي اشتريته اتباع
واللي قابلته راح وفات الأنين.

الجمال في الرباعيات

تكمـــن الجمالـــيات عند جاهين في مدلول وعمق الكلمة، الكلمة لدي جاهين تحمـــل العمق في المعني وتشع أضواء باهرة عند وضعها علي السطور.. إنها تحمل الدلع والرشاقة وفي نفس الوقت قدرة النفاذ إلي عمق الوجدان الإنساني.. الكلمة عند جاهين سهلة جدا.. صعبة جدا.. في آن واحد.

في رباعياته نلمس مدي قناعته بقيم العمل والنضال والتغيير، وفي رباعياته أيضا تحصد الكثير من المعاني وحكمة العقل والإحساس عبر السنين.

وكما أسلفنا نجد في رباعياته الإيمان الطاغي بالعمل والبناء، كانت مهمة الكلمة عـــنده أن تقوم بدور في البناء الوطني، أن تفجر طاقات العمال في كل مكان، أن يؤمن كـــل فـــرد في الـــوطن بأهمية دوره في الوطن وفي المسيرة وفي الثورة العظيمة.. يقول جاهين:

يجعل كلامي فانوس وسط الفرح قايد
يجعل كلامي علي السامعين بفوايد
يجعل كلامي لا ناقص ولا زايد
إحنا في وقت البنا مـ' احناش في وقت كلام
يجعل كلامي حجارة ومونة وحدايد

هنا تشعر بقيمة وثراء الكلمة عند جاهين، الكلمة عنده لا تقف عند مدلولها أو مفهــومها المتعارف عليه، بل هي تكتسب معني خاصا وتشحن وتطلي وتتلون بألف لــون وبألف شحنة في كل مرة، فهل كسر جاهين مقولة المفاهيم الأوسطية للألفاظ؟ ربما.

وتـــزداد أنات صلاح جاهين، لما يلاقي كل اللي كان راح! وكل بنايات الحلم الكبير انهدّت واندكت ونزلت في الأرض.. ويقول صلاح جاهين:

آدي اللي كان، وادي القدر والمصير
نودع الأفراح، نودع الأشباح
راح اللي راح، ماعدش فاضل كتير..

ويتأمل جاهين مرور السنين ويشوف فيها الدموع ويشوف فيها الفرح ويقول:

إيه اللي خدته من مرور السنين
يا قلبي إلا دمعتك والأنين
بتئن وبتفرح وترجع تحن
مع إن مش كل البشر فرحانين
عجبي

وفي النهاية يصل جاهين لكل كلمة الوجود والحياة ويعرف أن كل شيء باطل وكلـــه في الفاشوش.. وكل شيء مالهوش طعم ولا لون ولا حتي ريحة حتي لو كانت الدنيا ربيع..

نسمة ربيع لكن بتكوي الوشوش
طيور جميلة بس من غير غشوش
قلوب بتخفق.. إنما وحدها
هي الحياة كده؟ كلها في الفاشوش
ويسأل صلاح جاهين الطبيب:
كيف شفت قلبي والنبي يا طبيب
همد ومات.. ولا سامع له دبيب
قال لي لقيته متخنق بالدموع
ومالوش دوا غير لمسة من إيد حبيب
عجبي

ولما مالقاش الحبيب.. ولما مالقاش الأمان راح ساب كل الحياة ومشي.. صلاح جاهين في ١٩٨٦/٤/٢١.. هل يا تري في حد ما يعرفش صلاح جاهين؟؟.

د. حسن يوسف

جريدة الأهالي

دردشة حول صلاح جاهين

ولـــد صلاح جاهين فى ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٠ م بحى بشبرا فى شارع جميل باشا. وصلاح جاهين هو الأكبر بين إخوته.

والــده المستشار بهجت حلمى الذى تدرج فى السلك القضائى بدءً من وكيل نيابة حتى عُين رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة.

كانت ولادة صلاح جاهين متعثرة تعرضت أثنائها والدته للخطر، فوُلد شديد الــزرقة دون صـــرخة حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتاً، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال .

وكانـــت لهـــذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أن الولادة المتعثرة تترك آثارهـــا على الطفل فتلازمه طول حياته وقد تتسبب فى عدم استقرار الحالة المزاجية أو الحـــدة فى التعبير عن المشاعر - سواء كانت فرحاً أو حزناً، وهو ما لوحظ فى صلاح جـــاهين الـــذى يفـــرح كالأطفـــال ويحـــزن لدرجـــة الاكتـــئاب عند المصائب. اســـتطاع صلاح جاهين ببساطته وتلقائيته التعبير عن كل ما يشغل البسطاء بأسلوب يـــسهل فهمه واستيعابه، وهو ما جعله فارساً يحلق برسومه وكلماته ويطوف بها بين مخـــتلف طـــبقات الشعب المصرى، بل كانت جواز سفره لمختلف البلدان العربية التى رددت كلماته حَفْزاً للعمل والانجاز

فهـــو شاعر ورسام كاريكاتور ، وكاتب سيناريو ، لم يستكمل دراسته بالفنون الجمـــيله ، ولكنه درس الحقوق ، عمل رساما فى العديد من الصحف ، اخرها الاهرام وقد توفى العام ١٩٨٦ عن خمسة و خمسين عاما.

و كـــان و كأنه كان يعرف أن القدر لن يمهله فدخل في سباق معه أنجز خلاله مئات القصائد التي تراوحت بين الزجل و الشعر العامي و الشعر الشعبي التي تحولت إلى أغنيات غناها عشرات المطربين المصريين، و راوحت بين أغاني الحب و الأغاني الوطنية والأغاني الخفيفة، و كتب أيضا عددا من الأوبريتات الغنائية ربما كان أشهرها أوبريت اللــيلة الكبيرة الذي ما زال يحتفظ بألقه حتى اليوم، و مئات الرسوم الكاريكاتيرية التي بدأ في رسمها أسبوعيا في مجلتي صباح الخير و روز اليوسف الأسبوعيتين، قبل أن ينتقل إلى صـــحيفة الأهـــرام التي كانت آنذاك في أوج ازدهارها، فكان يلخص في رسومه اليومية تلك و في صورة كاريكاتيرية ساخرة الموقف السياسي السائد آنذاك.

بدأ صلاح جاهين يكتب الشعر الكلاسيكي في أواخر الأربعينات، قبل أن يبلغ العــشرين مــن عمره. لكنه قرأ يوما قصيدة بالعامية المصرية لشاعر لم يكن قد سمع به آنــذاك، فقرر التعرف إليه و كان له ذلك. و لم يكن ذلك الشاعر سوى فؤاد حداد، الــذي أثر فيه تأثيرا كبيرا و جمعته به صداقة عميقة استمرت فيما بعد حين تزوج ابن صــلاح جــاهين، و هو شاعر أيضا من ابنة فؤاد حداد. و في أواسط الخمسينات بدأ صــلاح جاهين مسيرته الفنية التشكيلية في مجلة روز اليوسف، ومسيرته الشعرية التي بلغت ذروتها في ديوانه الشهير والكبير "الرباعيات."

خــلال الفتــرة التي فصلت بين أواسط الخمسينات و بين الخامس من حزيران (يونــيو) ١٩٦٧ غــنى صــلاح جاهين للحب و الشباب والأطفال، كما غنى للثورة المــصرية و لزعيمها جمال عبد الناصر. و لكنه بعد النكسة التي حدثت في ذلك اليوم أصيب بحالة من الكآبة لم يشف منها حتى رحيله، فتوقف عن كتابة الأغاني و الأناشيد الوطنــية، و اتجــه إلى الكــتابة في اتجاهين؛ الشعر التأملي العميق كما في الرباعيات، والأغاني الخفيفة، و التي ربما كان أشهرها تلك الأغاني التي غنتها الممثلة سعاد حسني في فيلم "خللي بالك من زوزو"، مثل الأغنية التي حملت عنوان الفيلم، و"يا واد يا تقيل" و

غيرها. و الطريف أن ملحن هذه الأغاني هو الموسيقي الكبير كمال الطويل، الذي كان في الفتــرة السابقة، يلحن له أغانيه الوطنية و الحماسية مثل "صورة" و"ياأهلا بالمعارك" و"بستان الاشتراكية" و غيرها.

كما لحن له آخر أغانيه الوطنية وهي" راجعين بقوة السلاح."

و قــد قــال صــلاح جاهين مفسرا حالة الكآبة التي دخل فيها و مبررا قراره بالتوقف عن كتابة الأغاني الوطنية، إنه كتب الأغنية المذكورة التي لحنها كمال الطويل لتغنــيها أم كلــثوم عشية هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .وتقول كلمات الأغنية:

راجعين بقوة الســـــلاح...... راجعين نحرر الحمى

راجعين كما رجع الصباح....... من بعد ليلة مظلمة

وفي اليوم التالي جاءت النكسة على نقيض مروع من الأمل الذي تحمله كلمات هــذه الأغنــية، فلــم يحتمل قلب صلاح جاهين المثقل كل هذا الألم فدخل في حالة الاكتئاب حتى مات في العام١٩٨٦.

من أعماله السينمائية

تمثيل:

١) لا وقت للحب
٢) اللص والكلاب
٣) المماليك حوار:
٤) اللعنه
٥) المتوحشه
٦) خللى بالك من زوزو
٧) شيلنى واشيلك
٨) شفيقه ومتولى

سيناريو:

١) المتوحشه
٢) خللى بالك من زوزو
٣) شفيقه ومتولى

****

و من آراء بعض كبار الفنانين فيه ":

كانت طاقة صلاح جاهين الفنيه تدفعه الى ممارسة كثير من الفنون ، كان يرسم الكاريكـــاتير ، و يؤلف الاغانى و المسرحيات و السيناريوهات ، و كان موسيقيا يضع الألحان ، و يقوم بالتمثيل على المسرح و أمام الكاميرا ، و كان ناجحاً نجاحاً باهراً فى كل هذه الاعمال"

(احسان عبد القدوس)

"كـــان صلاح جاهين شمساً تشع بالفرح رغم أن باطنه كان ليلاً من الأحزان العمـــيقة ، و كـــان يدارى أحزانه و يخفيها عن الناس ، ويصنع منها ابتسامه ساخره ويظهر على الناس بوجهه الضاحك كل يوم"

(أحمد بهجت)

و أعلنه الفنان جورج البهجورى ملكاً على عرش الكاريكاتير .

لاتستطيع ان تستحضر للذاكرة العبقرى المصرى المبدع صلاح جاهين (١٩٣٠ -١٩٨٦) الا وتحـــضر معه بالضرورة كوكبة من المبدعين الذين زاملوه واشتركوا معه فى صنع السيمفونية الباهرة للثقافة والفنون والفكر التحررى المثير فى عصر مصر الذهبى فى الخمسينات والستينات من القرن العشرين. فيحضر معه بالضرورة زميلاه الشاعران أحمـــد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور وكان الثلاثة يعملون فى غرفة واحدة تضم مكاتبهم الثلاثة فى دار روز اليوسف ويقول حجازى: "كان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحا وحضورا، كان يرسم وينظم بالعربية وكان احيانا يغنى بعض الأغنيات الاسبانية مـــن تـــراث الحرب الأهلية، بالاضافة الى أغنيات روسية، وفى تلك الغرفة سمعت من صـــلاح جـــاهين معظـــم أغنياته التى نظمها فى الخمسيات وأوائل الستينات: ويقول حجازى انه رغم بدانة جاهين فإنه هو الذى علمه رقصة النالس! ويقول حجازى: "لم يكـــن صلاح جاهين صوتا بسيطا مفردا، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصـــوت البشرية، صوت الجماعة فى الواقع وفى الحلم معا، صوت جماعة ناهضة حرة مـــتقدمة ســـعيدة منتمية لحضارة العصر مشاركة فى صنعها[1]. فصلاح جاهين ليس ثمرة تـــراث قومى مغلق وانما هو ثمرة التراث القومى والتراث الانسانى، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر مايدين لشوقى وبيرم التونسى".

كمـــا لابد أن يحضر معه للذاكرة أيضا شاعر مصر الكبير صلاح عبد الصبور. لــيكون هـــو المقابل المخالف المضاد لصلاح جاهين ربما فى كل شئ، روحا وجسدا، شـــكلا وموضوعا، فعبد الصبور هادئ حزين متشائم، يكتب بالفصحى شعرا للنخبة المـــثقفة عاكسا ثقافة عالمية نخبوية، بينما جاهين صاحب مرح متفائل يكتب بالعامية لعامـــة الـــشعب شعرا وغناء يفوح برياحين صبايا القرى وأحلام رجل الشرع وتعبه اليومى، دون ان يتخلى عن عمق انسانى فلسفى بالغ التأثير. ولايشترك "الصلاحان" – جاهين وعبد الصبور– سوى فى أن كليهما استطاع ان يُؤثر تأثيرا حاسما على جيله فى مجـــال ابداعه .فيمكن القول أن عبد الصبور قد شكل الذائقة الشعرية والوجدانية لجيل مـــصرى كامل بقصيدة واحدة هى "احلام الفارس القديم"، والتى اعترف بعض رواد الـــشعر فى الجيل التالى أنهم كانوا يجوبون طرقات القاهرة ليلا منشدين المقاطع الشهيرة لهذه القصيدة بصوت مرتفع.

وبيـــنما قـــام عبد الصبور بتشكيل الذائقة الشعرية لجيل كامل من الشعراء من بعده، قام جاهين بتشكيل الذائقة الوجدانية لجيل الثورة بأكمله، شعراء وفقراء وبسطاء وعمـــالا وفلاحين وموظفين وعاشقين وحالمين. من هنا تأتى أهمية هذا الشاعر الشعبى العظـــيم، ولهـــذا أقوم بالمقارنة بينه وبين صلاح عبد الصبور، فبينما نال عبد الصبور تقديـــرا كـــبيرا مـــستحقا فى الوسط الثقافى المصرى، فإن جاهين فى اعتقادى لم ينل مايـــستحقه من تقدير يناسب انجازاته الهائلة فى ميادين الابداع المتنوعة التى طرقها، من الرسم الكاريكاتورى الى شعر العامية والزجل والاغنية والأشعار المسرحية والسينمائية والفوازير التليفزيونية ومسرح العرائس والسيناريو السينمائى فضلا عن الأناشيد الوطنية التى صنع منها جاهين فنا جديدا قائما بذاته.

شاعر الثورة

بينما اجد بعض النقاد يطلقون على صلاح جاهين لقب "مغنى الثورة" لان كل ماكتبه كان يتحول الى أغنيات ثورية شعبية بصوت فنن الثورة عبد الحليم حافظ بألحان الموسيقار الفريد كمال الطويل، وربما مع بعض التردد فى اطلاق لقب شاعر الثورة عليه، فى ميل للإحتفاظ بلقب شاعر لمن يكتبون بالفصحى، الا أننى لاأجد أى محل للتردد فى وصف جاهين بشاعر الثورة المصرية، فهو وحده من استطاع ان يترجم مشاعر وأحلام وأفراح ملايين المصريين الى كلمات حية متوثبة مليئة بالدفء والزهو والنشوة. فبينما كتب عبد الصبور وحجازى بعض القصائد الفصحى المعبرة عن بعض جوانب تلك الفترة، فإننا لانجد فى قصائدهم تلك حرارة ولهفة وصدق المشاعر اللافحة التى نجدها فى كلمات جاهين، كما وكيفا، ولعل من المفارقة ان القصيدة الوحيدة الدافئة الحس المرهفة الصدق التى كتبها حجازى فى تلك المرحلة بأسرها هى قصيدته العميقة فى رثاء عبد الناصر "مرثية الزمن الجميل" بينما –على العكس– كان رحيل عبد الناصر هو نهاية مرحلة الشعر الثورى لدى جاهين.

فى أشعاره" الثورية "لم يكتب جاهين شعارات باردة جوفاء بل استطاع ان يغوص فى اعماق الانسان المصرى المتطلع الى عالم أفضل ليستخرج منه بكلمات عامية بسيطة وبليغة فى آن واحد، أجمل ما فيه من أغنيات ومزامير راح ينثر بها البهجة والفرح الحقيقى بالفجر البهى القادم على الأفق. لم تكن فى كلماته أية ظلال لافتعال سياسى او تعبوى، بل كانت مشاعر عفوية صادقة ترقص فى قلبه المتفائل المحب للحياة فتتحول عبر شاعريته الأصيلة الى أناشيد للفرح والحب واللهفة المتوثبة. ولأن هذه المشاعر كانت تعبيرا صادقا عن الوجدان المصرى الجارف فى تلك المرحلة، لم يكن صعبا على مبدع مرهف آخر مثل كمال الطويل أن يضع لها ألحانا نابعة من عمق الوجع المصرى الطويل وصاعدة فى نبرات متسرعة لاهثة فرحة متشوقة للغد الأجمل الذى وعدت به القلوب الفائرة الثائرة.

وبهـذا الصدق والفرح والتفاؤل كتب جاهين– وغنى عبد الحليم– أناشيد إحنا الـشعب (٥٦) وبالأحـضان (٦١) والمسئولية (٦٣) وياأهلا بالمعارك (٦٥) وصورة وناصر وغيرها.

وكـان مـن المدهش حقا إستقبال الجماهير لهذه الاناشيد وتجاوبها معها حفظا وغـناء وكأنها أغنيات فى الحب والصبا والجمال وليس فى الثورة والحرية والكرامة بل والسياسة الاقتصادية (على راس بستان الاشتراكية/ واقفين بنهدس ع المية/ أمة أبطال/ علما وعمال / ومعانا جمال)..

مزامير الحب والبهجة

فى نفـس الـوقت الذى كان يكتب فيه جاهين هذه الأناشيد الوطنية الشعبية الـواعدة، كان يكتب أيضا مزامير الزهور والحب والبهجة . فهو عاشق للحياة يحبها بحس شاعر ونزق طفل وتهور شاب مقبل على مباهج الأحلام المنتظرة فى فرح حقيقى. ان علاقة جاهين بالفرح علاقة اساسية حميمة.

يقول فى رباعياته الشهيرة:

أنا اللى بالأمر المحال إغتوى
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا
طلته ماطلتوش إيه انا يهمنى
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى
عجبى

ويقول فى رباعية أخرى:

فتحت شباكى لشمس الصباح
مادخلش منه غير عويل الرياح

وفتحت قلبى عشان أبوح بالألم
ماخرجش منه غير محبة وسماح
عجبى

وفى تأكيد على أهمية الفرح العام الجهورى المعلن يقول

كرباج سعادة وقلبى منه انجلد
رمح كأنه حصان ولف البلد
ورجع لى نص الليل وسألنى ليه
خجلان تقول أنك سعيد ياولد؟

ويقول فى شعر الغزل والشقاوة والمحبة:

يا بنت يام المريله كحلى
ياشمس هاله، وطاالله م الكومه
لو قلت عنك فى الغزل قوله
ممنوع عليا والا مسموح لى؟
وفى رباعية غزلية آخرى يقول:
اوقات افوق ويحل عنى غبايا
واشعر كأنى فهمت كل الخبايا
أفتح شفايفى عشان اقول الدرر
مااقولش غير حبة غزل فى الصبايا
عجبى

مسئولية الكلمة :

يعرف صلاح جاهين مسئوليته كمبدع وكشاعر. كثيرا ما يشير الى الصمت فى شعره كمرادف للموت، ويشير الى الكلمة كمرادف للحياة. يقول فى قصيدة بعنوان" اتكلموا:"

اتكلموا.. اتكلموا.. اتكلموا
محلا الكلام، ماألزمه، ماأعظمه
فى البدء كانت كلمة الرب الاله
خلقت حياه والخلق منها اتعلموا
فإتكلموا
الكلمة ايد الكلمة رجل الكلمة باب
الكلمة لمبة كهربية فى الضباب
الكلمة كوبرى صلب فوق بحر العباب
الجن ياأحباب مايقدر يهدمه
فاتكلموا

وفى رباعية جميلة يقول :

ياعندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك واحكى على بلوتك
الغنوه مش حتموتك...... إنما
كتم الغنا هو اللى ح يموتك

فيلسوف الفقراء

ينفـــرد جـــاهين بخاصية هامة تمنح شعره- على بساطته وعاميته- بعدا فلسفيا لانعـــرف لـــه مثـــيلا لدى شعراء العاميه الآخرين بل ولانعرف له مثيلا لدى شعراء الفـــصحى المصريين، فيما عدا رفيقه صلاح عبد الصبور الذى إتسمت معظم أشعاره بأبعادها الفلسفية الانسانية الشاملة.

وهنا ايضا- وعلى الأخص- لم يحصل جاهين على حقه من التقدير، بسبب النظرة العدائية من الوسط الثقافى النخبوى للعامية، وربما بسبب التحيز للفصحى والخوف عليها، مع قدر من عدم التصديق لإمكانية ان تقول العامية الدارجة معان تقرب من مدار الفلسفة المقدس. ولكن لايصح ان يمنعنا مثل هذا الموقف الاستعلائى الزائف والخائف من ان نخوض فى رفق وحدب فى أعماق أشعار جاهين لنكتشف مابها من جواهر فكرية ووجدانية بديعة. فإنك لتجد فى رباعياته أصداء لفلسفة سارتر الوجودية ولمواقف البير كامو فى اغترابه ولجرأة نيتشه الذى لم تكن فلسفته سوى شعرا مكثفا. بالإضافة الى نهل جاهين من التراث الفلكورى المصرى والعربى الاسلامى والمسيحى. ومزجها كلها فى صوت صادق متفرد هو صوته وحده .ولننظر الى بعض رباعياته التى يمكن اعتبار كل رباعية منها أطروحة فلسفية كاملة تطرح كل منها أحد الأسئلة الوجودية الهامة فى تصوير بالغ الإيجاز والإيحاء والدهشة:

عيد والعيال اتنططوا ع القبور
لعبوا استغماية ولعبوا بابور
وبالونات ونايلونات شفتشى
والحزن ح يروح فين جنب السرور!
عجبى

الدنيا صندوق دنيا.. دور بعد دور
الدكة هى .. وهى كل الديكور
يمشى اللى شاف ويسيب لغيره مكان
كان عربجى او كان امبراطور
عجبى

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام
وحيد ولكن بين ضلوعى زحام
خايف ولكن خوفى مني أنا
أخرس ولكن قلبى مليان كلام
عجبى

علمى ان كان الخلق من أصل طين
وكلهم بينزلوا مغمضين
بعد الدقائق والشهور والسنين
تلاقى ناس أشرار وناس طيبين
عجبى

وكان هذا الفيلسوف الجميل مفتوح القلب سريع البديهه. وأذكر انني استمعت اليه مرة فى برنامج إذاعى اسمه "جرب حظك" سأله فيه، مقدمه عباس أحمد: من فى رأيك أعظم رسام كاريكاتير فى العالم؟ فأجاب جاهين الذى كان بدينا، قصيرا، أصلعا، وكأنه كرة ضخمة: الحقيقة أنى كل ما بصيت فى المراية عرفت ان ربنا سبحانه وتعالى هو أعظم رسام كاريكاتور فى الدنيا ! فانفجر الجمهور ضاحكا.

عالمى النزعة

رغم ان صلاح جاهين كان يغنى للاشتراكية فى إخلاص المثقف المنتمى للفكر اليسارى المنحاز للفقراء والبسطاء بشكل اساسى الا انه كان مثقفا وليس ايديولوجيا منغلقا. ومازلت أذكر أنه فى اليوم التالى لإغتيال الرئيس الامريكى الشاب جون كيندى فى عام ١٩٦٣ فوجئت فى جريدة الاهرام التى كانت تنشر لجاهين رسما كاريكاتوريا

شهيرا كل يوم أنها تنشر له قصيدة رائعة فى رثاء الرئيس الامريكى لم أعد أذكر كلماتها ولم اجـدها بعـد ذلك ولكنى اذكر جيدا انه ختمها وهو يهتف ملتاعا باسم الرئيس الامريكـى قائلا: ياجون.. يايوحنا المعمدان! وقد أثرت فى نفس هذه الخاتمة المدهشة للقـصيدة .ولم افهم للوهلة الاولى لماذا يخاطبه بيوحنا المعمدان. اذ كنت مازلت طالبا فى ذلـك الوقت. ولم يكن فى ذهنى أن جون هى بالعربية يوحنا. فكانت هذه المقاربة الجمـيلة فى القـصيدة والتى تدل على انفتاح جاهين السياسى والدينى معا، فلم تمنعه يساريته الفكرية من التعاطف مع رئيس امريكى شاب كان مثقفا ثقافه انسانية حقيقية وقـف امـام نفوذ التحالف الصناعى العسكرى فى بلده واشاع فى العالم كله أملا فى مـستقبل اجمل ..ولامنعته ثقافته الاسلامية من معرفة واستخدام رمز مسيحى شهير هو يوحـنا المعمـدان الـذى كان يوصف بالصوت الصارخ فى البرية لقوته وشجاعته فى المجاهـرة بالحـق حـتى اوصله هذا الى تقديم رقبته على طبق هدية لسالومى من الملك هيرودس أنتيبى الذى صرخ فى وجهه يوحنا المعمدان يوما: هذا لايحل لك!

فرسان الثورة

إستطاعت الثورة المصرية منذ ولادتها وبسبب اهتمام عبد الناصر بالثقافة والفنون والادب اساسا ان تخلق مناخا إجتماعيا مثيرا لعوامل الابداع الانسانى فى جميع المجالات .. وانطلقـت مـع بدايـة الثورة وبشكل تلقائى مدهش شرارة الخلق والابداع الفنى والفكرى فى عدد هائل من الشباب المثقف الصاعد من قرى ونجوع مصر الزاحف نحو القاهـرة والاسـكندرية فإذا بمئات ومئات من المبدعين تتصاعد أنجمهم فى سماء مصر حـاملين رايات ملونة زاهية لأعمال جديدة مدهشة فى كل مناحى الابداع.أرصد هذا لأوضح أن صلاح جاهين –وان كان حقق صوتا متفردا مميزا فى الشعر وفنانا مبدعا فى الرسـم وغـيره من الفنون – لم يكن وحيدا وانما كان واحدا من "جيش" مدهش من المـبدعين المجـددين الذين استقوا من ينابيع الجسد المصرى المتفجر بإرهاص الولادات

الجديدة ووعود الاحلام المثيرة القادمة فى فورة إبداعية نعرف الآن أنها كانت -للأسف -إستثنائية فى تاريخ مصر المعاصر.

وقد كان لجاهين شاعر الثورة المصرية وواضع مزاميرها الجماعية المحفزة أثر كبير فى حـركة النهـضة الفكرية التحرَرية المواكبة، فقد راح فى رسومه وكلماته وأناشيده وأشعاره يرسم ملامح المجتمع الحر القادم فى عيون شباب وصبايا يعانقون أحلام الحب الجميل والحرية الاجتماعية والتحرر الفكرى البادئ بالذات والممتد نحو الانسان فى كل مكان.

وكـان لهذه الفورة الابداعية والتفجر الغنى المثير فعل السحر فى الشباب المثقف الـصاعد الى حـد انه حتى المثقفين الذين دخلوا السجون فى تلك الفترة بشبهة الميول الشيوعية او اليسارية المتشددة خرجوا منها وهم على إخلاصهم العجيب للثورة التى لم تـتورع عـن التهام عدة سنوات من شبابهم الحالم، وهى ظاهرة لا نعرف لها مثيلا فى التاريخ.

هل خان نفسه؟

حيـنما أصـيبت الثورة المصرية بجرح هزيمة ٦٧ الغائر، ثم برحيل فارسها عبد الناصـر عام ٧٠، شاهد جاهين كل شئ ينهار من حوله، فأصاب شاعر الثورة احباط الانكسار ودخل فى صمت المطعون المكلوم. ومع صعود الرئيس "المؤمن" - الذى كان معـروفا طوال سنوات الثورة بأنور السادات لنكتشف فجأة ان اسمه الحقيقى هو محمد انـور السادات !- أطلقت الاشارة لبدء حركة الهجوم الوحشى والتشويه المجانى لكل جـوانب الثورة، المظلم منها والمضئ معا، حتى أن السد العالى نفسه – الذى أعترف العـالم مخرا انه اهم عشرة مشاريع هندسية فى العالم فى القرن العشرين – لم يسلم من حملة التشويه الآثمة لإنجازات الثورة.

ولم يجد شاعر الثورة له مخرجا من نفق الاحباط وظلمة الاحساس بالغبن والضياع وربما لوم الذات وانكار الحلم بل ومعاداته سوى الدخول الى دوامة العمل السينمائى السهل فى حركة هى اقرب الى حركات مهرج السيرك الذى يضحك الآخرين بقلب نازف – فكتب لصديقة دربه سعاد حسنى اغنيات فيلمها "خلى بالك من زوزو" الذى حقق نجاحا جماهيريا ساحقا، بين جماهير متغيرة كانت قد تعبت من وطئة احلامها طوال عشرين عاما، وتعبت من الحروب والمعارك والاناشيد، وارادت ان تنسى وترقص وتلهو على انغام تقول لها ان "الدنيا ربيع، والجو بديع، قفلى على كل المواضيع" وهكذا نظر بعض المثقفين فى حزن الى شاعر الثورة وفارسها القديم وقد انكسرت قوادم احلامه (كما تنبأ صلاح عبد الصبور) وتحول مغنى الجماهير الى مضحكها . وهو دور استنكروه عليه ولكنه لم يستنكره على نفسه فقد كان دائما منحازا الى الجماهير البسيطة يعبر عن أحلامها وآمالها وعن ضحكاتها وأوجاعها . ولم يجد غضاضة فى ان ينحاز اليها فى لهوها ومزاحها وهو المنحاز أبدا للفرحة والبهجة.

وقد أراد له –وتوقع منه– البعض ان ينخرط –وهو شاعر الثورة– فى حركة المعارضة الشعبية والطلابية لنظام السادات قبل حرب العبور كما فعل احمد فؤاد نجم بأشعاره الجارفة التى لحنها وغناها الشيخ امام والتى دخلا السجون بسببها . ولكن جاهين لم يفعل ولم يكن له ان يسير فى درب غير دربه فعالمه الشعرى ليس عالم احتجاج ومعارضة ضد النظام فقد كان منسجما مع النظام الناصرى الذى كان منسجما مع أحلام الفقراء وآمال المثقفين معا، وجاهين المنحاز للفرح فى الحياة لم يجد فى نفسه طبيعة الصدام والمعارضة والهجوم على الآخرين. بما فى هذه من العنف العاطفى والخشونة الوجدانية الضرورية للتحمل والصمود . نعم هو شاعر الحلم الثورى لكنه ليس شاعر الغضب والتصدى والتعدى، ولذلك كانت لأناشيده الثورية دائما جانب الاعراس المحفوف بالأجراس والمزامير والرقصات الشعبية، فليدع التصدى والمناوءة

والغضب الشعبى لغيره من الشعراء مثل نجم. فهل كان فى هذا خائنا لنفسه أم متسقا معها؟

لاشك ان هذا سؤال سيستدعى إجابات متناقضة من نقاد مختلفين. اما انا الذى طالما اترعت قلبى مما كان يسكب لنا جاهين كل يوم من مياه المحبة والبهجة والأمل المثير فليس عندى له سوى فيضان من مشاعر العرفان والممنونية والإنحياز الحميم.

ولعل أجمل مايعبر عن حالة جاهين تلك بعد أنهيار أحلام الثورة التى شارك فى صنعها هى رباعيته التى كتبها عندما أصابه انسداد فى شرايين القلب احتاج الى جراحة فى صيف ١٩٨١:

يامشرط الجراح أمانة عليك
وانت فى حشايا تبص من حواليك
فيه نقطة سودة فى قلبى بدأت تبان
شيلها كمان.. والفضل يرجع اليك.

لقد كانت النقطة السوداء قد احتلت قلبه الكبير وراحت تكبر فيه وتنهشه هى نفسها النقطة التى اصابت قلب مصر مع جرح ٦٧ ومع رحيل ناصر وانهيار احلام الجيل الصاعد وتسليم السادات مفاتيح مصر للتيارات الدينية الظلامية التى أطفأت مصابيح مصر واحدا بعد الآخر وحاربت الفن والفكر والابداع والتحرر والمساواة والفرح والبهجة والانطلاق والغناء والرقص والمزامير ، فكانت هى الخاتمة السوداء لاحدى أجمل فترات النهضة المصرية فى تاريخها الحديث.

سيظل جاهين صوتا مميزا مزهوا فى الوجدان المصرى الى الأبد.

فالشاعر الاصيل لايعرف موتا ولاصمتا. وهو الذى قال:

دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت
وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا
لكن حاجات أكتر بترفض تموت.

قصيدة الدرس انتهى

كـان لحـرب الاسـتتراف أثر كبير في نفس القيادتين السياسية و العسكرية االإسـرائيلية ممـا أفقـدها توازنها و أصبحت تتصرف كثور هائج فأغارت الطائرات الحـربية الاسرائيلية فى صباح يوم ٨ ابريل عام ١٩٧٠ على مدرسة بحر البقر الابتدائية بمركـز الحسينية بمحافظة الشرقية فدمرت المكان وقتلت العشرات من التلاميذ الابرياء الـذين كانوا يرسمون فى كراساتهم عالما خاليا من الحرب والحقد والعدوان . وخلفت وراءها ٧٧ شهيدا وجريحا من التلاميذ والمدنيين

وقـد كتب صلاح جاهين قصيدته لموا الكراريس يصف فيها الوحشية التي قتل بها التلاميذ ويخاطب ضمير العالم العربي و الغربي بأن ينتبه لما يحدث

الدرس انتهى

الدرس انتهى لموا الكراريس
بالدم اللى على ورقهم سـال
فى قصر الأمم المتـحدة
مسـابقة لرسـوم الأطـفال

ايه رأيك فى البقع الحمـرا
يا ضمير العالم يا عزيزى
دى لطفـلة مصرية وسمرا
كانت من أشـطر تلاميذى

دمها راسم زهرة
راسم رايـة ثورة
راسم وجه مؤامرة
راسم خلق جباره
راسم نـار
راسم عار
ع الصهيونية والاستعمار
والدنيا اللى عليهم صابرة
وساكته على فعل الأباليس
الدرس انتـهى
لموا الكراريس..
ايه رأى رجال الفكر الحر
فى الفكرادى المنقوشة بالدم
من طفل فقير مولود فى المر
لكن كان حلو ضحوك الفم
دم الطفل الفلاح
راسم شمس الصباح
راسم شجرة تفاح
فى جناين الاصلاح
راسم تمساح
بألف جناح
فى دنيا مليانة بالأشباح
لكنـها قلـبها مرتـاح
وساكتة على فعل الأباليس
الدرس انتـهى
لموا الكراريس...

ايه رأيك يا شعب يا عربى
ايه رأيك يا شعب الأحرار
دم الأطفال جايلك يحبى
يقول انتقموا من الأشرار
ويسيل ع الأوراق
يتهجى الأسماء
ويطالب الآباء
بالثأر للأبناء
ويرسم سيف
يهد الزيف،
ويلمع لمعة شمس الصيف
فى دنيا فيها النور بقى طيف
وساكتة على فعل الأباليس
الدرس انتهى لموا الكراريس

رحم الله صلاح جاهين ، ورحم معه الزمن المصرى الجميل

اسرار عن الشاعر المشهور صلاح جاهين

لعـــب الأدب العربي بجميع فروعه دورا مهما في رفد السينما والاغنية والمسرح وأنواع الفنون الاخرى كافة بأعمال مميزة، منذ البدايات، وساهم رواد حركة التجديد العربية من شعراء وكتاب قصة ومسرحيين بتقديم اعمال فنية لعدد من ابرز نجوم الفن العربي. وقد شهدت فترة الاربعينات من القرن الماضي وما قبلها مزاوجة وانصهارا بين الفــن والادب، وتواصلت هذه المزاوجة حتى اليوم اذ ان الادباء يلعبون دورا مهما في الحياة الفنية سواء في السينما او الغناء.

نــتوقف هنا عند ابرز الادباء الذين ساهموا في تغيير وجه الفن في مصر والوطن العربي.استحق صلاح جاهين لقب فيلسوف الشعر العربي.. فقد خرج من تحت جلباب فؤاد حداد ليقدم أشعارا طازجة بالعامية المصرية ..كاملة الصنعة مثل سبائك الذهب.. لكــن وصف الشاعر رغم أهميته لا يكفي العطاء والمواهب العديدة التي أدهش صلاح جــاهين بها جيله والأجيال التالية.. فقد كان رساما للكاريكاتير رفيع المستوى أسس مدرســة في هــذا الفــن الذي يجمع بين البساطة في الرسم مع روح النكتة والسخرية وملاحــة الفكرة .. وكاتب أغان مدهش يتلهف نجوم وأساطين الغناء على أشعاره.. وممــثل.. وسيناريــست.. ومنــتج سينمائي.. وصانع نجوم في الأدب ــ عبد الرحمن الأبــنودي، وفؤاد قاعود، وسيد حجاب ــ وفي الفن ــ سعاد حسني، وأحمد زكي، وعلــي الحجار، وشريف منير.. وفي النهاية هو رمز من رموز ثورة يوليو التي أعطاها كــل ما يملك ..فأصابته نكستها عام ١٩٦٧ بالاكتئاب والإحباط حتى فارق الحياة .. لكن الأثر الذي تركه لا يمكن محوه من ذاكرة الأدب والفن.

فيلسوف ولاد البلد

صـــلاح جاهين اختار له ناشر طبعته الشعبية لأعماله، الحاج مدبولي، لقبا جعله عنوان الأعمال وهو 'فيلسوف ولاد البلد' وهو لقب يفرط في تسطيح قيمة اهين الذي كتب عنه الشاعر محمود درويش ـــ واصفا إياه: 'هو واحد من معالم مصر، يدل عليها وتـــدل علـــيها، نايات البعيد وشقاء الأزقة ودفوف الأعياد.. سخرية لا تجرح، وقلب يـــسير على قدمين. ولا يتوقف عن الضحك إلا لينكسر، يوزع نفسه في نفوس كثيرة، وينتشر في كل فن ليعثر على الشعر في اللا شعر، وينمو في كل ظاهرة..'. ولد في حي بـــشبرا في شـــارع جميل باشا في٢٥ ديسمبر ١٩٣٠، اسمه الحقيقي محمد صلاح الدين بهجت أحمد حلمي.. كانت ولادته عسرة تعرضت أثناءها والدته للخطر، فولد شديد الزرقة من دون صرخة حتى ظن المحيطون ـن الطفل قد ولد ميتا، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال.

وكـــان لهذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أنها تترك آثارها على الطفل فتلازمه طول حياته، وقد تتسبب في عدم استقرار حالته المزاجية أو الحدة في التعبير عن المـــشاعر، ســـواء كانـــت فرحا أو حزنا، وهو ما لوحظ في صلاح اهين الذي يفرح كالأطفال ويحزن لدرجة الاكتئاب عند المصائب.

جده الصحفي الكبير أحمد حلمي، له بصمات عديدة في السياسة، أسس جريدة القطـــر المـــصري، وكان أول صحفي في مصر يذم في الذات الملكية في زمن الخديوي عـــباس حلمـــي، ووالـــده كان مستشارا في محكمة استئناف القاهرة، ووالدته كانت مدرسة.

كـــان دائم الشعور بعدم الاستقرار نتيجة انتقاله مع والده والعائلة إلى أكثر من محافظـــة بحكـــم عمل والده كقاض، مما أثر على شخصيته فيما بعد، فلم يكن مستقرا

علـــى حـــال، كان حلمه أن ينهي دراسته في الفنون الجميلة ويسافر إلى باريس، وفي الـــوقت نفـــسه طامحـــا إلى إرضاء والده ليصبح قاضيا مثله، ووصل به الحال إلى عدم التخرج من أي كلية.

ومـــن ثم قرر العمل في دار نَشر في السعودية وبعد قضاء ٣ اشهر عاد عن قراره واكتـــشف انـــه لا يرغب في جمع المال ورجع إلى القاهرة، وعمل في أعمال بسيطة في بداياته بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣، ثم بجريدة القاهرة ١٩٥٤ ثم روز اليوسف.

وفـــيها بـــدأ مشواره مع فن الكاريكاتير بعد أن اكتشف احمد بهاء موهبته في الرسم، كما عمل عام ٦٢ في جريدة الأهرام، ورئيس تحرير لمجلة صباح الخير. مع ثورة يوليو وجد صلاح جاهين نفسه فأخلص لأفكارها ومبادئها، دونما أن يكون من النوعية التي تجري وراء السلطة طمعا في الشهرة والمال. كان كالكثيرين يرى الثورة تعبيرا عن أحلامـــه في إنصاف البسطاء، والضباط وسيلة لعودة الحكم إلى الشعب المصري الذي قهر لقرون طويلة، فتفجرت موهبته في الشعر.

ارتباط صلاح جاهين بفكر ثورة يوليو وإيمانه العميق بعبد الناصر أدى به إلى أن يكـــتب أغنيات تشيد بالزعيم وبأفكاره. كانت أغنيات رائعة داعبت مشاعر المصريين وأحلامهـــم، وعبرت عن تطلعاتهم في اللحظة التاريخية، فرددوها وحفظوها، خاصة أنه كـــان مـــن الذكاء ليمررها عبر نجوم تلك الفترة في الغناء من الذين كانت تنتظر مصر والعـــالم العـــربي أغانيهم بلهفة، ومثلوا رموزا لفن الثورة. فأنجز مع عبد الحليم حافظ، ومعهمـــا كـــبار ملحني هذا العصر الموجي وكمال الطويل وبليغ حمدي أهم أغنيات للـــثورة الـــتي تعتـــبر مـــشروعا فنيا جسد كل مراحلها منها أغنيات: 'إحنا الشعب' و'المسؤولية' و'إنذار' و'بالأحضان' و'بستان الاشتراكية 'و'صورة' و'نشيد ناصر'، وهي

أغنيات هتفت لبناء السد العالي وكفاح الشعب وللعدل والمساواة وكل الأفكار الكبرى التي كان يرددها هذا الجيل وأثرت على العالم العربي.

وكـــان من الطبيعي أن تغني أم كلثوم أيضا وطنياته، فقدمت معه أربع أغان .. مـــنها اثنتان لحنهما رياض السنباطي هما 'الله معاك' و'ثوار'، وأغنية لحنها محمد الموجي هـــي 'فرحة القنال' بعد قرار تأميم قناة السويس، وأغنية لحنها كمال الطويل هي' والله زمـــان يا سلاحي'، وغنت له فايدة كامل 'احلم يا شعب' و'نهضة جديدة'، وغنت له فايزة أحمد'راية العرب'، وغنى له محمد فوزى'رسالة إلى جندي'، وغنى له محمد قنديل' نشيد الجزائر'. أي أن جاهين ملأ الحياة في مصر بالأغاني عن أمجاد الثورة، لذلك عندما انهزم الجيش المصري في ١٩٦٧ كانت صدمة صلاح جاهين كبيرة، وأصيب بالإحباط والإكتئاب.

وعندما سئل صلاح جاهين عن سر عدم كتابته أغاني وطنية بعد النكسة قال : الحقـــيقة أنني بعد النكسة أصبت بصدمة أحدثت لي نوعا من الشلل ثم أخذت اسأل نفـــسي: هل أخطأت بكتابة هذه الأغاني المتفائلة؟ ألم اشترك 'أنا والكثيرون غيري في خلـــق أكذوبة خدرت أعصاب الجماهير حتى صدمهم الواقع؟ إنني مؤمن بعبد الناصر ومحـــب له كمؤسس لمصر الثورة، مصر التصدي للاستعمار، مصر 'القطاع العام، مصر التـــصنيع وكهربة الريف، مصر العمال والعاملات، مصر الإصلاح الزراعي الى آخر النواحي المشرقة التي حققناها في عصره العظيم. ولكنني تعلمت ودفعت غاليا لأتعلم انه في كل العصور، وحتى في عصر عبد الناصر، كانت هناك الفئران التي تنخر في أساس البـــناء، وأن الـــذي لا يلتفت ويتنبه إليها، يحدث له ما حدث لي من صدمة واكتئاب وندم وضياع.

ربما لا يفهم الشبان هذا الألم، لأنهم لم يصادفوه بعد، وأرجو ألا يصادفوه، وان صادفوه، أرجو بدلا من أن يكتئبوا ويضيعوا أن يواصلوا النضال.

ربما شعر صلاح جاهين بمسؤوليته كمبدع ـــ على نحو ما ـــ فيما حيث من هزيمة .. لكن كان قراره مزاجيا وعصبيا لا تمجيد لأحد بعد الآن حتى لو كان الثمن الابتعاد عن الشعر. وهذا الموقف دفع ثمنه في السبعينات بمنع إذاعة أغانيه أو تكليفه بكتابة أغان للإذاعة والهجوم عليه بضراوة.. لكنه كان سحب إبداعه الى منطقة أخرى هي السينما.

في السينما جرب جاهين نفسه في مجالات عديدة، التمثيل، وكتابة السيناريو، وكتابة أغاني الأفلام، والإنتاج.

دخل الى عالم السينما في بداية الستينات، بالتمثيل في عدد من الأفلام مثل 'اللص والكلاب' (إخراج كمال الشيخ ١٩٦٢) و'من غير ميعاد' (أحمد ضياء الدين ١٩٦٢) و'لا وقت للحب'(صلاح أبوسيف ١٩٦٣) والفيلم الأميركي 'القاهرة' (١٩٦٣ (الذي شارك فيه عدد من كبار الممثلين المصريين، و'المماليك' (عاطف سالم) ١٩٦٥ في هذه الأفلام لعب جاهين أدوارا ثانوية جدا، كضيف شرف تقريبا، ولم يحقق نجاحا يذكر كممثل باستثناء دوره في 'لا وقت للحب' حيث لعب دور بدير، الصديق الذي يختبئ عنده الفدائي شكري (رشدي أباظة) ويرحب به في البداية، ولكن تنتابه الغيرة عندما يكتشف أن الفتاة التي يسعى للتقرب منها (فاتن حمامة) وقعت في حب صديقه، فيطرد الاثنين من منزله.

يحمل توزيع الأدوار في هذا الفيلم سخرية غير مقصودة ـــ أو مقصودة ـــ من فكرة أن جاهين، شاعر ثورة يوليو هو أحد رموزها، يلعب دور الرجعي اللامنتمي سياسيا، بينما رشدي أباظة، الذي ولم يعرف عنه يوما لعب أي دور سياسي، يلعب

دور البطل الثائر. والطريف انه عندما حاول اهين أن يلعب دورا اقرب الى طبيعته في فـيلم 'المماليك'، كثائر يحاول اغتيال الملك الظالم، بدا مضحكا وغير قابل للتصديق، ويبدو انه أدرك أن صورته السينمائية لا يمكن أن تعبر عن روحه الرشيقة البليغة، لذلك آثر الابتعاد عن التمثيل بعد هذا الفيلم.

من علاقته الوطيدة بالنجمة سعاد حسني، التي كانت تعتبره أباها الروحي، ولد فيلم 'خللي بالك من زوزو' (حسن الإمام ١٩٧٢ (الذي شارك في إنتاجه بالإضافة الى كتابة السيناريو والأغاني والذي حقق نجاحا غير مسبوق في السينما المصرية، وتحول الى ظاهــرة، وكان لصلاح جاهين الفضل في ذلك. كان' زوزو' لقاء غير منطقي بين اهين وبين حسن الإمام، المخرج الذي اعتبره نقاد وسينمائيو ثورة يوليو احد رموز الرجعية والفــن الهــابط المدمر. وقد شن هؤلاء على الفيلم و جاهين حملة نقدية شرسة تتهمه بالتــنازل والــسقوط..و لم يصدق هؤلاء أن مؤلف أغاني 'بستان الاشتراكية' و'أهلا بالمعــارك' و'أحلــف بــسماها وبترابها' يمكن أن يكتب كلمات مثل 'يا واد يا تقيل' و'زوزو النوزو كاونوزو.'

كــتب ســامي السلاموني عن الفيلم تحت عنوان 'سقوط جاهين في فخ نعيمة ألماظــية': 'هنا سخرية من كل شيء وتشويه لكل شيء.. وبيع للرقص والإثارة وعالم الكــباريه كمــا هــي العادة.. ثم بيع للقيم والمقدسات وأحلام المستقبل.. وهذه هي الإضافة الجديدة التي يقدمها فنان العشرين سنة الماضية الذي تحول إلى منتج.'

لم يــع هــؤلاء حجم الصدمة التي تعرض لها جاهين بفعل النكسه. وبعد مضي الــسنين كتب الناقد كمال رمزي في مقال له عن سعاد حسني: 'الحق أننا ظلمنا هذا الفــيلم كــثيرا عندما رفضناه جملة وتفصيلا، الآن، وبعد مرور أكثر من عقد ونصف العقد على إنتاجه، تبدو لنا قيمته الإيجابية أكثر وضوحا.'

بعد ذلك كتب جاهين لسعاد حسني فيلما آخر هو 'أميرة حبي أنا' عن قصة لنجيب محفوظ ومن إخراج حسن الإمام أيضا ١٩٧٤، غنت فيه أغنيتها الشهيرة الأخرى 'الدنيا ربيع والجو بديع.. قفلي على كل المواضيع'. لم تدم هذه الفترة المبتهجة طويلا لدى جاهين ولا سعاد حسني، فسرعان ما دخل الاثنان في الاكتئاب مجددا وانعكس ذلك على اختيارالهما الفنية.

كتب جاهين قصة الفيلم الرابع 'عودة الابن الضال' الذي أخرجه يوسف شاهين عام ١٩٧٦ وهو واحد من تحف السينما المصرية النادرة.. وبعيدا عن مستواه السينمائي الرفيع، هو أعظم مرثية لعهد عبد الناصر ونبوءة كابوسية بالتمزق الذاتي الذي يعاني منه العامل العربي على مدار العقدين التاليين. أما الأغاني التي كتبها جاهين لهذا الفيلم فهي من أفضل ما كتب سواء أكانت أغاني أو شعرا، خاصة أغنية 'مفترق الطرق' التي يبدؤها بقوله: 'ساعات أقوم الصبح قلبي حزين..اطل برة الباب ياخدني الحنين.. أدي اللي كان وأدي القدر وأدي المصير.. نودع الماضي وحلمه الكبير..نودع الأفراح.. نودع الأشباح.. راح اللي راح معادش فاضل كتير'. وتعد هذه الأغنية التي شدت بها ماجدة الرومي ولحنها كمال الطويل واحدة من أهم الأغاني العربية الحديثة علي مستوي اللحن والأداء والتصوير والسينمائي أيضا، وفي زمن الفيديو كليب كثيرا ما تبث هذه الأغنية الآن على القنوات التليفزيونية.

بعد 'عودة الابن الضال' كتب جاهين سيناريو فيلم مهم آخر هو 'شفيقة ومتولي' الذي أخرجه علي بدرخان عام ١٩٧٨ الذي لعبت بطولته سعاد حسني مع احمد زكي ومحمود عبد العزيز، وكتب له جاهين أغنيته الشهيرة 'بانو علي أصلكو بانو'، وبالإضافة لذلك شارك جاهين بصوته في الفيلم كراو لبعض الأبيات الشعرية التي تعلق على الأحداث.

لم يكـــرر جاهين تجربته في التمثيل منذ دوره في 'المماليك' ولكنه يبدو انه كان يعـــشق فـــن التمثـــيل والممثلين بشكل خاص، ولعل ذلك سر تبنيه لعدد من الممثلين الموهوبين واعتبارهم كأبنائه تماما. على رأس هؤلاء طبعا سعاد حسني التي كان يحتفظ بـــصورة كبيرة لها من فيلم 'شفيقة ومتولي' في غرفة نومه، وهناك الكثير من الحكايات التي تبين عمق علاقة الحب المتبادل بينهما، الشيء نفسه ينطبق على احمد زكي الذي اكتشف جاهين موهبته منذ أن كان زكي طالبا في معهد الفنون المسرحية، حيث بدأت العلاقـــة بيـــنهما عندما حصل زكي علي دور قصير في اوبريت 'القاهرة في ألف عام' الذي كتبه جاهين..

وكـــتب جاهين لسعاد فيلما آخر هو 'المتوحشة' (سمير سيف (١٩٧٩ يعد من أفـــضل أفلامها أيضا، كما كتب لسعاد واحمد زكي معا حلقات مسلسل 'هو وهي ' الـــذي يعد واحدا من انجح المسلسلات التي قدمها التلفزيون المصري علي الاطلاق، وكالعـــادة تحولت بعض أغاني هذا المسلسل الي أعمال شعبية خالدة مثل 'الشوكولاتة ســـاحت 'و'البـــنات أجمل الكائنات' و'خالي البيه' وغيرها. كذلك تبني جاهين ممثلا موهـــوبا آخر هو شريف منير وكان له فضل نجاحه ودخوله مجال التمثيل.. كما تبنى موهـــبة علي الحجار ورعاه ودفعه في غناء رباعياته التي لحنها سيد مكاوي.. إضافة الى الفوازيـــر الرمضانية التي كتبها والتي قدمها بتميز مع فهمي عبد الحميد. الحقيقة أبدع صـــلاح اجاهين في السينما والغناء بشكل يدفعنا الي القول: 'ما أحوجنا إلى مبدع مثله الآن!'

صلاح جاهين
نجح في تحميل العامية معاني فلسفية

القاهـــرة – الراية – خالد بيومي: الوحدة راية ونجمتينها صبايا علشان عيونهم ياما راحوا ضحايا شجعان زمان فرسان حروب الوحدة من دمهم نبتت وصبحت راية وكـــم شهيد وسط الميدان وجريح هتف وقال بكل عربي فصيح مجد العرب في الوحدة عـــندما تقرأ هذه السطور لابد ان تعرف انها للشاعر صلاح جاهين الذي غني للوحدة العـــربية حتي تحقق الحلم وقد تحدث بلسان الزعيم جمال عبدالناصر وهو يخاطب العالم مـــن شرفه قصر الضيافة وقد استولت عليه النشوة في الرباعية السابقة تتذكر هذا كله بعـــد أن أقام المجلس الاعلي للثقافة احتفالية بمناسبة مرور ستة وسبعين عاماً علي ميلاد صـــلاح جاهين وقد تحدث في بداية الاحتفالية الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي الذي قال عندما نحتفي بصلاح جاهين نري أنفسنا وقد تألقت وتزينت واستعادت شجاعتها وفـــرحها بالحياة وثقتها بالمستقبل صلاح جاهين الذي نقرأه فنخرج من جلودنا الميتة وتصبح لنا أجنحة نطير بها وقلوب نحس بها .والسؤال الذي أود ان أطرحه منذ البداية هو سؤال اللغة فقد اعتدنا ان ننسب صلاح جاهين للعامية ونعتبره شاعراً من شعرائها او زعيماً لهم ولاشك ان العامية المصرية هي اللغة أو اللهجة التي نظم بها صلاح جاهين أشـــعاره لكنـــنا نبتعد كثيراً عن شعر صلاح ولا نقدره حق قدره إذا حصرناه في إطار اللهجـــة الـــتي نظم بها قصائده بل نحن نبتعد عن شعره وشعر غيره من شعراء جيله اذا عزلنا شعر العامية عن شعر الفصحي ورجعنا في فهمه وتقديره الي اللهجة التي كتب بها وحـــدها لاننا في هذه الحالة سنهمل المثل والقيم التي جمعت بين شعراء الجيل ممن كتبوا بالعامية والفصحي ومكنتهم من لغة شعرية تكاد تكون مشتركة ونحن نعرف ان صلاح جاهين نظم محاولاته الاولي بالفصحي وفي القالب العروض الموروث الذي كان لا يزال

سائداً منتجاً حتي أواخر الاربعينيات لكن الحركة الوطنية التي أصبح فيها للعمال صوت وللجماعات الاشتراكية تأثير ونفوذ لفته الي شعر العامية المصرية، شعر بيرم التونسي وفؤاد حداد الذي تعرف عليه صلاح شخصياً وتأثر به وقرأ شعراء المقاومة الفرنسية في الوقت الذي كان يقرأ فيه المعلقات وشعر العامية اللبنانية وقصائد الشرقاوي والبياتي ولويس عوض ولغة صلاح جاهين هي ثمرة هذا المناخ الذي مكنه من لغة لا تلتزم حدود العامية ولا تلتزم حدود الفصحي وإنما هي لغة عامية فصحي في ذات الوقت لغة شعرية للغناء بالتحديد والغناء الذي أتحدث عنه هو الذي تنطق به أفئدتنا وتهتز له حواسنا وان لم نرفع به أصواتنا لغة صلاح جاهين الشعرية لا يشخصها معجمها او نحوها فحسب بل يشخصها ايضاً عالمها الفكري والعطفي، أحلامها وهمومها، الشقاء الانساني والامل الانساني، التقدم، الحرية، السلام، الحب العائلي والاخوة البشرية يشخصها هذا الافق الذي كان يتحرك فيه صلاح جاهين فيجد إيلوار ولوركا وناظم حكمت وبيرم التونسي وفؤاد حداد وعبدالرحمن الشرقاوي وكمال عبدالحليم وعبدالوهاب البياتي ومعين بسيسو صلاح جاهين ليس مجرد شاعر عامية والعامية وحدها لا تعرفنا به وإنما الشعر هو الذي يعرفنا به انه شاعر. ثم قدم الناقد فاروق عبدالقادر بحثاً بعنوان صلاح جاهين مغني سنوات الزهو والانتصار قال فيه : ان رحيل صلاح جاهين قد مس نبضاً حياً في قلب كل مصري ومن المؤكد ان رحيله ليس حدثاً عابراً لفنان عاش وكتب ورسم وصنع أفلاماً ثم مات ومن المؤكد ان غياب صلاح جاهين انما هو غياب مرحلة كاملة حين كان القلب الاخضر والآمال الممتدة الي أفق فسيح لا حد لانقسامه حين كان القائد علي رأس شعبه يمتشق سيفه ويخوض المعارك ويعود مكلل الهامة بالانتصار حين خرجت جماهير المصريين تتصدي للعدوان وتمزج : ح نحارب والله زمان يا سلاحي، حين كانت سواعد المصريين والسوفيت جنباً الي جنب وكتفاً الي كتف تقيم السد العالي وترفع قواعده حين بدت الاشتراكية حلماً

اقتــرب تحقيقه حين رفرفت راية الوحدة للمرة الاولي في تاريخ العرب الحديث عرب الــشمال والجنوب تجمعهم في حي - دقة قلوبهم غنا ونظرة عيونهم مني ومهما تعددت وجـــوه صلاح جاهين وتنوع عطاؤه يبقي وجهه الحقيقي هو الممثل المؤدي دائم الولع بالاقــنعة ولعــب الادوار والذي يحفظ له مكانه في قلب تاريخ مصر الحديث انه كان مغــني سنوات الصعود والزهو والانتصار وجاهين رمز وشارة لمرحلة بأكملها تفاوتت المواقــف بعــد رحيله وانصرفت عنه لتلك المرحلة ثمة من يصفي حساباته القديمة معه، وثمــة مــن يسقط عليه اخطاءها، وثمة من يرثي نفسه حين يرثيه وما اسرع ما لبست كلمات الباطل اثواب الحق .. ثم قدم الشاعر حسن طلب بحثاً بعنوان جماليات صلاح جــاهين فقــال.. ان ارتــباط الشعر بالفلسفة جديد علي شعر العامية ونادرة في شعر القصص في تراثنا كله..وقال عنه طه حسين... انه ثاني شاعر فيلسوف في تراثنا العربي وهــي كلمــة فــيها تعتيم واختزال لان الشعر العربي استطاع الاقتراب من الاسئلة الوجــودية والحــياة الاخــري ولغز الموت والمصير وهي قضايا لا يستطيع اي شاعر الاقتــراب منها الا اذا كان واقفاً علي ارض الفلسفة وفي الشعر الجاهلي كانت اللحظة الفلسفية هي اللحظة الملهمة ويتجلي ذلك في المقدمة الطليلة حيث وقف الشعراء علي الاطلال يسألون ويبكون ويستبكون حتي ابراهيم ناجي في العصر الحديث .. وصلاح جــاهين يقف علي طلل الوجود في مواجهة الزمن ويثير اسئلة لا اجابة لها ويجعل تجربة الــسؤال الفلــسفي هي التجربة الام وتشكل الملمح العام لهذه التجربة. وكنا نظن ان العامــية لا تــستطيع ان تنهض بعبء هذا التفلسف ويمكن الاشارة في هذا الصدد الي عامــية شوقي في اغانيه والمستوي الفلسفي البعيد والمركب حيث يتعامل مع مجردات وتجارب لم تنهض بها الا القصص ... وتطويع اللغة العامية لكي تنهض بهذا العبء هو انجــاز صــلاح جــاهين وفــن الرباعيات هو الفن المناسب للتعبير عن هذه اللحظة والرباعيات لم تكن معروفة في ذلك الوقت باستثناء مثنويات جلال الدين الرومي وهو

فــن جديــد مثل الموشحات، وهو من اقدم الفنون للتعبير عن التجارب المركبة لدي المتصوفة بالذات مثل ابن الفارض الذي كتب بعض الرباعيات فيها درجة تكثيف عالية وتنقــي الشعر من الحشو والتداعيات والاسترسال واصبح صالحاً للتعبير عن التجارب الفلــسفية الــصعبة والتي اختارها جاهين قلباً في رباعياته واتخذ بحر الرجز في البداية والذي تطور الي البحر السريع... وتأتي كلمة عجبي للتعليق علي كل رباعية و لم تشعر بملــل ونجــد انفسنا نرددها وهي موجودة بوصفها لحظة معرفية فهي سؤال لم يجد له جــواباً وقيمتها في فلسفة السؤال وقدرته علي ايقاظنا وموقف العجيب يذكرنا بموقف الدهشة عند فلاسفة اليونان فالفلسفة عندهم بنت الدهشة وقديماً قال د .عبد الخزاي : اذا كــنت تعجــب فيما تري.. فما ستري بعده اعجب وقدم الدكتور زين نصار بحثاً بعنوان غنائيات صلاح جاهين فقال: لم أجد اجماعاً علي حب شخص مثلما حدث مع صلاح جاهين الذي كان يغني الكلمات التي يكتبها ويؤلفها وبالرغم من سلاستها فقد كانت تحمل صورة وهناك ارتباط بين موهـته في الرسم وشعريته.. لقد جاءت كلمات صــلاح جــاهين معبرة في كثير من الاحيان عن الاحداث الجارية في بلاده ففي عام ١٩٦١ غــنت ام كلثوم من كلماته والحان رياض السنباطي اللحن الوطني ثوار والذي يقــول مطلــع كلماته ثرار ... والاخر مدي ثوار . وغني عبدالحليم حافظ العديد من الاغاني الوطنية من كلمات صلاح جاهين، الحان كمال الطويل مثل اغنية احنا الشعب يولــيو ١٩٥٦ بمناســبة اختــيار الــشعب المصري المصري جمال عبدالناصر رئيساً للجمهــورية وكــذلك اغنيات بالاحضان، المسئولية، يا اهلاً بالمعارك، ناصر ياحرية والصورة الموسيقية الغنائية الرائعة صورة .. كما غنت الفنانه سعاد حسني اغنيات ياواد ياتقــيل و الدنــيا ربيع بالاضافة الي اغنيات مسلسل هو وهي الذي قامت ببطولته مع احمد زكي وغنت فايزة احمد من كلماته اغنية الام من الحان محمد عبدالوهاب . ثم قدم صلاح جاهين والملحن سيد مكاوي ثنائياً رائعاً حيث قدم العديد من الاعمال الناجحة

والتي اشهرها الليلة الكبيرة .. وقدم الشاعر مسعود شومان بحثاً بعنوان صلاح جاهين.. واســـتلام التراث الشعبي قال فيه ان القاريء لاشعار جاهين ستأخذه البساطة الاسرة ويـــدرك معـــرفته العميقة بالمفردات النوعية لفلاحي مصر .بما يعكس خبرة واسعة لهذا العـــالم كأنـــه ولد لاب فلاح، كما سيلمح القاريء انتشاراً في بعض المفردات المتعلقة بالعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية فضلاً عن عناصر الانطولوجيا الشعبية. ويراوح جاهين بين استلهامه لبعض ايقاعات وتراكيب بعض الاغاني الشعبية مرة بشكل ضمني واخـــري عبر تضفيره لها في نصه.. وثالثة كمصدر بعيد يتعلق بالنص الاصلي في صورة مفردات

من رباعيات صلاح جاهين

سهير ليالي و ياما لفيت و طفت
و ف ليه راجع في الضلام قمت شفت
الخوف ... كأنه كلب سد الطريق
و كنت عاوز أقتله .. بس خفت
عجبي !!

كان فيه زمان سحليه طول فرسخين
كهفين عيونها و خشمها بربخين
ماتت لكين الرعب لم عمره مات
مع إنه فات بدل التاريخ تاريخين
عجبي !!

عجبتني كلمة من كلام الورق
النور شرق من بين حروفها و برق
حبيت أشيلها ف قلبي .. قالت حرام
ده أنا كل قلب دخلت فيه اتحرق
عجبي !!!

رقبه قزازة و قلبي فيها انحشر
شربت كاس و اتنين و خامس عشر
صاحبت ناس م الخمرة ترجع وحوش
و صاحبت ناس م الخمرة ترجع بشر
عجبي !!!!

ليه يا حبيبتي ما بيننا دايما سفر
ده البعد ذنب كبير لا يغتفر
ليه يا حبيبتي ما بيننا دايما بحور
أعدي بحر ألاقي غيره اتحفر
عجبي !!!!

ورا كل شباك ألف عين مُفتوحين
و انا وانتي ماشيين يا غرامي الحزين
لو التصقنا نموت بضربة حجر
و لو افترقنا نموت متحسرين
عجبي !!!

الساخر الكبير (صلاح جاهين)
بقلم: سامى كمال الدين*

مــثل قطعة من وطن.. أو قطعة من حب.. أو قطعة من زهر.. أو مثل ابتسامة خرجت و لم تعد الشفاه مزمومة مرة أخري يأتي صلاح جاهين..

ذلك الوجه الذي مهما حاولت الريشة أن ترسمه فإنها تنتقص من حقه، فكتابات ورســومات صلاح جاهين مثل قصيدته "القاهرة في ألف عام".. حياة كاملة لهذا البلد ترسم أناتها وضحكاتها..ثورتها وتحريرها ثم انكسارها.

عــاش صلاح جاهين مثلما عاشت مصر.. كانا معاً مترافقين لحظة بلحظة وليلة بليلة ودمعة بدمعة، أحبها وهي في عز عنفوانها مقتدياً بجده الصحفي الكبير أحمد حلمي الذي لم يتبق منه سوي ميدان وشارع في حي شبرا وأغنية شعبية رغم أن أحمد حلمي تــرأس تحرير جريدة النواء، وكان الصديق المقرب للزعيم مصطفي كامل ومحمد فريد، وكانت في بيت صلاح جاهين صورة كبيرة له بتوقيعه وعليها إهداء لجده أحمد حلمي وقــد عاشت ثورة ١٩١٩ في أعماق صلاح جاهين رغم أنه من مواليد ١٩٣٠ لكن اسطوانات سيد درويش والتاريخ الذي كان يسكن بيتهم جعلوه مفتوناً بثورة ١٩١٩

كانــت طفولة صلاح جاهين تحمل شقاوة وحنية لا مثيل لها -حسب وصف شــقيقته بهــيجة-التي تقول: كان يكره العدوانية ولا يميل إلي الصخب وكان جريئاً لدرجــة أن هــناك صــديقاً للعائلة اسمه الدكتور محمد العناني جاء إلي بيتنا مرة وكان صــلاح في الثالــثة مــن عمره فوقف علي كرسي وقال كاني ماني ودكان الزلباني.. والدكتور العناني..

وبهـيجة كانـت تخطف اللعب من صلاح وتضربه، فتحاول أمهما أن تضربها فيقول لها صلاح: ما تضربيهاش.. هي لسه صغيرة.. وكانت تصغره بعامين.

وجـد صـلاح أمامـه مكتبة ضخمة تركها جده أحمد حلمي فقرأ فيها المتنبي والجـبرتي ومدرسـة أبوللو وشوقي، ولعل هذا هو سر اتجاهه للفصحي أما سر اتجاهه للعامية فيقول صلاح جاهين في حوار تليفزيوني مع الشاعر (فاروق شوشة) لم يذع ولم ينـشر ولدينا نسخة منه أنا الحقيقة كنت في حالي وبعدين لقيت جريدة مكتوب فيها جتة صغيرة علي عامود في آخر الصفحة بإمضاء (فؤاد حداد) ولما قرأتها لقيتها مكتوبة بالعامـية ومكتوبة بألفاظ عادية يعني كده من حديث كل يوم لكن مشحونة بمشاعر كـبيرة جـداً من وجهة نظر رقيقة وفي نفس الوقت معرفش مشحونة بإيه يعني، فأنا أعجبتني النغمة دي جداً ومن وقتها قررت أني مش ح اكتب إلا باللهجة دي.

ورغـم أن كل إبداعات صلاح جاهين تستحق التأمل والتوقف سواء دواوينه (كلمـة سلام) ١٩٥٥ والذي كتب له كمال عبد الحليم مقدمة رائعة، وموال (عشان القـناة) ١٩٦٥ وعن (القمر والطين) ١٩٦١ و(قصاقيص ورق) عام ١٩٦٦ و(أنغام سبتمبرية) ١٩٨٤.. أو رباعياته الفلسفية الشعرية الرائعة التي كتبها أول مرة في شارع قـصر العيني وهو ذاهب إلي مجلة صباح الخير -حسب رواية ابنه الشاعر بهاء جاهين- وترددت في خاطره كلمات تقول:

مع أن الناس من أصل وطين
وكلـهم نازلين مغمضيـن
الدقائق والشهور والسنين
تلاقي نـاس أشرار ونـاس طيبين
عجبي

ووصل المجلة فالتقي برئيس تحريرها (أحمد بهاء الدين) وأسمعه رباعيته ليأخذ رأيه فطلب منه أحمد بهاء أن يكتب رباعية كل أسبوع لتنشر في صباح الخير، ولما طلب منه هـــيكل أن ينتقل إلي الأهرام رسام كاريكاتير عام ١٩٦٢ توقف عن كتابة الرباعيات حـــتي عـــاد عام ١٩٦٦ رئيساً لتحرير مجلة صباح الخير فأكمل الرباعيات وبعد حرب ١٩٦٧ عاد مرة أخري إلي الأهرام.

مـــن إبداعاتـــه أوبـــريت الليلة الكبيرة والقاهرة في ألف عام الذي لم يحقق النجاح المتوقع.. وكتب خلي بالك من زوزو، ليستمر في دور العرض عامين ونصف العام ثم أميرة حـــبي أنـــا ثم المتوحشة الذي سقط ولم يحقق نجاحاً ثم شفيقة ومتولي.. أقول رغم آلاف الإبـــداعات لـــصلاح جاهين فإننا نحاول هنا أن نركز علي سخرياته فهو واحد من أعظم الـــساخرين.. ودوره في السخرية مثل دوره المتميز في الشعر الذي قال عنه (سيد خميس): لقـــد أنـــزل صـــلاح جاهين الشعر الحقيقي من سماء التفاصح (التعقيد اللغوي والمعنوي) مـــسترداً للـــناس بعض شعرهم الحقيقي المسروق والمستكر المبعد عن ديوان الشعر الرسمي لأحقـــاب تاريخـــية طويلة.. كما نفض عن الشعر الحقيقي تراب الواقع وغلظته وتشوهه، ليعـــيد للـــصورة الشعرية الواقعية جماليتها المنسية.. وصلاح منذ بداياته امتلك ناحية الشعر وأوصله لدرجة أكثر من البساطة تأمل قوله في أول دواوينه كلمة سلام:

أربع إيدين علي الفطار
أربع شفايف يشربوا الشاي باللبن
ويبوسوا بعض ويحضنوا نور النهار
بين صدرها وصدره وبين البسمتين
ويحضنوا الحب، اللي جمعهم سوا علي الفطار
ويحضنوا الشمس اللي بتهز الستار
وتخش من بين الخيوط وبعضها مع الهوا

ســأله (زكريا الحجاوي) ذات يوم عن سر اتجاهه إلي الشعر فقال صلاح: لأنني أريــد أن أقول تيرلم تيرلم.. تيرلم.. وبالفعل قال صلاح ترلم ترلم، وقال أيضاً (بان عليه حــبه) لــنجاة.. و(يامــا قلبي قاللي لأ) لفايزة أحمد و(أنا هنا يا ابن الحلال) لصباح وغيرهن.

ومــن حقه أن يقول تيريلم فهو الولد الوحيد علي ثلاث بنات، ووالدته كانت تهتم به وعلمته القراءة والكتابة والحساب أيضاً.. بل يروي ابنه بهاء عنه كان يروي لي كيف كانت تحمله وتقف به في الشباك وتقول له: شايف السما زرقا إزاي يا صلاح؟ شايف السحاب أبيض إزاي؟ وأرضعته أمه أيضاً فيما أرضعته الوطنية.. كانت أمه ممن خــرجن في ثورة ١٩١٩ وزارت بيت الأمة أملاً في رؤية سعد زغلول بعد عودته من المنفي فلم تجد إلا سترة له معلقة علي مشجب فاحتضنتها في وجد وتقديس.

يضيف بهاء: إن الله يسّر الوالد (صلاح جاهين) لما خلق له، فشاء أن يلف مصر من أعلاها إلي أدناها لكي يتشربها وجدانه كلها بصعيدها ودلتاها، وهو بعد صغير فقد كــان والده شأنه شأن الموظفين العموميين في تلك الفترة ينتقل كل عامين أو يزيد أو يقــل، من بلدة لأخرى، ومن محافظة لأخرى، كان أبوه وكيلاً للنيابة لكنه كان وكيلاً مــن نــوع عجيب في جلسات المحكمة، وفي انتظار مرافعته كان يرسم القضاة والمتهم والمحامــي والشهود، وكانت زوجته تصنع تماثيل من الطين وتحرقها في فرن المترل، وقد عملــت قــبل زواجها مدرسة للغة الإنجليزية في مدرسة السنية وفي الفترة القصيرة التي عملــت فــيها، كانــت تكتب كل عام مسرحية لحفلة المدرسة وتخرجها وتصنع لها الملابــس.. وقد خلد (صلاح جاهين) حبّها في قصيدة كتبها في أحد أعياد ميلاده في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٦٠ بعنوان ميلاد قال فيها:

بعد ولادتي في الزمن ثلاثين سنة

صبحت تاريخ زي السيوف والسقايين،

زي الشراكسة والشموع والسلطنة
زي الخيول.. ضاعت سنين في السنين.

ولكـــن للفنان حسين بيكار قصة مع والد صلاح جاهين حين كان والد صلاح يرغب في أن يدرس ابنه الحقوق لكن صلاح كان يري نفسه في الفنون الجميلة.

يقول بيكار: جلست في مكتبي أستمع من بعيد إلي أصداء الصخب المنبعث من مرسم قسم التصوير الذي كنت أرأسه، وقد اختلطت أصوات الطلبة والطالبات محدثة خلـيطاً مـــن الضجيج يتنافي مع جلال المكان الذي ينبغي أن يحاط بغلالة من الصمت الوقور الشبيه بمحاريب العبادة والصلاة..

وفجـــأة وأنـــا أحاول إبعاد هذا الضجيج من وجودي، إذا بطالب قصير القامة يقترب مني بحذر شديد ويقول: اسمي صلاح جاهين سنة أولي تصوير وجئت أستشيرك في مشكلة تقلقني لدرجة أفقدتني توازني.. فأنا أحب والدي لدرجة التقديس، وكانت أمنيـته أن أســلك نفس الطريق الذي سلكه، فألحقني بكلية الحقوق التي قضيت فيها عـــامين مرغماً لأن اهتمامي كله كان منصرفاً إلي الفن.. فقررت أن أنسلخ من كلية الحقـــوق وألتحق بكلية الفنون الجميلة، الأمر الذي كان يرفضه أبي تماماً.. ولهذا تجدني في غاية الحرج لا أريد أن أحبط والدي، كما لا أريد أن أكبت مشاعري الصادقة التي تتصاعد يوماً بعد يوم لدرجة الهوس!!

بهـــرتني شجاعة هذا الطالب وتشبثه بهدفه النبيل، فقلت له: هل في إمكانك أن تحدد لي موعداً ألتقي فيه مع والدك؟

وفي الـــيوم التالي جاء صلاح بصحبة والده، الذي جلس فوق مقعده كأنه أحد تماثيل كهنة آمون.. بادرته بقولي: أرحب بك كوالد لواحد من أكفأ الطلبة الذين أتنبأ لـــه بمـــستقبل يشرفك ويشرف مصر، والفن يا سيدي المستشار ليس مهنة يتبرأ منها

الإنـــسان، فهناك من عمالقة التاريخ من يتربعون فوق قمة المجد والشهرة أمثال مايكل أنجلو ورمبرانت في الخارج وأمثال محمود مختار ومحمود سعيد في مصر، بينما لا نري في المهـــن الأخـــرى مهما تعاظمت من يحتل هذه المكانة في قلب ووجدان الجماهير.. إن مكان صلاح جاهين في الفن، ولا شيء غير الفن.

ارتـــسمت سمات الامتعاض علي ملامح الوجه المتجهم، ورحل الرجل دون أن يطلعني علي قراره الأخير!!

في الـــيوم الـــتالي توجهت كعادتي إلي المرسم، بحثت عن صلاح بين زملائه فلم أعثر له علي أثر.. وفي اليوم اللاحق أيضاً كان المرسم خالياً منه، وتوالت الأيام دون أن أرى صـــلاح منهمكاً في رسم النماذج التي كان يقبل عليها بنهم شديد.. وعلمت من زملائـــه أنه عاد إلي كلية الحقوق إرضاءً لوالده.. ولكنه لم يلبث فيها إلا بعض الوقت حتى انسلخ منها أيضاً وانقاد إلي قدره الذي حدده له التاريخ!!

وتألـــق نجم صلاح جاهين في جميع الميادين، في الشعر، في رسم الكاريكاتير، في التألـــيف الغنائـــي والمسرحي وغني ومثل قال جاهين لأبيه بعد ذلك إنه سيفخر بابنه، وبالفعل حدث هذا ومع أكبر رأس في البلد، مع الرئيس (جمال عبد الناصر) نفسه، فقد عـــين والد صلاح رئيساً لمحكمة الاستئناف العليا، وذهب ليؤدي اليمين الدستورية أمام عـــبد الناصـــر فهمس وزير العدل في أذن الرئيس عبد الناصر بعد ذلك بأن هذا والد صلاح جاهين فابتسم عبد الناصر وعاد ليسلم عليه مرة أخري بكلتا يديه باهتمام أكبر مـــن الأول.. ولما عاد والد صلاح إلي البيت قال لصلاح وهو سعيد: معقولة وصلت المسألة لأن أعرّف بك.

جاءت بوادر السخرية مبكراً عند صلاح جاهين إذ يروي صديقه (هبة عنايت) إنـــه اكتـــشف-وهمـــا طلبة في فصل دراسة واحد بمدرسة أسيوط الثانوية- فيه شاعر

فصحي يلتزم القافية والوزن وقال صلاح أبياتاً من الشعر الفكاهي تلاها عليّ وكتبتُها في حينه، ومنها:

جاءت سنية للدكان باسمة.. عريانة الرأس كي تبتاع منديلاً،
زغزغتها فاستبوخت عملي.. قلت ماذا؟..قالت بس جاك نيلة.

كـــان صـــلاح من الذين لا يعرفون الكثير عن العبقرية والإلهام في العمل الفني، ولكـــنه كان من الذين يعرفون أكثر عن العمل الشاق في الإبداع، كما كان الكاتب الروسي الفذ أنطون تشيخوف يقول عن نفسه، ولثقافته المتنوعة وتذوقه للفن الرفيع في الموسيقي والرسم والمسرح، ولفرط تهذيبه وخجله، وعرف صلاح أنني وسيد منضمان لأحـــد التنظيمات اليسارية السرية التي تقف علي يسار التنظيم اليساري الذي يتعاطف مع توجهاته، وبدلاً من أن ينفر منا وهو النجم الساطع في سماء الصحافة والفن ونحن لا نزال في بدايات الطريق، احتضننا بمودته وعاطفته الرحيبة، وكان نقدنا لبعض رسوماته أو شـــعره أو مـــواقفه والذي لا يخلو من حماقة التطرف يزيد من حنوه علينا ومناقشتنا وتشجيعنا، واحترام رأينا في إنتاجه الفني الذي كان دائم الوسوسة بشأنه، كان يعرض عليـــنا تجاربه الفنية في بداياتها فإذا اكتملت عرضها علي الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الـــذي كان صلاح يعتبره ضميره الثقافي والسياسي (سمي ابنه البكر الشاعر بهاء جاهين علي اسمه) بعد صدور الميثاق الوطني.

رأي صـــلاح أن نعد ورقة عن المفهوم الاشتراكي للأدب والفن، وفاتح الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في الأمر، فرحب بالفكرة وأجهدنا أنفسنا في صياغة الورقة المطلوبة (سيد حجاب وصلاح وأنا) وذهب صلاح بالورقة بناء علي توجيهات هيكل، إلي السيد حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة والمسئول عن الاتحاد الاشتراكي.

وتتجلـــي قمة السخرية عند صلاح جاهين في رسومه الكاريكاتورية وقد تناول قـــضايا في الـــسبعينيات والثمانينيات مازالت تعيش بيننا حتى الآن.. ولو نشرت هذه الرسومات اليوم لما أحسست بفرق الزمن فيها فمثلاً كاريكاتير فيه مراقب وطالب في لجنة امتحان، والطالب يسأل المدرس:

- يا بيه يا بيه يا بيه.
- عايز إيه.
- ميدو بالألف والا بالهيَه؟
- ليه؟
- عايز أكتب اسمي علي ورقة الإجابة!

وستدهش حين تجد كاريكاتيراً عن المياه الملوثة عبارة عن رجل يضبط لبّاناً يملأ قنطاس اللبن من طلمبة مياه حبشية ثم يقول:

بس أنا ما أخلطش اللبن بمية البندر أبداً..
أحسن يتلوث ويحمض!

وهناك كاريكاتيرات عديدة يعبر عن دخول خطوط التليفونات في بعضها وهي مشكلة لا زلنا نعاني منها ومنها واحد بيقول لواحد:

- افتكرت قابلتك فين..
في مكالمة تليفونية، والخطوط سايحة علي بعض!.

وهكذا ظل صلاح جاهين حتي رحيله في ٢٥ ديسمبر ١٩٨٦ شرساً في معاركه طيـــباً وبسيطاً في حياته.. وقد وقف كثيراً بجوار سعاد حسني وساندها في تخطي جميع أزماتهـــا وكانت تعتبره أباها الروحي وتأخذ رأيه في كل شيء يخص حياتها سواء علي المستوي الشخصي أو الفني.. وقد زارته سعاد في موسكو عام ١٩٧٢ حين كان يعالج

في مصحة نفسية بسبب الاكتئاب وبقي فيها ٥ أشهر.. وقد أصيب صلاح بالاكتئاب مرتين، الأولي بعد نكسة ١٩٦٧ وكان قد هوجم بشراسة من النقاد بعد أن كتب خلي بالك من زوزو، والدنيا ربيع، والحياة بقي لونها بمبي.

وفي آخر حياته عاودته نوبة الاكتئاب مرة أخري.. ولم يستطع الفكاك منها.. وراح يتذكر حياته كلها في شريط يمر أمامه ومنها الثورة وعبد الناصر الذي شطب اسمه من قائمة الاعتقالات خمس مرات مهما فسّر له من حوله، ثم علاقته بإخوته وزوجتيه الاثنتين وابنه بهاء.. ثم سعاد حسني وكل شيء.. كل شيء مر بحياته و.. يترك كلماته لبهاء:

أوصيك يا ابني بالقمر والزهور
أوصيك بليل القاهرة المسحور
وإن جيت في بالك اشتري عقد فل
لأي سمرا.. وقبري إوعك تزور..
عجبي

خرج ابن آدم م العدم قلت: ياه
رجع ابن آدم للعدم قلت ياه
تراب بيحيا.. وحي بيصير تراب
الأصل هو الموت ولا الحياة؟
عجبي

* * *

*صحيفة الكرامة القاهرية.

من رباعيات صلاح جاهين

نوح راح لحاله و الطوفان استمر
مركبنا تايهه لسه مش لاقيه بر
آه م الطوفان وآهين يا بر الأمان
إزاي تبان و الدنيا غرقانه شر
عجبي !!

علي رجلي دم .. نظرت له ما احتملت
علي إيدي دم.. سألت ليه ؟ لم وصلت
علي كتفي دم.. و حتي علي رأسي دم
أنا كلي دم .. قتلت ؟ ..... والا اتقتلت
عجبي !!

انا كل يوم أسمع .... فلان عذبوه
أسرح في بغداد و الجزاير واتوه
ما أعجبش م اللي يطيق بجسمه العذاب
و اعجب من اللي يطيق يعذب أخوه
عجبي !!!

ينبوع و في الحواديت أنا سمعت عنه
إنه عجيب .. و ف وسط لهاليب لكنه
شقيت كما الفرسان طريقي .. لقيت
حتي الخنازير و الكلاب شربوا منه
عجبي !!!!

يا قرص شمس ما لهش قبة سما
يا ورد من غير أرض شب و نما
يا أي معني جميل سمعنا عليه
الخلق ليه عايشين حياه مؤلمة
عجبي !!!!

شاف الطبيب جرحي وصف له الأمل
وعطاني منه مقام يا دوب ما اندمل
مجروح جديد يا طبيب و جرحي لهيب
ودواك فرغ مني .... و إيه العمل
عجبي !!!

أعرف عيون هي الجمال و الحسن
و اعرف عيون تاخد القلوب بالحضن
و عيون مخيفة و قاسية وعيون كتير
وباحس فيهم كلهم بالحزن
عجبي !!

إيش تطلبي يا نفس فوق كل ده
حظك بيضحك و انتي متنكده
ردت قالت لي النفس : قول للبشر
ما يبصوليش بعيون حزينة كده
عجبي !!

إقلع غماك يا تور وارفض تلف
إكسر تروس الساقية و اشتم وتف
قال : بس خطوة كمان .. وخطوة كمان
يا اوصل نهاية السكة يا البير تجف
عجبي !!!

صلاح جاهين ..الإنسان والفنان!!

السيرة الذاتية

أنا اللى بالأمر المحال اغتوى
شفت القمر نطيت فى الهوا
طلته ماطلتوش إيه أنا يهمنى
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى
وعجبى !

ترى من هذا الذى اغتوى بالمحال ؟

إنـــه.. محمد صلاح الدين/ بهجت حلمى/ أحمد حلمى/ حسن المهدى/ على / عامر المهدى/ السيد الشريف/ صقر/ جاهين. الشهير بـــ "صلاح جاهين."

اغتوى بالمحال.. عشق الصعب، وطوع المستحيل... افترش خياله بساطاً نسجه مـــن خيوط أفكاره وألوان أحاسيسه، وحلق به فوق المدن والقرى... دخل كل بيت وكـــل قلـــب، أبـــت نفسه التكلف، فخلق دنياه بسيطة .. رقيقة .. تشع منها أنوار الطفولة، وتملأ أرجائها ملامح البسطاء.

البسطاء .. تلك الكلمة السحرية التى أخرجت جنى الشعر ومارد الرسم، وهى نفسها التى استمد منها القوة فى ضعفه، والبهجة فى حزنه .

اســـتطاع صـــلاح جاهين ببساطته وتلقائيته التعبير عن كل ما يشغل البسطاء بأسلوب يسهل فهمه واستيعابه، وهو ما جعله فارساً يحلق برسومه وكلماته ويطوف بهـــا بين مختلف طبقات الشعب المصرى، بل كانت جواز سفره لمختلف البلدان العربية التى رددت كلماته حَفزاً للعمل والانجاز.

رغم الشهرة الواسعة التى حظى بها صلاح جاهين ورغم إجادته الحديث عن مختلف الموضوعات ــ كما يقول عنه المقربون منه ــ لم يُجِد الحديث عن نفسه؛ فأوكل المهمة لأشعاره لتعبر عن مكنونات نفسه.

ولد صلاح جاهين فى ٢٥/١٢/١٩٣٠ م بحى بشبرا فى شارع جميل باشا.

وصلاح جاهين هو الأكبر بين إخوته.

والده المستشار بهجت حلمى الذى تدرج فى السلك القضائى بدءً من وكيل نيابة حتى عُين رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة.

كانت ولادة صلاح جاهين متعثرة تعرضت أثنائها والدته للخطر، فوُلد شديد الزرقة دون صرخة حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتاً، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال .

وكانت لهذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أن الولادة المتعثرة تترك آثارها على الطفل فتلازمه طول حياته وقدِ تتسبب فى عدم استقرار الحالة المزاجية أو الحدة فى التعبير عن المشاعر – سواء كانت فرحاً أو حزناً، وهو ما لوحظ فى صلاح جاهين الذى يفرح كالأطفال ويحزن لدرجة الاكتئاب عند المصائب

مصر تحتفل بمرور ٧٦ عاما على ميلاد صلاح جاهين

القاهرة: أيمن القاضي

احتفل المجلس الأعلى للثقافة المصرية بالشاعر الراحل صلاح جاهين، وجاءت الاحتفالية بمثابة مرثية جديدة لجاهين، الذي سكن وجدان الناس بالأغنية والشعر والكاريكاتير، وبمناسبة ذكرى ميلاده السادسة والسبعين.

«لم يكن جاهين شاعر عامية فحسب، بل كان شاعرا من شعراء الفصحى الكبار». بهذا الرأي استهل الدكتور جابر عصفور، الأمين العام للمجلس، كلمته في الاحتفالية، واتفق معه الشاعر أحمد عبد المعطى حجازي، مقرر لجنة الشعر، فيما كشف الحضور الكبير من المثقفين والشعراء والكتاب، عن الدور الذي لعبه صلاح جاهين في الساحة الثقافية المصرية، وحضوره القوي، رغم رحيله منذ نحو عشرين عاما.

حضر اللقاء الشاعر بهاء جاهين نجل صلاح جاهين وجمهرة من المثقفين، من شعراء وكتاب وسينمائيين، وكذلك المخرج سعد اردش، الذي فاجأ حضوره الجميع، مما حدا بالدكتور محمد عبد المطلب رئيس الجلسة الأولى، الى دعوته للمشاركة بالجلسة والتحدث كأحد المشاركين .

وكشف المخرج جلال الشرقاوي: خلال كلمته، أنه لجأ الى صلاح جاهين في وقت من الأوقات، ليكمل نصا مسرحيا، لم يكمله مؤلفه الراحل نجيب سرور، وأوضح الشرقاوي ان صلاح جاهين أكمل المسرحية في ليلة واحدة، وترك بيته في الثامنة صباحا ليذهب الى الشرقاوي، ويقول له هذا هو النص الذي تريده، حيث يصف الشرقاوي ما حدث بأن صلاح جاهين تقمص روح نجيب سرور واكمل

المسرحية باقتدار . وتحدث أحمد عبد المعطي حجازي عن زمالته لصلاح جاهين في «روز اليوسف» ومجلة «صباح الخير»، وهواياته وغنائه في اوقات الفراغ بالعربية والاسبانية، والسهرات التي كان يشدو فيها صلاح جاهين مع الملحن سيد مكاوي، لتتقاطع وتتشابك مع احاديث الثقافة، عندما ينضم للجمع كامل الشناوي ولويس عوض ونجيب محفوظ ومحمد عبد الوهاب في جلسة سمر، تضم ايضا شعراء وصحافيين وكتابا .

ويصف حجازي لغة جاهين الشعرية بأنها ثمرة العامية والفصحى، فهي لا يشخصها معجمها او نحوها فحسب، بل يشخصها ايضا عالمها الفكري والعاطفي واحلامها وهمومها، الشقاء والأمل، والتقدم والحرية والسلام، والحب العائلي والأخوة البشرية. ثم تحدث زين نصار عن غنائيات صلاح جاهين واعماله التي اشترك بها في السينما، مثل «رابعة العدوية» و«اللص والكلاب» ومسرحية «الليلة الكبيرة»، كما تغنت ام كلثوم من كلماته في اللحن الوطني «ثوار» لرياض السنباطي، ثم «والله زمان يا سلاحي»، ثم غنى له عبد الحليم «احنا الشعب» و«بالاحضان» و«صورة» وغيرها .

كما كتب السيناريو والحوار لعدة أفلام مثل «خلّي بالك من زوزو»، و«أميرة حبي أنا»، «شفيقة ومتولي» و«المتوحشة»، كما شارك في إنتاج أفلام «أميرة حبي أنا»، و«عودة الابن الضال»، وشارك بالتمثيل في عدة أفلام، منها «شهيد الحب الإلهي» عام ٦٢ و«لا وقت للحب» عام ٦٣ و«المماليك» في عام ١٩٦٥. ثم تحدث الكاتب الصحافي مصطفى عبد الله، في ورقة بعنوان «لصلاح جاهين دين في عنقي»، عن بعض ذكرياته مع صلاح جاهين، مشيرا إلى أن جاهين أخرجه من حالة اكتئاب كادت تودي بحياته، ثم تحدث عبد الله عن الشخصيات التي أثرت في صلاح جاهين، أمثال زكريا الحجاوي وروز اليوسف ومحمد عبد المنعم والكاتب الألماني برتولد بريخت صاحب المسرح الملحمي.

وكشف عبد الله عن سر أخبره به صلاح جاهين، في أحد حواراته معه، حيث كان جاهين يعتقد أن رسمه قبيح، وأن درجاته فى الرسم كانت سيئة في فترة المدرسة، وكان المدرسون يسخرون من رسوماته .

وصاحب الاحتفالية معرض كاريكاتير لاعمال صلاح جاهين نظم بالتعاون مع جمعية الكاريكاتير، واصدار كتابين بالمناسبة. وصلاح جاهين، شاعر العامية والشاعر الغنائي وشاعر الرباعيات، اسمه الحقيقي محمد صلاح الدين بهجت أحمد حلمي. ولد في ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٠، بحي شبرا في شارع جميل باشا، وهو الأكبر بين إخوته، والده المستشار بهجت حلمي الذي تدرج في السلك القضائي بدءا من وكيل نيابة حتى عُين رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة، وجده الصحفي الكبير أحمد حلمي .

تلقى جاهين تعليمه في مدرسة اسيوط الابتدائية، ثم مدرسة المنصورة الثانوية، ودخل كلية الحقوق، وفي نفس الوقت، مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٤٧ في جامعة القاهرة، وكان دائم الشعور بعدم الاستقرار نتيجة لتنقل والده والعائلة الى أكثر من اقليم بحكم عمل والده قاضيا.

كان حلمه ان ينهي دراسته في الفنون الجميلة ويسافر الى باريس، وفي نفس الوقت طامحاً الى ارضاء والده ليصبح قاضياً مثله. ووصل به الحال الى عدم التخرج من أي كلية، ومن ثم قرر العمل في دار نشر في السعودية، وبعد قضاء ٣ أشهر عاد عن قراره واكتشف انه لا يرغب في تكوين المال ورجع الى القاهرة، وعمل في اعمال بسيطة في بداياته في صحيفة «القاهرة»، ونال عمله آنذاك بالرسم اعجاب اصدقائه، وكان جاهين يعتبره مجرد هواية لا أكثر، وبعد زواجه عام ٥٥ احترف رسم الكاريكاتير كمهنة، لانها كانت الاكثر دخلا بين اعماله الاخرى، مثل الكتابة والشعر والاغاني، فهو مسؤول عن عائلة مكونة من ابن وابنتين.

ويذكر انه قام بطباعة اول أعماله الشعرية بمبلغ جمعه من أصدقائه، وقام بتسديده من النسخ التي وزعها عليهم، كما عمل عام ٦٢ في جريدة «الاهرام»، ورئيس تحرير مجلة «صباح الخير»، وآخر ما كتب للفنانة سعاد حسني كلمات اغنية «صباح الخير يا مولاتي» بمناسبة الاحتفال بعيد الام للتلفزيون المصري عام ٨٦، وكانت ايضا آخر أعماله، فقد مرض بعدها بفترة ودخل المستشفى وفارق الحياة في ٢١ ابريل (نيسان) في العام نفسه، بعد حياة حافلة بعطاء خصب ومتميز في الأدب والفن

مثقفون مصريون يحتفلون بشاعر العامية صلاح جاهين

سعد القرش

لا يحظى شاعر مصري بالحب والغضب الذي يوجه الى الان الى الشاعر صلاح جاهين رغم مرور عشرين عاما على رحيله. فالذين يحبونه يرون أنه مجدد حقيقي في فن الشعر كما كان مخلصا في كل ما كتب والغاضبون عليه يقولون انه برغم كونه شاعرا مجــددا الا انه شارك مع القيادة السياسية في الستينيات في بناء صرح من الاوهام. وفي الذكرى العشرين لرحيله بدأت يوم الاثنين احتفالية يلقي فيها مثقفون أضواء على دوره في الـــتجديد الشعري حتى الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي قال ان ج اهين الذي كتب بعض قصائده بالفصحى "ليس مجرد شاعر عامية".

وأشـــار الى أن لغــته كانت صوتا للجماهير وثمرة مناخ "مكنه من لغة لا تلتزم حـــدود العامية ولا تلتزم حدود الفصحى وانما هي لغة عامية فصحى في ذات الوقت. لغــة شــعرية للغناء.. لغة صلاح جاهين الشعرية لغة لا يشخصها معجمها أو نحوها فحــسب بــل يشخـــصها أيضا عالمها الفكري والعاطفي. أحلامها وهمومها. الشقاء الانساني والامل الانساني..." وقال جابر عصفور الامين العام للمجلس الاعلى للثقافة في حفـــل الافتـــتاح ان جاهين "رمز عظيم من رموز مصر" مضيفا أنه امتداد لشعراء قاوموا كل أشكال الظلم بشعر العامية الذي ارتبط دائما بمعاني المقاومة.

وأضاف أن شعره يحتمل تعدد المستويات ولا يمكن النظر اليه بوصفه أحد شعراء العامــية المــصرية ولكـــن بوصفه "الشاعر". ويعد جاهين (١٩٣٠ - ١٩٨٦) أحد المجددين في شعر العامية مع رفيق دربه الشاعر الراحل فؤاد حداد وأتت تجربتهما امتدادا في المضمون والشكل الفني الذي أرساه بيرم التونسي.

لكــن جــاهين امــتاز عنهما بتعدد مواهبه في فن الكاريكاتير والتمثيل وكتابة السيناريو والمسرح ويأتي الاوبريت الغنائي (الليلة الكبيرة) في مقدمة الاعمال التي يعاد تقــديمها الى الان وهــي صورة غنائية تتعدد فيها الاصوات على خلفية موسيقية مميزة للمطرب والموسيقي الراحل سيد مكاوي.

بــدأ جاهين ينشر قصائده في مطلع الخمسينيات وتحمس لثورة ٢٣ يوليو تموز ١٩٥٢ في مصر وزعيمها جمال عبد الناصر في عدد كبير من القصائد التي غنى معظمها عــبد الحلــيم حافظ كما غنت له أم كلثوم نشيد (والله زمان يا سلاحي) الذي كتبه خــلال العــدوان الثلاثي البريطاني-الفرنسي-الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ولحنه كمــال الطويل وصار نشيدا قوميا للبلاد. ومن أشهر أعمال جاهين (الرباعيات) وهو ديــوان صــغير يرصد فيها بعض المفارقات والتأملات الفلسفية بايجاز شديد حتى أن الاديب المصري يحيى حقي وصفه عند صدوره عام ١٩٦٣ بأنه "قنبلة يدوية" لما يتمتع بــه من براعة لفظية وجمال اسر وعمق المعاني. وفي أحدها يقول.. "أحب أعيش ولو أعــيش في الغابات-أصحى كما ولدتني أمي وأبات. طائر. حوان. حشرة. بشر. بس أعيش-محلا الحياة حتى في هيئة نبات".

وقــال الشاعر بهاء ابن صلاح جاهين في افتتاح الاحفالية التي تستمر يومين "لم أر فــنانا في مــصر يحظى بهذا الحب من الجميع لانه (جاهين) أعطى الشعر فأعطاه". وأضاف في دراسة عنوانها (صلاح جاهين يقدم قراءة سياسية لرباعياته) ان ثورة يوليو تمــوز ١٩٥٢ كــان لها "وجه مشرق فيه ملامح وطنية عبد الناصر وزعامته القومية والعالمــية ومشروعه الطموح لنهضة كبرى" وتوجه نحو العدالة الاجتماعية والانجازات المــصرية ومنها تأميم قناة السويس وبناء السد العالي. وأشار الى أن الوجه الثاني للثورة "شــرس متوحش من الفاشية العسكرية والبطش بكل أصحاب الرأي" وفي هذا قال جــاهين عن ضحايا الرأي.. "أنا كل يوم أسمع فلان عذبوه-أسرح في بغداد والجزاير

وأتوه. ما اعجبش م اللي يطيق بجسمه العذ ب-واعجب من اللي يطيق يعذب أخوه". وقال عصفور ان جاهين رأى في ثورة يوليو "حلما قديما يتحقق وظل مؤمنا بها. لكن الثورة عام ١٩٦٧ شهدت الكارثة العظمى وجعلت المؤمنين بها ينتقلون بها من مرحلة الحلم الى مرحلة الكابوس" حيث فوجئوا في الخامس من يونيو حزيران بهجوم اسرائيلي شامل أدى الى استيلاء الدولة العبرية على هضبة الجولان السورية وقطاع غزة والضفة الغـــربية بما فيها القدس الشرقية العربية وشبه جزيرة سيناء المصرية. وأضاف أن جاهين كتاب قصيدته (على اسم مصر) كمراجعة للحلم "ولكل الرشوط التي أفسدته".

وفي بعض أبياتها يقول جاهين..

"على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء-أنا مصر عندي أحب وأجمل الاشياء. باحبها وهي مالكة الارض شرق وغرب-باحبها وهي مرمية جريحة حرب. باحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء-واكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء. وأسيبها وأطفش في درب وتبقى هي في درب-وتلتفت تلاقيني جنبها في الكرب-والنبض ينفض عروقي بألف نغمة وضرب. مصر النسيم في الليالي وبياعين الفل-ومراية بهتانة ع القهوة أزورها وأطل. ألقى النديم طل من مطرح م أنا طليت-وألقاها برواز معلق عندنا في البيت"...

مختارات من رباعيات صلاح جاهين

يا عندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك و احكي عن بلوتك
الغنوة مش هتموتك إنما
كتم الغنا هو اللي هيموتك
عجبي!

يا للي بتبحث عن إله تعبده
بحث الغريق عن أي شيء ينجده
الله جميل و عليم و رحمن رحيم
إحمل صفاته ... وَ انت راح توَجده
عجبي!

غمض عينيك و امشي بخفة و دلع
الدنيا هي الشابة و انت الجدع
تشوف رشاقة خطوتك تعبدك
لكن انت لو بصيت لرجليك ... تقع
عجبي!

أوصيك يا ابني بالقمر و بالزهور
أوصيك بليل القاهرة المسحور
و إن جيت في بالك ... اشتري عقد فل
لأي سمرا ... و قبري إوعك تزور
عجبي!

لو فيه سلام في الأرض و طمان و أمان
لو كان مفيش و لا فقر و لا خوف و جبن
لو يملك الإنسان مصير كل شيء
أنا كنت أجيب للدنيا ميت ألف ابن
عجبي!

جالك أوان و عرفت مشي الجنايز
كيف شفتها يا عبد رب اللذايذ
قال: شفت شيل بالحيل فقير أو أمير
كما شالوا في الحمامير فواضي القزايز
عجبي!

لجنة الشعر تحتفل بمرور ٧٦ عاما علي ميلاد صلاح جاهين:

صـــانع البهجة ومغني الثورة وابن الطبقة الذي انحاز لغناء الشعب محمود قرني ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٧

القاهرة ــ أقام المجلس الأعلي للثقافة، علي مدار يومين، احتفالية لشاعر العامية ورسام الكاريكاتير الراحل صلاح جاهين، بمناسبة مرور ستة وسبعين عاما علي ميلاده، وقـــد تـــضمنت الاحتفالية معرضا لرسوم صلاح جاهين الكاريكاتورية وذلك بالصالة الرئيـــسية بالمجلس الأعلي للثقافة، حيث شهد المعرض بالتزامن إذاعة متصلة لرباعيات صـــلاح جـــاهين التي لحنها سيد مكاوي وغناها الفنان علي الحجار، كذلك شهدت القاعـــة الغربية بمركز المؤتمرات بمكتبة الاسكندرية. وسوف يستمر المعرض حتي الثامن والعشرين من كانون الثاني/ يناير الجاري.

تـــضمنت الاحتفالـــية جلـــستين نقديـــتين تحدث فيهما كل من الشاعر أحمد عبدالمعطـــي حجازي، حسن طلب زين نصار، مصطفي عبدالله، سيد حجاب، فتحي الخميـــسي، محمـــد عـــبدالمطلب، ومسعود شومان، كما تضمنت الاحتفالية جلستين للـــشهادات تحـــدث فيهما أحمد عبدالمعطي حجازي، أمين حداد، بهاء جاهين، محمود أمين العالم، مصطفي حسين، سيد حجاب، كذلك أقام المجلس الأعلي للثقافة أمسيتين شـــعريتين لقراءة أشعار صلاح جاهين بأصوات الشعراء أمين حداد وأحمد أمين حداد حفـــيد صلاح جاهين، رجب الصاوي، سمير عبدالباقي، سيد حجاب، ماجد يوسف، محمـــد ســـيف، محمد الشهاوي، محمد كشيك، محمود الحلواني، نجيب شهاب الدين، وقدم الأمسية الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة، أما الأمسية الثانية فقرأ فيها كل من أحمد بخيت، أحمد عبدالمعطي حجازي، أمين حداد، بهاء جاهين، محمد بغدادي، محمد عفيفي مطر، وهدي عبدالدايم.

كــذلك أقــيمت علي هامش الاحتفالية، أمسيتان غنائيتان شاركت في الأولي الفــنانة سلمي الصباحي، والفنان إبراهيم رجب وشارك في الثانية الفنان علي الحجار، وكذلك الملحن إبراهيم رجب.

وســوف نحــاول هنا إلقاء الضوء علي أهم المحاور التي تناولتها احتفالية ذلك الــشاعر الكبير، والتي شهدت عددا من الأوراق المهمة قدمها كل من أحمد عبدالمعطي حجــازي، زيــن نصار، فاروق عبدالقادر، محمد بغدادي، محمد عبدالمطلب، مسعود شومان، ونجله بهاء جاهين.

مُغني سنوات النصر والازدهار

قــدم الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي ورقة مطولة تحت عنوان صلاح جاهين لــيس مجرد شاعر عامية قال فيها انه لا يستطيع أن يري مشهد صلاح جاهين منفردا، إنما دائما ما يستدعي حالة كاملة متصلة ومتواصلة.

قال حجازي: عرفت صلاح جاهين عن قرب، تزاملنا في دار روزاليوسف ونحن نعمــل معا في مجلة صباح الخير كنا: هو وصلاح عبدالصبور وأنا نعمل متجاورين في غرفة واحدة تضم مكاتبنا الثلاثة، حين كانت روزاليوسف لا تزال تحتل دارها الصغيرة العنيفة في شارع محمد سعيد باشا الذي غيروا اسمه دون مبرر كما فعلوا في غيره ليصبح شــارع حسين حجازي ــ ومحمد سعيد باشا ــ كما يقول حجازي ــ رجل قانون وسياســي بــارز ترأس الوزارة المصرية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولي، وحــسين حجــازي لاعب كرة شهير، وهو يستحق أن تذكره بلا شك، لكن محمد سعيد لا يستحق أن ننساه.

ويعـــود حجازي إلي صلاح جاهين قائلا: كنا معا وكنت في العشرينيات وكان يكـبرني بخمـــس سنوات، وكان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحا وحضورا، كان يرسم ويـــنظم ويغني، بالعربية فقط، وكان أحيانا ما يغني بعض الأغنيات الاسبانية من تراث الحـــرب الأهلية ما متيا مياو لس كوانرو خنيراليس ، وكان أيضا يغني أغنيات روسية، وكـــان لـــه صوت قوي قادر علي أداء الألحان الصعبة، وأذكر انه كان يتلقي دروسا خـــصوصية في الغناء علي يدي أستاذة تتلمذت عليها أصوات كثيرة من الأصوات التي ظهـــرت في الخمـــسينيات والستينيات، وهي مدام ركلْ، وفي تلك الغرفة التي كانت تـــضمنا نحـــن الثلاثة في دار روزاليوسف سمعت من صلاح جاهين معظم أغنياته التي نظمها بين أواسط الخمسينيات، وأوائل الستينيات وضمها ديوانه عن القمر والطين .

ويقول حجازي ان جاهين ربما أراد بهذا العنوان أن يقدم صورة للحلم في مقابل صـــورة للواقـــع، أو مـــا ينبغي أن يكون ابتداء مما هو كائن، فقصائد الديوان أغنيات وأناشـــيد نظمهـــا في المعارك والانجازات التي تحققت في تلك السنوات، وكان صلاح جاهين يرفض أحيانا.

ويقـــول حجـــازي: انه رغم بدانته تعلم الفالس علي يدي صلاح جاهين، وقد كانت الحلقة التي تضمهما بابا واسعا للاتصال والتزاوج بالحياة الثقافية علي اتساعها.

ويقـــول حجازي: كان جاهين في ذلك نموذجا حيا للشاعر المغني في هذا العصر الذي نعيش فيه، الشاعر الذي كان يقصده الفرنسي لوتريامون وهو يتحدث عن الشعر كما ينبغي أن يكون حيث يقول: ينبغي للشعر أن يصنعه الجميع، لا شخص واحد .

ويضيف حجازي: بالإمكان أن نفهم من هذه العبارة معني الكتابة الجماعية علي طـــريقة الـــسورياليين الـــذين كانوا يجتمعون فيما يشبه الطقس السحري أو الحضرة الصوفية ليوقظوا لاوعيهم ويطلقوا له العنان في قصائد يشاركون جميعا في نظمها.

ويقـول حجازي: لم يكن صلاح جاهين صوتا بسيطا مفردا، وانما كان مجمع أصـوات، كـان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة المصرية كما رآها في الواقـع وفي الحلـم مع ناهضة حرة متقدمة سعيدة منتمية لحضارة العصر مشاركة في صـنعها. فـصلاح جـاهين ليس ثمرة تراث قومي مغلق وإنما هو ثمرة التراث القومي والتراث الإنساني، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر ما يدين لشوقي وبيرم التونسي.

ويـضيف حجـازي: حـين نقرأ قصيدة لصلاح جاهين ندرك علي الفور أنها لـصلاح جـاهين لا للمتنبي طبعا، ولا لبيرم، ولا لرامي، ولا لسيد حجاب، ولا أيضا لـبهاء جـاهين، وأنـ لم أقرأ شعر صلاح مترجما الي لغة أخري وأعرفها لأجرب أن أتعـرف عليه مترجما، لكني أقرأ لإيليوت، ولوركا، وناظم حكمت مترجمين الي العربية فأعرف أن هذا إيليوت، وهذا لوركا وهذا ناظم حكمت.

والشعر إذن لغة أخري لها من ناحية علاماتها التي تميزها عن لغة النثر ولغة الحياة اليومية، ولها من ناحية ثانية سماتها وملامحها التي تطبعها بطابع خاص يتميز به كل شاعر عن أي شاعر آخر. وهذا هو ما نسميه الإبداع.

ويضيف حجازي: نقرأ القصيدة الرائعة نتوقع أحيانا ما سيقوله الشاعر ونطرب لأن الشاعر استجاب، أو نندهش حين يخالف توقعاتنا وندرك مع ذلك أنه أصاب، وأن مـا تفرد به أجمل واقع، ونشعر كأنه يتحدث بلساننا، ويترجم عن أفكارنا وعواطفنا، ويـري الوجـود كما نراه، ويقف إزاءه كما يمكن لنا نحن أن نقف، ويهتز كما نهتز ويتأثـر كمـا نتأثـر نحن ونحن نقرأ الشعر الحقيقي أن هذا الشعر كان مخبوءا داخل أعماقنا، وأن الشاعر لم يفعل إلا أن استخرجه كما لو كنا في يده قياثر ونايات ودفوفا يلعـب بأوتارهـا المـشدودة وحواسها المرهفة وينطقها بهذه النغمات الرائعات وهذه الايقاعات الراقصات.

ويــردف حجازي: ها هنا يصبح الشعر لغة للجماعة أصدق من لغتها اليومية، وأكثــر حميمــية، هنا نستعيد ما قاله لوتريامون عن الشعر الذي ينبغي أن يكون لغة الجماعة لا لغة فرد واحد.

كــذلك تــضمنت الأوراق تلك الورقة التي كتبها الناقد فاروق عبدالقادر عن صــلاح جاهين بعد وفاته تحت عنوان صلاح جاهين مغني سنوات الزهو والانتصار . يقول عبدالقادر:

مــن المــؤكد عــندي أن رحيل صلاح جاهين قد مس نبضا حيا في قلب كل مصري ومن المؤكد عندي أن رحيله ليس حدثا عابرا لفنان عاش وكتب ورسم وصنع أفلامــا ثم مــات، ومــن المؤكد عندي أن غياب صلاح جاهين انما هو غياب مرحلة كاملة، حين كان القلب الأخضر والآمال الممتدة الي أفق فسيح لا حد لانفساحه، حين كــان القائد علي رأس شعبه يمتشق سيفه ويخوض المعارك ويعود مكلل الهامة بالانتصار حــين خــرجت جماهير المصريين تتصدي للعدوان وتمزج ح نحارب ـ والله زمان يا سلاحي حين كانت سواعد المصريين والسوفييت جنبا إلي جنب وكتفا إلي كتف تقيم الــسد العالي وترفع قواعده، حين بدت الاشتراكية حلما دنا تحقيقه حين رفرفت راية الوحدة للمرة الأولي في تاريخ العرب الحديث: عرب الشمال والجنوب اتجمعم في حي ـــ دقة قلوبهم غنا ونظرة عيونهم ضي ، ويضيف فاروق عبدالقادر أنه مهما تعددت وجــوه صلاح جاهين وتنوع عطاؤه يبقي وجهه الحقيقي هو الممثل المؤدي دائم الولع بالأقــنعة ولعب الأدوار، والذي حفظ له مكانه في قلب تاريخ مصر الحديث انه كان دون ســواه وأكثر من سواه ـــ مغني سنوات الصعود والزهو والانتصار، من هنا، من حقــيقة أن صلاح رمز وشارة لمرحلة بأكملها، تفاوتت المواقف بعد رحيله وانصرفت عنه لتلك المرحلة: ثمة من يصفي حساباته القديمة معها، وثمة من يُسقط عليه أخطاءها، وثمة من يرثي نفسه حين يرثيه، وما أسرع ما لبست كلمات الباطل أثواب الحق!، ومن

هنا ايضا يبقي الاقتراب الوحيد المتاح والجدي هو ما عبر عنه صلاح في بكائياته الجميلة لأستاذه بيرم بيرم، فتحت ديوانه، رد عليا وشا نحن نفتح ديوان صلاح جاهين، خير ما تبقي منه لنا.

ويقـــول فاروق عبدالقادر أن ازدهار شعر العامية المصرية لم يكن إلا إحدي ثمار تلـــك المـــرحلة ذاتها، حيث تزامن صدور مجموعته الأولي كلمة سلام عام ١٩٥٥ مع مـــوجة جديـــدة صاعدة في القصة والرواية والنقد والمسرح وشعر العربية والغناء، الي جانـــب لون من الاهتمام الرسمي وغير الرسمي بفنون الشعب وآدابه، كان الرائد الكبير بـــيرم التونـــسي ١٨٨٣ـــ ١٩٦١ لا يزال يواصل عطاءه، لكن معظم اهتمامه كان مـــوجها إلي الأغنية الفردية، ومعظم ما تبقي منه كان وراءه، لقد راد الطريق للخروج بالـــزجل مـــن دائرة الإخوانيات والحلمنتيشيات التي ظل زمنا طويلا يتخبط فيها من سخف إلي سخف، وتسمع المصري الصغير وعبر بلغته عن همومه، والتفت الي مظاهر الجمـــال في الطبـــيعة المصرية وتغني بها، وارتفع في بعض أعماله الي آفاق أكثر إنسانية وشمـــولا، كـــل هذا قدمه في عامية عذبة ورائقة تنجو من الابتذال وتتخللها مفردات عربية صحيحة طاعت لموهبة بيرم، فلم تعد نابية في السياق.

صوت الشعب
في صوت ابن الطبقة

أما الدكتور محمد عبدالمطلب فقدم ورقة تحت عنوان فصاحة العامية في رباعيات صلاح جاهين . يقول عبدالمطلب: هناك سؤال يلح علي الدارس للشعر كلما أقدم علي قراءة شاعر ما، ما المقياس الذي يحتكم إليه في تقديم هذا الشاعر علي سواه؟، ويردف عـبدالمطلب: كان لهذا السؤال حضور لازم في التراث العربي، وربما كان المفضل العنبي مـن أوائـل من شغلهم هذا السؤال عندما أقدم علي تدوين مفضلياته في القرن الثاني للهجرة، ويبدو أنه احتكم إلي ذوقه الخاص في اختياراته، وهذا المقياس هو الذي اعتمده الأصمعي أيضا، ثم جاء أبو زيد القرشي ليقدم جمهرته محتكما الي الواقع الثقافي، حيث رتـب قـصائده المخـتارة حـسب نسقها الثقافي: المعلقات، المجمهرات، المنتقيات، المذهبات، المراثي، المشوبات، الملحمات.

ويـضيف محمد عبدالمطلب: توالت الاختيارات، في الحماسة الكبري لأبي تمام ثم حماسة البحتري، ثم الحماسة الشجرية لأبي السعادات، ثم الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج ثم حماسة العبيدي.

ومـن بين هذه المدونات تنفرد مدونة ابن سلام طبقات فحول الشعراء في القرن الـثاني للهجـرة، ببعض الأسس المنهجية، حيث قدم الشعراء تقديما زمنيا في طبقات الجاهلـيين ــ المخضرمين ــ الإسلاميين والسؤال الذي يطرحه عبدالمطلب كنتاج لهذه المقدمة أن هذه المعايير كانت مسلطة علي الشعر الفصيح فهل يمكن تسليطها علي شعر العامـية، وهو ما يراه يستدعي سؤالا آخر عن الخلفية الثقافية، التي وجهت المبدع الي هذا الإبداع دون سواه، وهذه الخلفية هي المتلقي علي وجه العموم، سواء أكان متلقيا

للشعر الفصيح، أم متلقيا للشعر العامي، وإن كان المفترض أن متلقي شعر العامية يكاد يستوعب متلقي الفصيح، بينما متلقي الفصيح ربما لا يستوعب متلقي شعر العامية، أي مساحة استقبال الشعر العامي اكثر اتساعا، لأن هذا الشعر يؤدي وظيفة مزدوجة: الوظيفة الجمالية، والوظيفة الاجتماعية، وعلي الرغم من أن الوظيفتين لهما حضور في الشعر الفصيح، لكن الوظيفة الاجتماعية ـــ في العامية ـــ تسبق الوظيفة الجمالية، ولعل ذلك وراء ملاحظة أن تأثير شعر العامية طويل المدي، لأن جماعة مستقبلية تنظر إليه بوصفه إبداعا جماعيا تحمل أداءه شاعر بعينه، فشعر العامية شعر جماعي وفردي علي صعيد واحد. ويقول عبدالمطلب إن شعر العامية، بخاصة في المرحلة المتأخرة، تكمن أهميته في أنه حقق لنفسه انتشارا في الزمان وفي المكان حاملا ذخيرة الأبنية التعبيرية التي ترددها الألسن عفو الخاطر حينا، وبالقصد أحيانا أخري، بعد ذلك يتناول محمد عبدالمطلب بعض رباعيات صلاح جاهين ويقدم لها قراءة لغوية وبنيوية.

أما الشاعر مسعود شومان فقدم ورقة تحت عنوان: صلاح جاهين ـــ الشعر شارد في الجبل، دراسة في استلهام وتوظيف التراث والمأثور الشعبي ، ويحاول شومان في دراسته الكشف عن التداخلات النصية ـــ حسب قوله ـــ بين ما هو شعبي وما هو عامي وزجلي، وهي خصيصة يري أنها من أهم خصائص أشعار وأزجال الراحل صلاح جاهين، ويقول: إن هذه الظاهرة تطرح أسئلة جوهرية عن علاقاتها التناصية، وتحديد مستوياتها إحلالا وإزاحة، استلهاما وتوظيفا، إيمانا ونفيا، هذه الإشكالية تدعونا للتساؤل عن علاقة أشعاره بمادة الفلكلور، تراثا ومأثورا ـــ بما تضم من معتقدات ومعارف شعبية ـــ عادات وتقاليد ـــ أدب شعبي ـــ ثقافة مادية ـــ ألعاب شعبية، وما يندرج تحت كل واحد منها من أنواع.

ويضيف مسعود شومان: إن العارف بسيرة تاريخ جاهين يدرك أنه ليس إبنا ـــ طبقيا ـــ للجماعة الشعبية، فجاهين الذي ولد في بيت بحي شبرا القاهري العريق يملكه

جده الصحافي الوطني الشهير أحمد حلمي، وكان أبوه وكيلا للنيابة. يصعب القول انه تـــربي في أحضان عادات وتقاليد وأشعار الجماعة الشعبية، لكن يجدد القول أنه تشرب الأغاني الشعبية، المواويل، المربع، لتتأكد مقولة ما الأسد إلي مجموعة خراف مهضومة .

ويردف شومان: بهذا المعني المجازي والفيزيقي في آن واحد يتثبت المأثور الشعبي في مخيلته بينما كان يتنقل مع والده في طفولته بين محافظات مصر، ومن خلال ارتحالاته استطاع عبر مشاهداته بعينه اللاقطة، وأذنه القادرة علي اصطياد الموسيقي، ووعيه الحاد باللـــون، واتقـــاد ذهـــنه في استلهام أشكال شعرية شعبية أن تكون له هذه الفرادة في كـــتاباته المتـــنوعة، إذ انـــه كـــتب شعر العامية والزجل والأغنية والأشعار المسرحية والـــسينمائية، فـــضلا عن مسرح العرائس والفوازير الإذاعية والتليفريونية، إضافة الي السيناريو السينمائي والتليفزيوني، غير مواهب أخري غير كتابية، وتستمر الدراسة فيما بعـــد في اكتشاف تناصات القصيدة لدي صلاح جاهين مع عناصر الفلكلور في مجـ انتاجه.

صلاح جاهين مغني الثورة

كـــان من بين الأوراق المهمة التي شهدتما الاحتفالية، تلك الورقة الراصدة التي قدمها المؤرخ والناقد الموسيقي الدكتور زين نصار تحت عنوان غنائيات صلاح جاهين .

يقـــول نـــصار: احتل الفنان العبقري متعدد المواهب صلاح جاهين ١٩٣٠ــ ١٩٨٦ مكانـــة فـــريدة في تـــاريخ الفن لمصري، فقد كان رساما بارعا للكاريكاتير وشـــاعرا للعامـــية لا يشق له غبار، وقد بدأ في نشر إبداعه في الشعر الشعبي منذ عام ١٩٥٥، وذلك بعد توالي إبداعه لكلمات مئات الأغاني العاطفية والوطنية والتأملية.

وقد أصدر صلاح جاهين ستة دواوين هي: كلمة سلام، موال عشان القنال ـــ عـــن القمـــر والطين ـــ قصاقيص ورق ـــ أنام سبتمبرية ـــ رباعيات صلاح جاهين، ويرصـــد نـــصار مـــشاركة صلاح جاهين في عدد من الأفلام السينمائية هي لا وقت للحـــب، رابعـــة العدوية، اللص والكلاب ، كما كتب الأوبريت الشهير الليلة الكبيرة لمسرح العرائس ولحنها سيد مكاوي الذي قام أيضا بتلحين رباعياته حيث وزعها منير الوسيمي وغناها علي الحجار.

ويرصـــد الدكـــتور زين نصار أنه بالإضافة الي سيد مكاوي لحن أعمال صلاح جـــاهين كل من رياض السنباطي، منير مراد، كمال الطويل، محمد الموجي، ففي عام ١٩٦١ غنت له أم كلثوم ومن ألحان رياض السنباطي أغنية ثوار مطرح ما نمشي يفتح الـــنوار، تنهض في كل صباح بحلم جديد، ثوار نعيدك يانتصار وتزيد، وطوال ما إيد شـــعب العرب في 'لإيد، الثورة قايمة والكفـ ح دوار ، وبعد هزيمة حزيران/ يونيو كتب جـــاهين نـــشيد راجعين بقوة السلاح وغـــتها أم كلثوم ولحنها رياض السنباطي، وفي

السادس من تشرين الاول/ أكتوبر ١٩٧٣ تحققت نبوءة صلاح جاهين بالانتصار، الذي سبق له أن كتب نشيد والله زمان يا سلاحي ولحنه كمال الطويل إبان العدوان الثلاثي، ويذكر زين نصار أن أم كلثوم عندما ذهبت لتسجيل النشيد بالإذاعة أشيع أن المبني معرض لقصف الطائرات فطلبوا منها الانتقال بفرقتها إلي مبني شارع الشريفين لتسجيل النشيد فرفضت رفضا قاطعا وقالت اموت هنا ولا أغادر المكان . وبالفعل تم تسجيل النشيد في هذا الجو المتوتر، كما غني له الفنان عبدالحليم حافظ العديد من الأغاني الوطنية مثل إحنا الشعب التي غناها في ٢٤ ـ ٧ ـ ١٩٥٦ بمناسبة اختيار الشعب المصري لجمال عبدالناصر كأول رئيس منتخب للجمهورية، ثم غني بالأحضان في عام ١٩٦١، ثم المسؤولية في عيد الثورة عام ١٩٦٣، ثم غني له عبدالحليم في ١٩٦٥ يا أهلا بالمعارك ، ثم غني له صورة ، ثم ناصر يا حرية هذا بالإضافة إلي ما غنته له الفنانة القديرة سعاد حسني في فيلم خللي بالك من زوزو و يا واد يا تقيل و الدنيا ربيع وأغنية الأم بالإضافة الي مجموعة الأغنيات الشهيرة التي غنتها في مسلسل أنا وهو وهي الذي شاركها بطولته الفنان الراحل أحمد زكي.

هذا وقد تضمنت الأوراق التي قدمتها الاحتفالية ورقة للناقد والصحافي مصطفي عبدالله تحت عنوان صلاح جاهين ودين في عنقي ، ومحمد بغدادي وصلاح جاهين شاعر الكاريكاتير ورسام بدرجة مقاتل، كما قدم نجله الشاعر بهاء جاهين الذي أشرف علي إعداد كتاب الدراسات ورقة بعنوان صلاح جاهين يقدم قراءة سياسية لرباعياته

من رباعيات صلاح جاهين

يا حزين يا قمقمٍ تحت بحر الضياع
حزين أنا زيك و إيه مستطاع
الحزن ما بقالهوش جلال يا جدع
الحزن زي البرد ... زي الصداع
عجبي !!!!

في يوم صحيت شاعر براحة و صفا
الهم زال و الحزن راح و اختفي
خدني العجب و سألت روحي سؤال
أنا مت ؟ و لا وصلت للفلسفة
عجبي !!!!

الفيلسوف قاعد يفكر سيبوه
لا تعملوه سلطان و لا تصلبوه
ما تعرفوش إن الفلاسفه يا هوه
اللي يقولوه بيرجعوا يكدبوه
عجبي !!!

علي بعد مليون ميل من أرضنا
من الفراغ الكوني بصيت أنا
لا شفت فرق بين جبال و بحور
و لا شفت فرق ما بين عذاب أو هنا
عجبي !!

إنسان أيا إنسان ما أجهلك
ما أتفهك في الكون و ما أضألك
شمس وقمر و سدوم و ملايين نجوم
و فاكرها يا موهوم مخلوقه لك
عجبي !!

نظرت فوق للنجوم و انا ساير
رجليا عترت في الحفر و الحجاير
بقيت أقول و انا ع التراب: يا سلام
مش بس عبره أخذت لكن عباير
عجبي !!!

- يا نجم .. نورك ليه كده بيرتجف ؟
هو انت قنديل زيت ؟ أو تختلف
- أنا نجم عالي .. بس عالي قوي
و كل ما انظر تحت اخاف انحدف
عجبي !!!!

السم لو كان في الدوا منين يضر ؟
و الموت لو عدونا .. منين يسر؟
حط القلم في الحبر و اكتب كمان
.. و العبد للشهوات .. منين هو حر؟
عجبي !!!!

وقفت بين شطين علي قنطـــــــــرة
الكدب فين و الصدق فيــــــن يا تري
محتار ح اموت .. الحوت خرج لي وقالي
هو الكلام يتقـــــاس بالمســـــطرة
عجبي !!!

البحث عن عروق الذهب في اللغة المصرية

محمد كشيك

* المغامرة الابداعية، هي المبدأ الأساسي الذي يحكم عملية الكتابة عند صلاح جاهين، فهو لا يضع قيودا مسبقة يمكن أن تعرقل تحركاته الداخلية والخارجية أثناء عملية التأليف والابداع، فالفعل الشعري يبدو مستقلا؛ دائما ما يمتلك قوانينه الخاصة التي تتجاوز الثبات النسبي للقالب الفني، فالشكل يكاد ينهزم أمام الموهبة الجارفة التي تتحرك في العمق، فتعيد تركيبه، بحيث يصبح مجرد مقترح قابل للتعديل والاضافة، والتغيير عبر عملية مستمرة من الاختبارات والاستبدالات اللغوية والفنية.

والمغامرة عند صلاح جاهين، لا تعني سوي الحرية، تلك الحرية التي تستعصي علي القولبة والنمطية والثبات، انما عند الشاعر فعل حركة وحياة وديمومة يعكس جدلية من العلاقات المتشابكة والمتناقضة البسيطة والمعقدة في آن، ولقد بلغت هذه الحرية حدودها القصوي عند رحيل الشاعر.

ان ارادة الشاعر الخالقة تفرض نفسها عند عملية الكتابة، لذلك تتعدد طرائق وأساليب الكتابة عند صلاح جاهين، فهو لا يكتب قصيدة واحدة يعيد انتاجها في كل مرة، لكنه حسب مبدأ الحرية يعيش حالة مستمرة من التجدد والتمرد _الابتكار، فتبدو كل قصيدة من قصائده فعلا مختلفا ومخالفا، لا تشتبه ولا تتشابه مع باقي قصائده الاخري، ربما لأنها تستمد طاقاتها من مياه جوفية عميقة قادرة علي اغناء عالم الشاعر بحدائق نغمية وفنية لا يمكن لها أن تذل أو تنتهي أو تموت.

إن الــشاعر يتــرك نفسه أثناء فعل الابداع، ليصل الي ذروة التوتر الانفعالي، لتــصبح القــصيدة مهــيأة لكل أنواع الاحتمالات كما تمتلك القابلية للانفتاح علي تجــارب متنوعة تضيف الي العالم الفني، الذي تتعدد مستوياته، وتتشكل علاقاته داخل عملــية متشابكة ومعقدة بالغة التعقيد من الحذف المستمر، والهدم واعادة البناء، ومن التفكــيك والتــركيب، لتــصل الينا القصيدة في شكلها النهائي لتتجلي فيها بوضوح 'بــصمة' الشاعر، وعبقريته، وقدرته الدائمة علي تجاوز القوالب والاشكال، من أجل العثور علي 'عروق الذهب' الكامنة في نهر الحياة الفائض.

التحدي والاستجابة

والعملــية الابداعية عند الشاعر العبقري 'صلاح جاهين' غالبا ما تعكس حركة دائمــة من التحديات المختلفة، تواجهها علي نفس المستوي مجموعة من الاستجابات الخالقــة.

فالثبات الظاهري للشكل المحدود الايقاعات، الذي يشكل تحديا دائما للشاعر، غالبا ما يقابله باستجابة تعكس مدي الحيوية التي تتأبي علي الجمود والثبات.

والقــصيدة عند صلاح جاهين تتبدي فيها بوضوح تلك المعركة المستمرة، التي تــدور رحاهــا بــين الشاعر المتمرد، الذي يريد أن يفرض علي القصيدة هذه الحيوية الكامــنة والنــشاط الايقاعــي المتوتر، وبين الشكل الثابت والساكن الذي يريد قمع الشاعر، وسجنه، والابقاء عليه بداخل حدوده الضيقة وصفة الشاعر .

ولعلــنا اذا اقتربنا قليلا من عالم 'صلاح جاهين' لنعاين بعض اكتشافاته الفنية، نلاحــظ تلــك المقدرة الهائلة علي التنويع في الاداء، فالصورة الجزئية تتنافر أحيانا، مع باقــي الــصور الاخري لنحصل في النهاية علي صورة فنية متكاملة، تتآزر فيها ومن

خلالهـــا جميع المعطيات لتمنح ذلك البعد الخاص والمذاق المتميز، الذي تتسم به معظم قـــــــــصائد صـــــــــلاح جـــــــــاهين.

وحـــتي يمكـــن أن نقترب بشكل أكثر وضوحا من أجل التعرف علي 'وصفة' صلاح جـــاهين، فـــسوف نحاول أن ندخل في قراءة سريعة متعجلة لاحدي قصائده 'قصيدة' والـــتي يمكـــن مـــن خلالهـــا أن نلقي الضوء علي بعض من ملامحه الفنية ومجمل رؤاه الابداعية.

انه في القصيدة يأخذ بيد المتلقي عبر شاطيء منبسط سهل. غير مقيد بتحركات مفاجئة، وهو لا يخدعه، انما يحاول أن يغريه ويجذبه الي عالمه المدهش فيقول في البداية:

في يوم من الأيام راح اكتب قصيدة/

ويـــسمر الـــشاعر في تـــداع خلاق، ليوضح ماهية تلك القصيدة التي يريد أن يكتبها، ويبدأ المعني بسيطا لا يحتاج إلي أي جهد أو تأمل..

عـــن الـــسماء/ عن وردة علي راس نهد/ عن قطتي/ عن الكمنجة الشريدة/ عن نخلتين فوق في العلالي السعيدة.

وبعد ذلك يتجه المعني من البساطة إلي التركيب، وتبدأ النغمات والايقاعات في التحول لتواكب ذلك التعقيد البنائي الذي يوجه الصورة باتجاهات مختلفة ومخالفة.

عن عيش بيتفتفت في أودة بعيدة،
عن مروحة من الورق،
عن بنت فايرة من بذات الزنج،
عن السفنج،
عن العنب،

عن الهدوم الجديدة،
عن حدايات شبرا،
عن الشطرنج

وتستمر القصيدة في جلب الصور المتآلفة والمتناقضة، لتشكل في النهاية بؤرة الفعل الشعري، الذي يشغي بالعلاقات التي تمنح القصيدة حضورها وحيويتها وخصوصيتها أيضا، كما يبدأ الايقاع في استقطاب الصور الجزئية، لاعادة تجميعها في عالم شعري أخاذ:

عن برطمان أقراص منومة/ عن مهر واثب من علي سور حديد/ وف بطنه داخله الحديدة/

ان الشاعر يبدو هنا مثل الساحر الذي يفاجئك دوما بما ليس في الحسبان، ليجعلك في دائرة الترقب والتوقع، مبهورا، منجذبا، إلي ما سوف يجيء من احتمالات، والشاعر في كل هذا مثل الطائر المحلق، يصعد الي أعلي الأعالي كي يتمكن من الرؤية جيدا، وحينما يبدأ في رصد هدفه، يهبط منقضا علي فريسته ليحصل في النهاية علي كنوزه الفنية.

ولعل أهم ما يميز الوصفة الشعرية لصلاح جاهين، هي تلك القدرة المعجزة علي اعتصار طاقة اللغة وما يمكن أن تمنحه من طاقة تساهم في بنائية العمل الفني، وشحنة بتلك القوة الهائلة في العمق والتي تجعل القصيدة قادرة علي الفعل الشعري مهما تعاقبت السنوات والدهور والأجيال .

وتعتبر خاتمة القصيدة درسا لكل من يمارس فعل الكتابة الفنية، فبعد العديد من التوقعات التي أوردها الشاعر، فها هو يباغتنا مرة أخري في نهاية القصيدة بنتيجة لم

تكن في الحسبان، لكنها تتسق مع رغبة الشاعر في اللعب، وقدرته علي المغامرة، وحبة للتمرد الذي هو الدافع الحقيقي لحالة الابداع الهائلة لديه، فيقول في نماية القصيدة:

عن طفل بقميص نوم
عن قوس قزح بعد الصلا في العيد
ح اكتب قصيدة
ح اكتبها وان ما كتبتها ش أنا حر
الطير ما هو ش ملزوم بالزقزقة

أسرار التجلي والخفاء

وفي معظم قصائد صلاح جاهين هناك مستويات متعددة للفعل الشعري، فالقصيدة تبدأ من الداخل عبر منطقة مظلمة لا يكاد يعرفها الشاعر نفسه، وتبدو مثل بذرة مؤهلة للتفتح، سرعان ما تنفجر حينما يصادفها لحظة مواتية، فتدب فيها الحياة، وتأخذ في الانبات، لتندفع الجذور الصغيرة بداخل المناطق المعتمة وتتشكل مجالات الحركة، وحينما تكون متأهبة الخروج، يندفع الدفق الحي إلي أعلي متناغما مع طاقة الحياة، يستمد طاقته المتجددة من تلك الجذور العفية التي تشكلت في العمق، ثم اندفعت الي السطح لتكتسب ملامحها الجديدة، وأبعادها المتجددة، تماما مثل الزهرة التي تكمن في رحم الأرض، وفي الربيع تطلق وجه خضرتما لتهزم خرائب بأكملها، يقول الشاعر في قصيدته الجميلة: 'كلام إلي يوسف حلمي'

أنا باتكلّم م الشارع
والشارع فيه جامع
والجامع مبني بقاله ميات م الأعوام

إنما شبابيكه كلام
وعرايس أفريزه كلام،
وحيطانه
والمعمارجي اللي بناه واقف قدامه وبيكلمني
بيمد لي أيده، بياخد كبريت مني
بيولع.. وبيضرب لي سلام..
ياسلام!

أقنعة الحياة الموت

وكمـــا سبق أن أوضحنا، فان القصيدة عند صلاح جاهين، تبدأ من عند منطقة معيـــنة، ثم تـــبدأ في النمو والتشكل، وفق منطق بنائي خاص، يعتمد علي نشاط لغوي مكـــثف والعديد من الصور الجزئية، التي تتدفر أحيانا، لكنها تعود في النهاية لتلتئم في كيان كلي موحد.

وتعتـــبر قـــصيدة 'المـــوتي' التي كتبها الشاعر بمناسبة رحيل 'أمل دنقل' من أهم القصائد التي تتجلي فيها بوضوح مجمل الخصائص الابداع والفنية لعالم صلاح جاهين، فعلي الرغم من أن القصيدة تتحدث عن الموت، فهي تعكس حالة من التوحد والخلود تتجاوز مظاهر السطح الخادع الذي يشي بالتحول والتغير:

في صفحة الموتي
بيكلموني كل يوم الصبح
بصورهم الباهتة
بعيونهم الثابتة
بيسألوني كلهم.. إمتي
ها تنطبع صورتك كمان إنت

وبعــد هــذه البداية البسيطة، تبدأ القصيدة في التفرغ لتصنع شبكة كثيفة من العلاقــات الخفية، لتصل الي منطقة المياه الجوفية، المحملة بثقل الرموز، وكثافة المعاني، وعمق الدلالات حيث تتحول الكائنات البشرية إلي معني أبدي خالد يتجاوز الأعراق والأجيال والديانات!

يا رسم علي وش التابوت مرسوم
في حفاير الفيوم
وحفاير الفيوم جبانة م الزمن العتيق
مشهورة بالصناديق
وعليها بالألوان صور مخاليق
كاهن/ مراكبي
ست بيت/ تاجر
بنيه حلوة/ عسكري/ شاعر
صور بشر أيامهم انحصرت
مداينهم اندثرت
توابيتهم أنكسرت
مافاضلشي منها غير وشوش

ويستمر الشاعر في استجلاب الصور الجزئية المتفرقة حتي يصل الي صورة كلية تنسجم والفكرة التي يريد الشاعر أن يعبر عنها والتي تعكس جوهر فلسفة الموت، وهي فلسفة انسانية تحاول اكتشاف المعني المشترك والتعبير عنه في بلاغة عميقة، آسرة،

: بيبصّوا نفس البصّة
وبيحكوا نفس القِصّة
مستغرقين في الموت بلا غصّة
وفي الخلود رايحين
" الله يرحمك ياعم صلاح "

وكمـا في معظـم قـصائده يحاول الشاعر مطاردة المعني المركزي، يغوص في الأعماق، يبحث عنه، حتي يحصل عليه في النهاية

زي اللي ّفي الجورنال في صفحة الموتي
قلت الشَبَهْ من أين يتأتّي
قالوا عشان الكّجل مصريين
الكجلّ نفس الهويّة
نعي المطارنة جنب نعي الشيوخ
طالبين سوا الرحمة الإلهيّة
طالعين سوا،
أمجاد سماوية

*****

القوالب الموسيقية

يعتـبر الايقـاع بكل ما يتضمنّه من معان، العنصر الأساسي الأهم في تشكيل ملامـح الفعل الشعري عند صلاح جاهين، وقد علمت أنه قبل أن يبدأ كتابة القصيدة ينـتابه شعور موسيقي غامض، يأخذ في التشكلّ إلي أن يجد الألفاظ المناسبة في النهاية ولعّل هذه الميزة هي التي ساهمت في تطور الرؤية الإبداعية عند صلاح جاهين، ورفعت به إلي التجريب، وقادته إلي تلك المغامرات الفنية التي أكسبته هذا المذاق الخاص والبالغ التمّيز والفرادة.

وعلـي هذا الأساس، فلم تكن هناك رؤية مستبعدة لكيفية كتابة القصيدة، و لم يتقـيد 'صلاح جاهين' إلاّ بمصادر الالهام الداخلي، عبر شبكة بالغة التعقيد من القوالب المقترحة، التي تتأهب وتتشكل في كل لحظة لاستقبال هبات العبقرية، لذلك فلم يخضع صـلاح جـاهين أثناء الكتابة لأي شيء إلاّ شرط الشعر، وهذا يفسّر لنا ذلك الثراء

الموسيقي الذي تحفل به قصائد صلاح جاهين ناهيك عن أغنياته، وهو ثراء في إعتقادي نـــاجم عن تلك الشحنات الموسيقية والايقاعية التي تتحرك داخله باستمرار، والتي هي سـبب مـن أسـباب تفـردّه، وخلـود أشـعاره، لتـرددها أجـيال بعد أجيال. والموسيقي في قصائد صلاح جاهين، لم تقصد لذاتها، و لم تكن مجرّد حلية خارجيةٌ يمكن الاسـتغناء عـنها، ولكنها كانت العنصر البنائي الأهم في تشكيل المعمار الشعري إنما لفرص ارتباطها بالمعني الداخلي تكاد أن تصبح المعني ذاته، فلا يمكن، بل يستحيل عزل هـذه القـيم الموسـيقية والإيقاعـية عـن التـركيب البنائـي للقـصيدة. ومن أجل هذا كلّه فإن الإيقاعات تتسّرب بداخل القصيدة كما يتسّرب الماء في باطن الأرض، فتـبعث فيها تلك الحياة والحيوية والحركة، وتدفع بالأبنية الداخلية إلي النمو والتركيب باستمرار.

ونظـرة واحدة إلي طرائق 'جاهين' في طريقة بناء وصوغ قصائده، سوف تبين وضـوح لنا مدي إرتباط العنصر الموسيقي بالتحركات الداخلية والخارجية للقصيدة، فأحيانا ما يأتي الايقاع هادئا، بطيئا، متأنيا، متسللا، وفي أحيان أخري، نعثر عليه وهو يتحّـرك بقّوة وعصبيّة وإنفعال، يكاد يجهر من بين السطور، وفي أغلب الأحيان نجده يتحّـرك في عمـق القصيدة، بحيث نشعر بأثاره ولا نكاد نراه 'فيك ياحديد روحانية' وهـناك العديد من القصائد التي يكاد يغيب فيها الإيقاع، ليظهر إيقاع من نوع آخر، ينبـثق مثل النور من باطن القصيدة، يدفع بضوء شفاف لينير العمق المتوتر بالعلاقات الحـيّة وفي قصيدة 'ياسلام يادكتور' يتبدّي مثل هذا النوع من الايقاع، والذي يتسّرب بهـدوء مـن باطن القصيدة، بلا أي ضجيج، وبغير عظات شكلية، أو جمالية. ولفرط بـساطة الايقاع تأتي القصيدة بدون أي قواف، وتختفي الزركشة اللغوية، ليحّل محلهّا إيقاع سحري لا يبين فوق السطح:

أظن ياملهماني الفن والأشعار،
وقلبي: بلاصك، اللي بتطلعي به الفجر..
من بعد أذنك، بلاش النوبة م الترعة،
أمليه لي من عند أبوالبالطو النضيف الابيض،
وقولي له، يازينة الجدعان، صباح الخير

وتستمر الإيقاعات تنساب في العمق هادئة لتشكل الملامح الخارجية للقصيدة، دون أي تزويق، لينسجم مع المعني الجليل، حين إكتشف علماء الاسكندرية مصلا يمكن أن يعالج أمراض البلهارسيا.

الفلاحين صفر ، لكن صلبهم جامد،
شالوا الجبال، قلقلوها، وهمّا لسّه صفر ،
إشحال بقي، لما يجري الدّم في خدودهم،
بدال ما يجرح مع الروح نفسها في البول،
وقولي له: يازينة الجدعان، براوة عليك

والأمثلة السابقة من قصيدة 'ياسلام يادكتور' تعطينا أدق مثال علي تلك العبقرية الفنية التي لا تحكمها رؤية مسبقة، لكنها تنتقي وتجلب وتختار، ما يلائم عالم القصيدة، لتخرج لنا في أبلغ صورة وكما فرضَتْ نفسها علي الشاعر، ليحدث ذلك الإنسجام الذي يمنح العمل الفني حضوره الخلّاق.

وفي قصيدة 'روحانية' يتحرّك الإيقاع بلا أي ضجيج بداخل هياكل القصيدة، متخفيا، لا يريد الإفصاح عن نفسه بجلاء، لكنك تشعر به، تكاد تمسك بعناصره، لكنه يندمج بداخل السطور والكلمات والمفردات، ليعبّر عن تلك الروح المسيطرة التي تفصح وتبين:

فيك ياحديد روحانية
إن كنت مسمار، والأ فاس
ان كنت مفتاح، والا بريّمة،
ان كنت سيف، والا إبرة،
ان كنت محراث،
ان كنت مشَبكْ شَعْر،
ان كنت مروحة موتور،
ان كنت مطرقة،
ان كنت سيخ،
ان كنت جنزير خردة في التراب،
فيك روحانية..
عشان مابين الرّب والحديد،
فيه أبن آدم.

وغالبا ما يأتي الإيقاع، ليبتكر قالبه الخاص، ويغّذي العمل الفني بشحنات موسيقية هائل، ويدفعه دفعا إلي النمو في الاتجاهات التي يريدها الشاعر، من أجل خلق حالات مختلفة ومخالفة لذلك يكتب صلاح جاهين 'السوناتا' وهي قالب غريب علي أدبنا 'العربي، لكنه يستفيد من هذا القالب ويحاول تطويعه من أجل التعبير عن حالات فنية متنوعة، وعبر هذا القالب الجديد يكتشف الشاعر أبعادا موسيقية بالغة الثراء وهي هنا تظهر بوضوح، ودون أي مواربة، لتفصح عن تجلياتها في تشكيلات ساطعة، تؤطرها قواف داخلية وخارجية تستوعب شحنات موسيقية مكثفّة وطاقات نغميّة تكاد لفرط حسيتها أن تتذوّقها أوتمسك بها، يقول صلاح جاهين في إحدي سوناتاته الأولي :

أنا في الخلا، بانشِد ولا أنام
صلوات غرام، وياحرام تِتمِحي

الليلة بل الطّل كل الكلام،
ولا ملام، ما أنا الخلا مطرحي
خلا خلا، أنا شعري قد الوجود
وقدّها وقدود وقلبي.. غنِي
كأنه عود، في الجود مايعرف حدود،
وحبيبته عواد، وعليه مجنجَني
طلع النهار والشمس من غِير غما،
الشّعر شَتْ وطار، كأنه البخار،
داريت حبيبتي عن لهيب السما
وصرخت فين السقف، فين الجدار

****

ثم ينهي الشاعر 'السوناتا' بهذا 'المثنوي' الذي يمثل الحكمة، والخلاصة، والبلاغة الموجزة.

أنا بيت حبيبتي، وهي بيتي أنا،
لكن ياريت، يبقي لنا بيت م البنا،

ويستمر الشاعر في تقدم أكتشافاته الموسيقية عبر عمليات من الإستبدال المستمر، وأشكال عديدة لا حدود لثرائها ، ليصل في النهاية إلي عروق الذهب التي ليس لجمالها مثيل،:

وفرشت عِشي ريش في ريش في ريش
ومشاغله، وتوشويش، وصوصوه
سوا سوا ح نعيش نعيش نعيش،
نعيش نعيش، نعيش، نعيش سوا

* * *

لسّاه ياعصفور الربيع ماجاش،
عمّال تزقزق ، واحنا في الشّتا؟
شجر الشوارع لسّه ماأنكساش،
ولا مِنَّه فتفوتة منبّتة!

'أنا أغنّي صيف شتا ربيع خريف،
أغنّي.. غنوه خضرا، مع الدوام.
ورق الشجر يقع، علي الرصيف
وانا، والغنا، متشبكّين تمام.
* * *

عندك ياعصفور يابني، ألف حق.
الرّيح ما بتوقعّش غير ورق!

* * *

وفي قـصيدة 'كـلام إلي يوسف حلمي' تتجلّي القدرة الهائلة علي التعبير، وفق معايـري بنائية بالغة الخصوصية، يلعب فيها الايقاع الدور الأهّم، في تشكيل الصورة المحـورية للقـصيدة، حـيث يتم تبادل الأدوار فالصمت يدل علي الكلام، إذ تمتليء الفـراغات بأصـوات الذين غابوا، فلا شيء يمكن أن يندثر أو يأفل أو يضيع، وتمرّر الإنـسانية نفـسها عـبر الأنساق الزائلة، لتمنحها تلك القدرة علي الاستمراء والبقاء والخلود:

أنا باتكلّم م الشارع
والشارع فيه جامع
والجامع مبني بقاله ميّات م الأعوام
إنما شبابيكه كلام، وبيبانه كلام،

وعرايس أفريزه كلام، وحيطانه...
والمِعَمارجي اللي بناه واقف قدّامي، وبيكلمّني،
بيولع، وبيضرب لي سلام....
ياسلام..
موت مين ده يايوسف حلمي اللّي يحوشَكْ عني؟
تِصبَح علي خير.
* * *

الحرية/ القيد
القالب الملحمي/ علي اسم مصر

كـــتب صـــلاح جاهين قصيدته الملحمية الكبري 'علي اسم مصر' أثناء رحلته العلاجـــية إلي موسكو عام ١٩٦٩، ثم استكمل الجزء الثاني من الملحمة بعد عودته من الخارج في خريف ١٩٧١ .

وهـــذه الملحمة عبارة عن جدارية كبري تستوعب تاريخ مصر القديم والمعاصر، وأعتقد أن الانجازات الفنية الاعجازية التي قدّمها صلاح جاهين في هذه الملحمة فقط.. تـــرتفع بـــه إلي مقامـــات شعراء عظام، بل وتتجاوزهم أمثال: 'طاغور' 'جلال الدين الرومـــي' و'الـــشيرازي' و'لوركا' و'نيرودا' وغيرهم، فهذه الملحمة تستوعب طاقات موســـيقية وفنية وجمالية، قل، بل ندر، أن توفرت مثلها في أدبنا العربي المعاصر 'العامي والفصيح' إنها في بنائها البسيط والمركب مثل شجرة بديعة وسط غابة استوائية، انها في بـــنائها البسيط والمركب مثل شجرة بديعة وسط غابة استوائية، تختزن بداخلها أغصان موســـيقية متـــشابكة، قادرة علي استجلاب الإيقاعات الحية من بحار جوفية عميقة، لايمكن لها أن تغيض.

وفي أغلـــب مقاطع القصيدة/ الملحمة استخدم صلاح جاهين قالب 'الموال' وهو قالـــب غنائـــي قـــديم، عريق في مصريته، إستعملته المخيّلة الشعبية للتعبير عن نفسها، ولاكتـــشاف الـــبلاغة الخاصـــة الكامنة في وعي الجماعة، ولا وعيها أيضا منذ مئات السنين.

ولقـــد أعـــاد صـــلاح جاهين اكتشاف ما يختزنه هذا الشكل من ثراء نغمي، وتراكيب موسيقية، يمكن لها أن تستوعب هذا الفيض الابداعي المنهمر، طويل النفس، الـــذي لايستطيع القوالب الموسيقية المحدودة، أن تمسك به أو تحاصره، وتسيطر عليه.

وتستجيب الموهبة الخلاقة في علي اسم مصر لتحديات القالب الفني، فالشاعر الذي يريد التحليق والتحرّك عبر أنشطة لغوية متنوعة، يتمكن من تطويع الشكل.. وتزويده بأوتار موسيقية غنية، ليتزحزح الشكل الثابت، ويسمح بتحركات في العمق تساهم في تطوير القالب وتجعله مجرّد مقترح نام، يمتلك القابلية لكل أنواع الاحتمالات، فينفتح الشكل المغلق علي فضاءات إبداعية لاحدود لها، كما يتمكن الشاعر من تقديم إكتشافاته الفنية، عبر قدرة معجزة علي إختبار وإختيار المفردات الدالة التي تعكس وعيا عميقا لدي الشاعر بقدرة اللغة علي تجاوز أبعادها المألوفة والمتعارف عليها، لتشكل تلك السبيكة الخاصة، والبالغة الخصوصية، القادرة علي التعبير عن أعقد النغمات وأبسطها في آن :

النخل في العالي والنيل ماشي طوالي
معكوسة فيه الصور، مقلوبة وأنا مالي
ياولاد أنا في حالي، زي النقش في العواميد
زي الهلال اللِّي فوق مادنه بنوها عبيد
وزي باقي العبيد باجري علي عيالي
باجري وخطوي وئيد: من تقل أحمالي
محنّية قامتي وهامتي كأن فيها حديد
ويمينا رمل العريش فيها، وملح رشيد
لكنّي بافتحها زي اللي اتولدت جديد
علي اسم مصر

*****

ولعلّ أهم ما يقدمه 'صلاح جاهين' في قصيدته الملحمية الطويلة. من انجاز، يتمثل في تلك السهولة الغنائية بداخل تعقيد معماري وتصاميم فنية مركبة فالسطح البسيط الظاهر، يكاد يخفي ما يختزنه العمق من تأويلات لاحدود لها..

لقد كتب 'صلاح جاهين' ملحمته الرائعة وفق بنائية بالغة البساطة، لكنها بالغة التركيب أيضا، تعكس الحرية التي يمكن أن يمتلكها الشاعر بداخل القيد، فالقصيدة/ الملحمة، تم ابداعها وفق طرائف معينة التزم بها الشاعر فالقوافي تتوالي وفق ترتيبات بنائية ثابته (أ، ب ب، أأ، ب ب بَ) لكنها تتمتع في نفس الوقت بمجالات واسعة من الطفو الدلالي الذي يمنحها القدرة علي النفاذ من السطح المراوغ لتستغرق العمق الذي يشفي بمختلف الانفعالات، لتتجلّي في النهاية تلك 'الوصفة' السحرية، التي رفعت من مقام هذا الشاعر، وجعلته علامه حيّة من علامات الزمن العبقري، القادر دوما علي تجاوز ذاته وأزماته:

أ) مصر التلات أحرف، الساكنة اللي شاحنه، ضجيج

أ) زوم الهوي، وطقش موج البحر، لمّا يهيج

ب) وعجيج حوافر خيول بتجر، زغروطه

ب) حزمة نغم صعب داخله مسامعي مقروطه

ا) في مسامعي مضغوطه، مع دمي لها تعاريج

ا) ترع وقنوات سقت من جسمي كل نسيج

وجميع خيوط النسيج علي نبره، مربوطه

ب) اسمعها مهموسه، ولا اسمعها مشخوطه

ب) شبكة رادار قلبي جوه ضلوعي مضبوطه

علي إسم مصر

ولانعــرف كيف تمكن صلاح جاهين من أن يبث الحياة والديناميكية، بداخل هــذا القالــب المحدود فاستطاع أن يمده بأنشطة فنية ولغوية لاحدود لها، جعلته صالحا للتعــبير عــن مختلف الحالات، كما تمكن صلاح جاهين أيضا أن يصوغ سبيكة لغوية خاصــة، تــستوعب صوت الشاعر، وصالحة للقراءة، لاتنتمي إلي اقليم معين، بل هي صالحة بما تختزنه من مقومات جمالية أن تنمو وتزدهر لتصبح في النهاية لغة مستقلة بذاتها لهــا قوانيــنها الخاصــة التي تحكمها وتجعلها قابلة للانفتاح والتجدد علي شفاة شعراد آخــرين، ولهــذا يمكن تبرير ذلك التأثير الطاغي للشاعر/ صلاح جاهين علي الأجيال الجديــدة، والــبراعم التي تحاول التفتح، بل وعلي جميع الأجيال من جميع بقاع وانحاء الوطن الكبير.

ان الموهــبة الأساسية لصالح جاهين تكمن في تلك القدرة الاستثنائية علي تحويل كــل مــا هــو عادي ومألوف إلي شيء خارق ومبدع وخلاق، إنها العبقرية الخالقة، وتعــويذة السامر الذي يجعل من الأشياء البسيطة غريبة، لفرط بداهتها، والعادي بالغ الدهشة، والملتصق بحدقات العيون من فرط عدوبته وكأننا نري للوهلة الأولي.

وتتجلّــي هــذه المقدرة كأوضح ما يكون التجلّي في تلك التحفة الفنية الخالدة 'علــي اسم مصر' والتي يحاول الشاعر من خلالها أن ينجز سيرة فنية وجمالية وتاريخية أيــضا لتحــركات الشعب المصري من أجل الفكاك والحرية والإنعتاق، يبدع ملحمته لتــصبح شــاهدا علــي العبقرية المصرية حين تريد التعبير عن نفسها في صياغات فنية مبدعة:

علــي اســم مــصر التاريخ، يقدر يقول ما شاء أنا مصر عندي أحب وأجمل، الأشــياء باحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب وباحبها وهي مرميه جريحة، حرب باحــبها بعــنف وبرقه وعلي استحياء واكرهها والعن أبوها بعشق زي الداء واسيبها،

واطفـــش في درب، وتبقـــي هي في درب وتلتفت تلتقيني جنبها، في الكرب والنبض ينفض عروقي بألف نغمه وضرب علي اسم مصر.

كما تبرز الروح المصرية الصميمة بداخل التعبيرات والصور والأخيلة والمفردات، التي تنبع من صميم الواقع، لتصبح شاهده عليه:

مصر السما الفزدقي وعصافير معدية
والقلة مملية ع الشباك.. منديه
والجد قاعد مربع يقرا، في الجورنال
الكاتب المصري ذاته مندمج، في مقال
ومصر قدامه أكتر كلمه مقرية
قريتها من قبل ما أكتب اسمي بإيديا
ورسمتها في الخيال، علي أبدع الأشكال
ونزلت أيام صبايا، طفت كل مجال
زي المنادي وفؤادي يرتجف، بجلال
علي اسم مصر

وممـــا سبق يتضح أن الحرية عند صلاح جاهين، لم تكن بديلا عن الفعل، لكنها تكـــاد تـــصل أحيانا إلي أن تصبح الفعل ذاته، اذ أدرك أن الحياة سوف تعجز عن اتمام دورها دون أن تتحقق هذه الحرية، انها حرية غير مشروطه، مرتبطة بقدرة الانسان علي الفعـــل والتحدي، تدور في فلكه وجودا وعدما فالانسان الموجود، هو الانسان الحر، القـــادر علـــي أن يتخذ قراراته بنفسه، لذلك فهو انسان مسئول يتحمل تبعات هذه الحـــرية، ولايتهرب منها، وفي قصيدة 'في الجنة'، حيث يتوفر للفرد كل ما يشتهي، الا أن الشاعر يدرك علي نحو حدسي بعدم قدرته، وقلقله، واسترابته، فيقول:

تطلب وتطلب في حاجات، لاتنتهي
كله يجاب
ما هي جنه طبعا يامهاب
لكن مافيش غير بس شيء واحد وحيد
لو تطلبه، لايستجاب
انك تعوز تخرج من السور الحديد

وفي معظم أعمال 'صلاح جاهين' يمكن أن تعثر علي معاني متعددة للحرية، الها مـــثل خيوط النسيج بداخل الثوب، ومثل الضوء الذي يتخلل الظلام فيمنح الدنيا هذا البهاء لذلك فهو يؤمن بدور الكلمة وقدرتها السحرية علي الفعل، وانتاج المعني، وإثراء الحياة:

الكلمة إيد، الكلمة رجل، الكلمة باب
الكلمة نجمه كهربيه في الضباب
الكلمة كوبري صلب فوق بحر العباب
الجن ياأحباب ما يقدر.. يهزمه
فاتكلموا..

ولـــن تقتصر هذه الحرية عند 'صلاح جاهين' عند حدود معاني الكلمات فقط، فهي ليست حلية، أو زركشة لفظية، أو معدن جميلة تختزنها قصائده: لكنها تتجاوز هذا المعـــني لتصبح الجزء الفاعل من بناء متكامل، حاول الشاعر أن يؤسس لدعائمه في كل أعماله، وكانت أهم هذه الأعمال، وأكثرها قدره علي التجاوز والتأثير هي 'الرباعيات' التي سوف يكون لنا معها وقفة متأنية لمعانيه هذا المعمار العبقري الفريد.

فلسفة الرباعيات

تعتـــبر الرباعيات من أهم إبداعات صلاح جاهين وأرقاها، وأقربها إلي ذاته، ربما لأنهـــا تعكس حركة تحولات الشاعر، موضحا فيها رؤيته إزاء الحياة والمجتمع والكون، ويمكـــن من خلالها التعرف علي سيرته الذاتية والنفسية، وقالب الرباعيات من القوالب المعـــروفة في الأدب العـــربي القديم والحديث، بل في الأدب العالمي المعاصر أيضا، وقد تمكـــن صلاح جاهين بعبقريته المرهفة، من تحميل هذا القالب بمجمل أفكاره وتصوراته الحياتية، وقد أبدع فيه ومن خلاله، إلي الدرجة التي كدنا نعتقد.. أن صلاح جاهين هو أول من أبتكر هذا القالب، وكتب فيه، وأبدع طرائقه الفنية، إذ بلغ تفرده إلي حد أن أصـــبحت 'الرباعيات' علامة علية، كما أصبح هو علامة عليها، وكانت بصمته الفنية قـــوية واضـــحة، لاتخطئها عين، فصارت الرباعيات واسطة العقد، بين أعماله الكثيرة المـــتعددة، التي تتميز بأصالة الصوت الخاص، هذا الصوت الذي يتغلغل عميقا، بداخل النـــصوص الشعرية، ليهبها هذه الطاقة، التي تخلق مجالا مغناطيسيا جاذبا.. يسهم كل أعمال صلاح جاهين.

لقد كتب صلاح جاهين رباعياته منذ أوائل حقبة الستينيات من القرن الماضي، في لحظـــة مـــن لحظات التحولات الكبري للشاعر، وللمجتمع أيضا الذي كان يحاول اكتشاف ذاته عبر التوصل إلي خصائص الصوت الخاص.

والمـــتفحص للمضامين الأساسية للرباعيات سوف يكتشف بسهولة عمق هذه الـــتحولات، ومدي ما تحمله بداخلها من تناقضات، قادت الشاعر إلي رحلة عميقة في محاولـــة للتعرف علي التحركات الداخلية للذات، والبحث عن القوانين المنظمة لايقاع الحياة، ومن هنا يمكن فهم تلك الثنائيات المتناقضة التي تشتغل في جدل مستمر بداخل أعماق الشاعر، اضافة إلي الأسئلة المتتالية، التي تعكس القلق الوجودي للانسان، الذي

يسعي دائما إلي التحرر والانعتاق بلا جدوي، واستطاع صلاح جاهين أن يصنع اسطورته الخاصة عبر رحلة طويلة من المعاناة والصراع، ولعل القراءة المنصفة والمتأنية لهذا الشاعر الاستثنائي، سوف تؤكد لنا مدي صدقه وأصالته، وسوف يتبين لكل الذين حاولوا الانتقاص من تفرده، بتصنيفه باعتباره أحد شعراء سلطة 'يوليو' أن محاولتهم خائبه، لايمكن لها أن تفلح، فقد ذهبت الثورة بكل ما لها وما عليها، وبقت أشعار 'صلاح جاهين' تكتب في كل يوم ألقا جديدا، لايمكن أن يخفت، وثبت أن 'صلاح جاهين' لم يخضع طيلة حياته لأية سلطة غير سلطة الشعر، فأصبح علامة فارقة في تاريخ شعر العامية المصرية، منذ بداية سطوره الأولي، وحتي هذه اللحظة التاريخية التي اختطلت فيها الأحجام والألوان.

العثور علي عروق الذهب.

وكما في معظم أعمال 'صلاح جاهين' فإن البحث عن الحرية، هو السبيل الوحيد للانفتاح علي أعماله، وفهم دوافعه الأساسية للكتابة.. ومن هنا يمكن فهم جرأته وغوصه في العميق من أجل تقديم اكتشافات جديدة، لم يسبقه اليها أحد يمكن إستثناء الشاعر الاكبر فؤاد حداد وفي معظم قصائده هناك محاولة لتقديم مقترح جديد، وحتي بالنسبة للقوالب المألوفة، فقد تمكن من أن يعيد اكتشافها عبر اعادة تفكيك انساقها البنائية، ومدها بطاقة خلاقة، مثلما فعل في قالب الرباعيات، ليصبح الشكل في النهاية مجرد مقترح قابل لمختلف التأويلات.

لقد أعاد صلاح جاهين، اكتشاف قالب الرباعية، فجاء علي نحو ما قرأنا: منظومة فنية، بالغة التحديد والكثافة، عبر بنائية تعتمد صيغة السؤال المستمر، الذي يصعد من عمق القاع، ليتوتر السطح بمجموعة من الدوائر الصغيرة التي تزخذ في

الاتساع، لتستوعب في النهاية كونا بأكمله، لذلك فقد أصبح 'التحول' الدائم بمثابة النواة الأساسية داخل بناء الرباعية، وعلامة عليها، وهي تحولات تستمد غناها من مياد جوفية عميقة، مليئة بغابات من الرموز والصور والايحاءات البسيطة والمركبة في آن:

أنا كنت شيء، أصبحت شيء، ثم شيء
شوف ربنا قادر علي كل، شيء
هز الشجر شواشيه، ووشوشني قال:
لابد ما يموت شيء، عشان يحيا شيء

* * *

وتأتي كلمة 'عجبي' في نهاية كل مقطع، مثل حيلة فنية من الشاعر الذي يثير تساؤلات لاحصر لها، ولايمكن، بل يستحيل أن يقدم لنا الاجوبه، فهو يترك مساحة من الفراغات التي تمتليء بشحنات قوية من الطاقة التي تعمل دائما علي إبقاء السؤال معلقا، بحيث تصبح الاجوبة إفتراضية متعددة بتعدد القراءات المختلفة، لتعكس ذلك القلق الوجودي إزاء معظم القضايا الكبري للانسان.

وفي النهاية فإن العبقرية الخلاقة 'لصلاح جاهين' مكنته من أن يصوغ القضايا الفكرية والانسانية والفلسفية الكبري في قالب غنائي بسيط، متعدد الأوتار، قادر علي إستجلاب أعقد النغمات وأبسطها، ليكتب ويبدع تلك الشحنات الايقاعية المركزة، التي أمكن لها أن تتجاوز عصرها، لتشارف أمكنة وعصور أخري مختلفة ومخالفة وتكتب معان متجددة لايمكن حصرها أو حصارها.

البحث عن المشروعية

لقـــد ثبت الآن، وبما لايدع مجالا لأي شك، أن طائر العامية مما كان بإمكانه أن يحلق عاليا بغير جناحيه القويين 'فؤاد حداد، وصلاح جاهين' وأن بناء المثلث الذهبي ما كان يمكن أن يكتمل بغير قاعدته المكينة الشاعر الكبير 'بيرم التونسي' الذي منح أجيالا كـــثيرة مـــن بعده مشروعية التجريب، والجرأة علي الاقتحام والمغامرة والاكتشاف في مناطق غير مأهوله..

لقد جاء 'صلاح جاهين' مثل الشهاب، ليضيء سماء مصر بأكملها، ويؤكد عبر ملامحه المصرية عن أصالة اصوت ممتد النسب، انه وريث شرعي لتراث عريق.. تجتمع في ذراتـــه المتنافـــرة والمنسجمة كافة عناصر ملامح العبقرية المصرية، حين تشهر وجه حضرتها، وتصبح قادرة علي التعبير عن مكنرن شخصيتها، كما تظل قادرة أيضا علي تجـــاوز أزماتها، للنهوض من جديد، لتنفض الرماد عن كاهلها، وتحلق عاليا في سماوات من المحبة والتسامح ونبالة المقصد والضمير.

محمد كشيك

من رباعيات صلاح جاهين

سرداب في مستشفي الولاده طويل
صرخات عذاب ورا كل باب وعويل
.. وفي الطـــريق متزوقين البنات
متزوقـــــــين للحب و المواويل
عجبي !!

الدنيا أوده كـــــــبيره للانتظار
فيها ابن أدم زيه زي الحـــمار
الهم واحد .. و الملل مشـــترك
و مفيش حمار بيحاول الانتـــحار
عجبي !!

أيوب رماه البين بكل العــــلل
سبع سنين مرضَان وعنده شَلل
الصـــبر طيب .. صبر أيوب شفاه
بس الأكـــــاده مات بفعل الملل
عجبي !!!

نسمة ربيع لكن بتكوي الوشـــوش
طيور جميلة بس من غير عشـــوش
قلوب بتخفق إنما وحـــــــــدها
هي الحياه كده .. كلها في الفاشوش
عجبي !!!!

يا طير يا عالي في الســـما طظ فيك
ما تفتكرشي ربنا مصطـــــــفيك
برضــــــك بتاكل دود و للطين تعَّودً
تمــــص فيه يا حلو .. و يمص فيك
عجبي !!!

كروان جريح مضروب شعاع م القمر
سقط من السموات فؤاده انكســــر
جريت عليه قطه علشان تبلعـــــه
أتاريه خيال شعراء و مالهـــوش أثر
عجبي !!!

ياللي نصحت الناس بشـــــرب النبيت
مع بنت حلوه .. وعود ، وضحك ، وحديت
مش كنت تنصحهم منين يكســـــبوا
تمن ده كله ؟ ... و الا يمكن نســــيت
عجبي !!

ما حد في الدنيا واخد جزاتـــــــه
و لا حــــــد بيفكر في غير لذاذاته
ما تعرفيش يا حبيبتي .. أنا و انتي مين؟
إنتي عروس النيل ... و أنا النيل بذاته
عجبي !!

رقاصه خرسا و رقصه من غير نغـم
دنيا . . يا مين يصالحها قبل النـــدم
ساعتين تهز بوجههـــــــا يعنـي
يترجرجوا نهديها يعني نعـــــــم
عجبي !!!

إخطفني ياللي تحبني ع الحصان
الدنيا قالت يوم في ماضي الزمان
إخطفني ياللي تحبني ع الـــفرس
الدنيا قالت .. قام خطفها الشيطان
عجبي !!!!

من بين شقوق الشيش و شقشقت لك
مع شهقة العصافير و زقزقــــت لك
نهار جديد انا . . قوم نشوف نعـمليه
انا قلت يا ح تقتلني .. يا ح اقـــتلك
عجبي !!!

جالك أوان ووقفت موقف وجـود
يا تجود بده يا قلبي يا بده تجــود
ما حد يقدر يبقي علي كل شـــئ
مع إن – عجبي – كل شئ موجود
عجبي !!!

جالك اوان وعرفت مشي الجنايـــــز
كيف شفتها يا عبد رب اللذايـــــــذ
قال : شفت شيل بالحيل فقير أو اميــر
كما شالوا في الخمامير فواضي القزايز
عجبي !!

أنا كنت شئ و صبحت شئ ثم شـــئ
شوف ربنا .. قادرعلي كل شــــئ
هز الشجر شواشيه ووشوشني قال :
لابد ما يموت شئ عشان يحيا شئ
عجبي !!

يا مشرط الجراح أمانة علـــــيك
و انت ف حشايا تبص من حواليـك
فيه نقطة سوده في قلبي بدأت تبان
شيلها كمان .. و الفضل يرجع إليك
عجبي !!!

كيف شفت قلبي و النبي يا طبيــــب
همد و مات و الا سامع له دبيــــب
قاللي لقيته مختنق بالدمــــــــوع
و ما لوش دوا غير لمسه من إيد حبيب
عجبي !!!!

تسلم يا غصن الخوخ يا عود الحطـــــب
بييجي الربيع .. تطلـــــع زهورك عجب
و انا ليه بيمضـــــــي ربيع وييجي ربيع
و لسه برضك قلـــــــبي حتة خشب
عجبي !!!

قلبي عليل يا ناس و في الكاس دواه
مديت له إيدي شربت م اللي حــواه
جنبي الشمال خف .. اليمين اتـــوجع
و إيه يداوي الكبد م اللي كـــــواه
عجبي!!

.. دي مزكرات و كتبتها من ســــنين
في نوتة زرقا لون بحور الحنيـــــــن
عترت فيها .. رميتها في المهمــــلات
وقلت صحيح أما صحيح كلام مخبولين
عجبي !!

دخل الشتا وقفل البيبان ع البــيوت
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت
وحاجات كتير بتموت في ليل الشــتا
لكن حاجات أكتر بترفض تمـــوت
عجبي !!

الدنيا من غير الربيع مـــــيته
ورقة شجر ضعفـــانه و مــفـــتـته
- لا يا جدع غلطان تأمل وشوف
زهر الشتا طالع فـــــي عز الشـــتا
عجبي !!!

ياللي انت بيتك قش مفروش بريش
تقوي عليه الريح .. يصبح ما فيش
عجبي عليك حواليك مخالب كـــبار
و ما لكش غير منقار و قادر تعيش
عجبي !!!!

سمعت نقطة ميه جوه المحيـــط
بتقول لنقطه ما تنزليش في الغويط
أخاف عليكي م الغرق .. قلـــت أنا
ده اللي يخاف م الوعد يبقي عبيط
عجبي !!!

بحر الحياه مليان بغرقي الحياه
صرخت خش الموج في حلقي ملاه
قارب نجاه .. صرخت قالوا مفيش
غير بس هو الحب قارب نجاه
عجبي !!!

فارس وحيد جوه الدروع الحديد
رفرف عليه عصفور وقال له نشيد
منين .. منين.. و لفين لفين يا جدع
قال من بعيد و لسه رايح بعيد
عجبي !!

كان فيه قمر كأنه فرخ الحمام
علي صغره دق شعاع شق الغمام
أنا كنت حاضر قلت له ينصرك
إشحال لما حتبقي بدر التمام
عجبي !!

النهد زي الفهد نط اندلع
قلبي انهبش بين الضلوع و انخلع
ياللي نهيت البنت، عن فعلها
قول للطبيعة كمان تبطل دلع
عجبي !!!

صلاح جاهين بقلم جابر عصفور

لعل من يتابع جيداً شعر العامية يدرك للوهلة الأولى أنه مرتبط بمعنى المقاومة. وهو شعر ضد الضرورة، ضد شروط القهر التي ظل الشعب المصري يعانيها، ولا يزال، بمعنى من المعاني. وصلاح جاهين من هذا المنظور هو امتداد لكل شعراء المقاومة بالعامية كالنديم وبيرم التونسي، ويمكن أن نضيف فؤاد حداد والأبنودي وغير هؤلاء من الشعراء. وللمقاومة عند صلاح جاهين محاور ثلاثة: المحور الأول هو الحُب، لأن من يقاوم إنما يقاوم من أجل شيء يحبه وفي مواجهة شيء يبغضه. وكان صلاح جاهين طوال حياته الإبداعية يحب الفقراء، البؤساء، أبناء القاهرة الذين يغني لهم دائماً، ويحتفي بهم، ويأسى لما يحدث لهم: ويواجه من أجلهم كل قوى البطش والطغيان في تجلياتها المختلفة وفي أشكالها المتعددة. من هنا كان شعر صلاح جاهين شعر مقاومة بامتياز، بقدر ما ينطوي على معنى الحب وقيمه يطوي في الوقت نفسه على معاني الرفض وقيمه. كان يرفض كل ما يشوه الحياة، وكل ما يسيء إلى الفقراء، وكل ما يؤدي إلى ظلمهم، ولهذا تعلق بثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢، ورأى فيها حلماً قديماً يتحقق، فغنّى لها ومن أجلها ومن أجل أهدافها أجمل الأغنيات، وظل مؤمناً بها مثل أبناء جيله: أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور وغيرهما من الذين آمنوا بوعود الثورة في تحقيق الحرية والعدل للجميع. لكن الثورة نسيت وعودها وانقلبت عليها، فكانت كارثة العام السابع والستين التي أحالت الأحلام إلى كوابيس، والإيمان إلى رفض وعدم يقين.

وبدأت المراجعة المأسوية ودوامة الهموم والاستغراق في التأمل والإدانة للذات. وبقدر ما كتب أحمد عبد المعطي حجازي «مرثية العمر الجميل» من هذا المنطلق، وصلاح عبدالصبور «تأملات في زمن جريح» كتب صلاح جاهين قصيدته المبدعة «على اسم مصر» من المنطلق نفسه، مراجعاً الحلم الذي تحمّس له، مواصلاً الرفض لكل القيم السلبية التي قضت على الأمل وكل الشرور التي أفسدت الحلم على البسطاء. هكذا ظهر الوجه الثاني لصلاح جاهين الرافض، الساخر، المتأمل في ميتافيزيقا الوجود التي لم تمنع الإنسان من معانقة المستحيل وتحدِّي العدم. وكان من ذلك، وفي سياقه، «الرباعيات» التي لا تزال درة جاهين التي لا مثيل لها. وظل الرفض مرتبطاً بصفة أخرى، لعلها نتيجة لمعنى المقاومة في بعده الخاص بالحب والرفض على السواء، وهي صفة الارتحال بين الأنواع الفنية، الأشكال المختلفة لقصيدة العامية، وأنواع الفنون المختلفة، فظهر الشاعر والرسام والممثل وكاتب الأوبريت والأغاني الساخرة. ولم يكن ذلك كله سوى تعبير عن حال ارتحال متعددة الأبعاد، وعلامة على صلاح جاهين الذي لم يكن يهدأ من القلق والتوتر والتمرد الذي لا يستكين، فقد انطوى على نوع من النار المقدسة التي ظلت تلتهب داخله وتدفعه إلى التجريب والمضي في كل طريق، يراه مساعداً كي يحقق حلمه الأكبر، وأمله الأعظم، وهو الانتقال ببلده من وهاد الضرورة إلى آفاق الحرية. ولهذا ظل شعر صلاح جاهين في حياته وبعد مماته قريباً من الشعب والبسطاء كل القرب، بعيداً من قوى الشر والطغيان كل البعد.

ولكن صلاح جاهين ظل شاعراً بالدرجة الأولى، وارتحاله في الشعر أكثر أهمية من ارتحاله في كل مجال غيره. قد نناقش أثره بصفته ممثلاً، ظهر في بعض الأفلام، وكان خفيف الظل مؤثراً إلى حد كبير، في أدوار صعبة. ويمكن أن نناقش دور صلاح جاهين بوصفه كاتب أوبريت بالقياس إلى الشاعر، لكن المؤكد أن الشاعر فيه كانت له السطوة الأولى. ولم تكن مصادفة أن صلاح جاهين ولد عام ١٩٣١، وولد صلاح

عبدالصبور في العام نفسه، وأن هذا وذاك ومعهما الفارس الثالث أحمد عبد المعطي حجازي - الأصغر منهما سنوات قليلة - قد شقّوا في الشعر المصري طرقاً جديدة وأفقاً واعداً لم يكن لهما وجود من قبل، فكانت قصيدة العامية موازية في النشأة التأسيسية لقصيدة التفعيلة - أو الشعر الحر - غير بعيدة من قصيدة النثر، في مدى التمرد العام على قيود الضرورة الإبداعية، والبحث عن دروب مغايرة. ولذلك دخل الشعراء الثلاثة - صلاح جاهين وصلاح عبدالصبور وحجازي - معارك طاحنة مع العقول الرجعية الجامدة المتكلسة. ولم يتردد صلاح جاهين، فيما أذكر وتؤكد الجرائد المصرية، أن يخوض معركة الشعر الحر إلى جانب أحمد حجازي وصلاح عبدالصبور في مواجهة العقاد بصفته أكبر قوة أدبية في ذلك الوقت، وكان العقاد في المجلس الأعلى للثقافة (كان اسمه في ذلك الوقت المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) مقرراً للجنة الشعر، وكان يرفض شعر أمثال حجازي وعبدالصبور ويحيله إلى لجنة النثر للاختصاص. لقد أدرك صلاح جاهين، وكان مدركاً منذ البداية، أنه جزء من حركة إبداعية متمردة، حركة طليعية يمارس فيها ومعها دور الطليعة الرافضة مع حجازي وعبد الصبور وأقرانهما من المبدعين في الفنون الموازية، ومع الرائد الذي سبقهم جميعاً: عبد الرحمن الشرقاوي، فضلاً عن فؤاد حداد في قصيدة العامية، مندفعين إلى الأمام، محطمين عوائق المعارضة التي كانت تبديها وتمارسها العقول الجامدة. ولهذا وقف صلاح جاهين بالصورة المرسومة للكاريكاتير، والتعليق، والأغنية، والقصيدة، مع حركة الشعر الجديدة.

لذلك، ينبغي علينا، نحن النقاد، أن نعدَّه واحداً من أعلام حركة الشعر الحر في مصر، ورافداً من أهم روافدها، ذلك لأنه انتقل بالقصيدة العامية - التي كانت مجرد زجل أو موال - إلى قصيدة إبداعية بكل معاني الإبداع، ولا فارق جذرياً بين قصيدة لصلاح جاهين وأخرى لصلاح عبد الصبور من هذا المنظور، إلا في بعض الفوارق

الأدائية اللغوية التي لا تقضي على جوهر الإبداع الشعري هنا أو هناك. ومن يُعِدْ قراءة قصائد صلاح جاهين، سوف يجد أنها قصائد بالمعنى الكامل للقصائد، لكنها مكتوبة بالعامية فقط. ولكن حتى هذه العامية كانت أقرب إلى الفصحى، بل إنني لا أزال أذكر مجموعة من القصائد التي يمكن أن ننطقها بالفصحى فلا يتأثر المعنى بحال من الأحوال، فالتراكيب والصياغات والصور أقرب إلى الفصحى، وبذلك ارتفع صلاح جاهين بما كنا نسميه شعر الزجل أو شعر العامية إلى مستوى قصيدة العامية، فاتحاً الطريق للأجيال التي جاءت بعده، ابتداء من عبدالرحمن الأبنودي وسيد حجاب. ولعل انتشار هذا المصطلح - قصيدة العامية - كان دلالة على التحول الكبير الذي أحدثه صلاح جاهين وأستاذه فؤاد حداد في الكتابة بالعامية، حيث انتقلا من المستوى الذي كان يكتب به بيرم التونسي أو النديم أو غير هذين الشاعرين إلى مستوى آخر، يختلف كل الاختلاف، ويؤدي وظائف مغايرة، نسميه قصيدة العامية وليس الشعر العامي، فالشعر العامي أو الشعبي أو الزجلي شيء، وقصيدة العامية شيء مختلف جذرياً، وليس الاختلاف مسألة لغة في هذا السياق، بل في مجموعة من الخصائص الفنية والإبداعية التي تجعل من قصيدة العامية شعراً يختلف عن شعر العامية بمعناه الساذج المرسل.

إن شعر صلاح جاهين شعر صورة بالمعني الذي يؤكد جوهر الشاعرية والخيال. والصور التي كان يلجأ إليها، في أغلب الأحيان، تمتلئ بالكثير من أدوات التشبيه التي تعتمد عليها الأسطر الشعرية. وإلى جانب الصورة التشبيهية، هناك الصورة الكنائية التي تصور المشهد الذي يبدو من الظاهر وصفاً بصرياً، لكنه في نهاية الأمر يتحول إلى مجاز أو استعارة أو رمز لشيء أبعد منه. أذكر مثلاً حديثه عن الليل في قصيدة «تراب ودخان»، وأذكر أشعاره عن القمر، و «رباعياته» عندما يتحدث عن مفردات الطبيعة - الأعشاب، والهواء - والرغبة في ممارسة المستحيل، أقصد إلى تلك الرغبة التي تجعله يتطلع إلى القمر ويقفز إليه في الهواء، ولا يعنيه أن يطول القمر أو لا يطوله، يصل أو لا

يصل إليه، فالمهم هو المحاولة، والسعي الى المستحيل. والإبداع في جوهره هو بحث عن لؤلؤة المستحيل، كما قال أمل دنقل ذات مرة، وهو بحث عن الذي لا يتحقق، والذي ينبغـي أن لا نكف عن محاولة الوصول إليه حتى لو لم نصل، فالأهم من محطة الوصول الـرحلة نفسها، ومتعة السفر في ذاتها، بهذا المعنى كان للفلسفة الوجودية مغزاها عندما أكـدت أن سيزيف كان عارفاً بأن محاولاته مقضيّ عليها بالفشل، لكنه لم يكن يكف عـن المحاولة، لأنه كان يدرك أن وجوده كإنسان خالق متمرد لا ينفصل عن المحاولة. هذا هو ما نجده في شعر صلاح جاهين، حيث المحاولة الدائمة من خلال الصورة والرمز والكـناية للوصول إلى المستحيل الذي يتباعد كلما اقتربنا منه، وكدنا نمسكه بأصابع أمنياتـنا. لكـن وجـود هذا المستحيل يظل شرطاً لحياتنا التي لن يكون لها معنى دون المحاولـة المستمرة الدؤوبة التي تفرض على العبث واللاجدوى في حياتنا المعنى والمغزى، وتميزنا نحن البشر الفانين، الذين - مع علمنا بأننا محدودو القدرة - لا نكف عن التشبه بالآلهة.

والأمر الذي يلفت الانتباه في شعر صلاح جاهين - إلى جانب ذلك - هو صفة «الدرامـية». ولعل من يقرأ هذا الشعر متأملاً يجد أنه ينطوي على صوتين على الأقل: صوت الشاعر الذي يتحدث، وصوت الشاعر الذي يُتحدث إليه، كأن صلاح جاهين ينقسم دائماً في قصائده إلى ذات وموضوع. الذات تتأمل الموضوع خارجها، لكنها في الوقت نفسه تتأمل الموضوع الذي هو إياها. ولهذا نلاحظ أنه بمقدار ما يقيم موازاة بين نفـسه وهـرم صـغير مثلاً، يقيم موازاة بين نفسه وأشياء أخرى، كي يتأمل الحضور المحاصـر لهـذه الـذات، التي كان اليأس ينتابها أحياناً، لكنها لم تكن تكف عن محاولة التحدي. ولهذا كانت الدرامية موجودة في قصائد صلاح جاهين العامية منذ البداية إلى الـنهاية. ولـذلك لم أسـتغرب مثلاً أنه كتب «الليلة الكبيرة» بأصواتها المتعددة. التي انتقلت من الأوبريت إلى قصيدته العامية الشهيرة جداً «على اسم مصر»، وهي قصيدة

تحمل كل ما يمكن أن يتميز به شعر صلاح جاهين، وكأنه في هذه القصيدة كان يحاول أن يستعرض تاريخه الشخصي، ممزوجاً بتاريخ مصر كلها، متأملاً الذات في الموضوع، والموضوع في الذات. وللأسف لم يستطع أن يُكمل الاستعراض التاريخي، فتوقف عند نقطة صعبة حاسمة لم يستطع أن يُكمل بعدها فاحتبس صوته واختنق: مستسلماً للإحباط العظيم الذي قاده إلى الموت، حسرة على سقوط كل الأحلام التي غنَّى لها أجمل ما كتب. وعندما قرأت هذه القصيدة للمرة الأولى أدركت أن صلاح جاهين سوف يفارقنا، وأنه لا بد من أن يرحل عن هذا العالم القبيح الذي أسهم في وجوده بمعنى أو آخر عندما لم يكف عن الإيمان المطلق وبزعيمه الذي لم يكن هناك زعيم غيره.

إن شعر صلاح جاهين بمقدار ما يحمل من درامية يحمل في طيّاته تعدد مستويات اللغة، وهذا التعدد جزء من درامية القصيدة في الوقت نفسه، يقول في القصيدة نفسها:

رحيلاً رحيلاً بغير هوادة/ رحيلاً فإن الرحيل سعادة /عبادة/ إرادة / سيادة / ولادة/ رحيلاً... إلى أين ليس يهمّ/ وليس يهم بأي وسيلة.../

ولعل اللافت للانتباه في المقطوعة كلها - وهي بالفصحى - تأكيده فكرة الرحيل، أو الانعتاق، حيث الخروج من سجن المكان الذي ضاق بعاشقيه، والزمان الذي أحبط أماني المتطلعين الحالمين بمستقبله الذي بدا واعداً، خصوصاً حين تبدَّل المكان والزمان واستحالا إلى واقع للضرورة، محاصر، كئيب. والانطلاق ليس سفراً في الزمان والمكان، إنما هو سفر في الوعي، المعرفة، سفر لاكتشاف الذات وإعادة اكتشاف العالم الذي ازداد قبحاً، بعد هزيمة ١٩٦٧ وما أدت إليه من تدهور الدولة القومية وسقوط رموز المشروع القومي وأحلام هذا المشروع.

لـــذلك كان على صلاح جاهين الذي غنّى حالماً بأن يكون في كل قرية عربية أوبـــرا ومـــتحف...، أن يغنّـــي للتمرد الذي ينبغي أن يتوهج في النفس كي تقاوم به شـــروط الضرورة في العالم المنهار، المملوء أخطاء، والذي لم يتوقف انهياره، بل ازداد بعد وفاة عبد الناصر. ولهذا ظلت كتابة القصيدة عند صلاح جاهين مزيجاً من العذاب والمقاومـــة في الوقت نفسه، ونوعاً لا يتوقف عن حب الفقراء الذين ظل منحازاً إليهم إلى اللحظة الأخيرة في حياته التي لم تتوقف عن المقاومة، والتي ظلت تنطوي على معنى الـــسخرية، لأن المقاوِم لا يستطيع أن يستمر في مقاومة بطش براثن ومردة الظلام إلا بالـــسخرية مـــنهم، السخرية التي تقلّم أظافر الطغيان، وتجعل الطغيان نفسه موضوعاً للـــضحك، والبسمة التي تخفف عذاب المقموع، وتجعله على المستوى التخيلي - على الأقـــل - يتصور إمكان انتصاره على القامع. ومن يقرأ الرباعيات، أو أشباهها، سيجد صـــلاح جاهين يسخر من نفسه، العالم حوله، لكنها السخرية التي تبعث على البسمة التي تتحول بمعنى من المعاني إلى مقاومة لعبث الوجود وعبث السياسة، ومقاومة انحدار الأحـــلام وانكسارها وتحطمها، بسبب صعود قوى الشر. وظل صلاح جاهين يواجه بهـــذه السخرية واقعه المتدهور، ويحمي بها نفسه من الآثار المدمرة لهذا الواقع. ولكن لم تنفصل السخرية، قط، عن التأمل الوجودي في كائنات الوجود وبعد الوجود. لذلك، فـــبقدر ما تكثر نبرة السخرية ترتفع نبرة التأمل وتحديقة العين المتأملة، فالسخرية قرينة التأمل، والعلاقة بينهما متبادلة في قصائد صلاح جاهين التي لم تكف عن الارتحال بين المـــدن، والمـــيادين، والأماكن، والأفكار، محدقة في كل شيء، كي تحيل كل شيء إلى موضوع لسخرية المقاوم لا العاجز الذي أبدع شعراً، يظل نوعاً من الفرح المختلس.

الحياة

جابر عصفور

احتفالية صلاح جاهين

القمح زى الفلاحين
القمح مش زيّ الدهب
القمح زيّ الفلاحين
عيدان نحيلة
جِدرها بياكل فى طينْ

هكـــذا تحدث صلاح جاهين، فى أول دواوينه كلمة سلام، وصلاح جاهين هو شاعر العامية المصرى الكبير والرسام والممثل الذى احتفلت الأوساط الثقافية المصرية منذ أيام قليلة - فى المجلس الأعلى للثقافة - بذكرى ميلاده السادسة والسبعين، على مدار يومين كاملين أعدهما لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

تحـــدث فى جلـــسات هذين اليومين عديدون من أهل الشعر والفن والنقد، من بيـــنهم د. جابر عصفور أمين عام المجلس وأحمد عبدالمعطى حجازى مقرر لجنة الشعر وســـيد حجاب المشرف على الاحتفالية وبهاء جاهين الشاعر ابن الشاعر، كما تحدث: حـــسن طلـــب وزيـــن نصار وفتحى الخميسى ومصطفى عبدالله ومحمد عبدالمطلب ومـــسعود شومان وجلال الشرقاوى ومحمود أمين العالم ومصطفى حسين وأمين حداد والمغنى على إسماعيل.

وصلاح جاهين ثانى اثنين، إذ هما نقلا كتابة العامية المصرية من طور الزجل إلى طـــور الشعر الحديث فى مواكبة أصيلة لحركة الشعر الحر الفصيح التى نقلت القصيدة الـــشعرية مـــن طور العمود الرومانتيكى التقليدى إلى طور الشعر الحديث، منذ أوائل الخمسينيات الثانى هو: فؤاد حداد.

مـــن عناصـــر هـــذه الـــنقلة - التي نهض بها جاهين وحداد - أن صار البعد الاجتماعـــى والـــسياسى أشمل من الاقتصار على الهجاء الاجتماعى للنماذج البشرية بطريقة لاذعة مثلما كان فى طور الزجل السابق عند عبدالله النديم وبيرم التونسى، ومن عناصـــرها أن تحـــررت القصيدة شكليا من النمط الهندسى المحدد سلفا لعدد الوحدات الموسيقية التفعيلة باتجاه اعتبار التفعيلة - لا عدد التفعيلات فى بحر معين - هى الأساس الموســيقى للوزن الشعرى، وهكذا تضافرت انقلتان: النقلة الفصيحة التى قادها صلاح عبدالـــصبور وأحمد عبدالمعطى حجازى، والنقلة العامية التى قادها فؤاد حداد وصلاح جاهين.

لـــذلك فمن الطبيعى أن يتحدث أحمد عبدالمعطى حجازى عن صلاح جاهين، موضـــحا أن الـــشعر عند جاهين يصبح لغة للجماعة أصدق من لغتها اليومية وأكثر حمـــيمة، وهنا نستعيد ما قاله لوتر يامون الشاعر الفرنسى المجدد عن الشعر الذى ينبغى أن يكتبه الجميع، لا فرد واحد، والشعر، إذن، عند جاهين وعند كل مبدع أصيل، هو عمل فردى وعمل جماعى فى الوقت نفسه، بحيث يغدو مغامرة فردية فى اكتشاف روح الجماعة التى يستطيع كل شاعر أن يصل إليها بطريقته، وها هى قطعة من قطع جاهين، التى تعد مثالا دقيقا على فكرة حجازى:

أنا لوحدى مفيش حاجة
مجرد اسم متشخبط على ورقة
فى إيد واحد مدير
أصله قومسيونجى.

تجربة وجودية:

كان الأساس النظرى هذه النقلة فى شعر العامية التى قادها جاهين مع رفاقه تقوم علـــى ثلاث ركائز: الأولى هى أن الكتابة بالعامية لا تعنى الحرمان من التطور والتقدم

الفـــنى والفكرى، والثانية هى أن الشعر الحقيقى هو ذلك الذى يعبر عن تجارب البشر البسطاء وعن حركة المجتمع الداخلية تحت قشرة الحياة الخارجية وعن نبض العصر الذى ينـــبت فـــيه، والثالـــثة هى تهشيم الفكرة السطحية التى سادت تجاه الكتابة بالعامية، والزاعمة أن هذه الكتابة طالما هى تستخدم لغة العامة فليس لها أن تطمح إلى التعبير عن همـــوم الإنـــسان المعاصر وأشواقه الإنسانية: الوجودية والفكرية والمركبة، سيقول لنا جاهين، مصداقا لكل ما سبق:

ولدى نصحتك لما صوتى اتنبح
ماتخافش من جنى ولا من شبح
وان هب فيك عفريت قتيل اسأله
مادافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح.

كاتب سجل الثورة:

كـــان صـــلاح جاهين مترجم ثورة يوليو الغنائى، بحق، وسيظل تاريخنا الثقافى يذكـــر لـــه أنـــه اســـتطاع أن يحـــول المبادئ والقيم والشعارات والأهداف الوطنية والمؤسسات السياسية والخطط الإنتاجية، إلى جمل شعرية، صارت تتردد على كل لسان حيـــنما أداها صوت عبدالحليم حافظ، حتى صارت هذه الأغنيات سجلا لمرحلة طويلة وهامة من مراحل الثورة المصرية، حافلا بمفردات العمل السياسى لثورة يوليو ١٩٥٢: إحـــنا الـــشعب، التنظـــيم السياسى، الاتحاد الاشتراكى، التصنيع التقيل، الاشتراكية، الوحدة، السد العالى، فلسطين، الميثاق، قوى الشعب العامل:

كلنا هنا فى الصورة زمايل
نوفى اللى ميثاقنا عليه قايل
من أصغر طفلة بجدايل
على زرع وحصد بتتمايل

للفلاح أبوخير وجمايل
للواعظ حافظ القرآن
للجندى الأسد اللى شايل
على كتفه درع الأوطان.

والواقـــع أن الحـــديث عـــن هذه المواكبة الشعرية الغنائية التى ترجم بها جاهين شـــعارات الـــثورة، تدفعـــنا للقول بأن جاهين - فى ذلك - كان يجسد دور الحامل الأيديولوجـــى لفكـــر الثورة. ينقله - بالترجمة الغنائية إلى الجماهير المراد شحنها بهذه الأيديولوجـــية الجديدة، وكان ذلك وجها من وجوه عبقرية جاهين الكبيرة من جهة، لكنه كان فى الوقت نفسه وجها من وجوه مأساته الكبيرة، من جهة ثانية، لاسيما بعد الهـــزيمة القاصمة للتجربة الناصرية من ١٩٦٧، وانكشاف الغطاء المزركش البراق عن خـــراب عميق عميم، ذلك الخراب الذى دفع حجازى - نظير جاهين فى النقلة على الجانـــب الفـــصيح - يسائل جيله المساءلة المفجعة الشهيرة، قائلا بلسان نفسه ولسان جاهين:

من تُرى يحمل الآن عبء الهزيمة فينا؟
المغنى الذى طاف يبحث للحلم عن جسد يرتديه؟
أم هو الملك المدّعى أن حلم المغنى تجسد فيه؟
أم ترانا خُدعنا معا بسراب الزمان الجميل؟

عـــاش صـــلاح جاهين، المرحلة الأخيرة من حياته (بدءا من رحيل عبدالناصر ١٩٧٠، انـــتهاء بـــرحيله هو فى منتصف الثمانينيات) معانيا إحدى الأزمات الروحية الكـــبرى التى يعانيها الشعراء الكبار الصادقون، اتجه فيها إلى الأغنيات الخفيفة والأفلام الخفـــيفة لكن جاهين، برغم هذا التوجه الخفيف الناجم عن الأزمة الثقيلة، لم يتزلق إلى كـــتابة أغـــان أو قـــصائد تترجم أو تجسد أو تبرر الاتجاهات السياسية والاجتماعية

والاقتــصادية الــتى سادت فى عصر السادات. كما أنه أصدر ديوانه أنغام سبتمبرية فى هذه المرحلة (١٩٨٤) فى رثاء عبدالناصر، وفيه رائحة من أريج جاهين القديم، وفى كل حال من أحواله، استمرت قدرته الباهرة على إبهاج المصريين.

وفى قلــب هــذه الأزمة الكابية خرجت مأثرته العظمى الرباعيات، التى حفلت بــالفن الرفيع، والحكمة المصفاة، والبساطة الجارحة، والألم الباسم أو البسمة الأليمة. حيث ضرب الطبيعة والأنوثة بريشة واحدة فى قوله:

النهد زى الفهد نط اندلع
قلبى اتهبش بين الضلوع وانخلع
ياللى نهيت البنت عن فعلها
قول للطبيعة كمان تبطل دلع

وحيث صرخ فى وجه الكبت والقمع، داعيا إلى الحرية والصراحة والهواء الطلق، فى رباعيته الساحرة:

يا عندليب ماتخافشى من غنوتك
قول شكوتك واحكى عن بلوتك
الغنوة مش حتموتك، إنما
كتم الغنا هو اللى حايموتك

تاجر السعادة الحزين:

تميــز شعر صلاح جاهين، فى قصائده الشعرية لا فى أغانيه السياسية، بالاقتراب مــن روح الشعر الحديث، فى حين كانت أغلب قصائد شريكه فؤاد حداد على الرغم من خصوبتها العارمة وموسيقيتها الجارفة تكاد تقترب من روح النظم المهندس هندسة تجعلــه مقاربا للشعر العمودى الفصيح، وقد عبّر جاهين، نفسه، عن هذا التباين حينما قــال فى مقدمة أعماله الكاملة: تأثر فؤاد بخطابية الشعر العربى القديم أكثر منى، لأننى

كـــنت قـــد بدأت أغازل الشعر الحديث الذى حطم عمود الشعر، والذى كان شعراء الفصحى قد بدأوا ينشرونه، ولكنه لم يكن يترل لفؤاد حداد من بلعوم.

فى أواخر الستينيات، سُئِل جاهين عن حداد فقال: فؤاد حداد أشعر منى، لكننى أشـــطر منه، والحق أن هذا الرأى لا ينطوى على الحقيقة بقدر ما ينطوى على التواضع والغيريـــة والبساطة التى يتسم بها السامقون، فقد حرثت شعرية جاهين الطاغية فى كل حقـــل، وحفـــرت فى كـــل وجدان، فهو بحق تاجر السعادة فى شعر العامية المصرية الحـــديث، حـــتى وإن لم يكن هو نفسه سعيدا، ولعل هذا المعنى هو ما قصد إليه جابر عـــصفور، حينما قال فى افتتاح الاحتفالية: إن جاهين رمز عزيز من رموز مصر الثقافية الكـــبيرة، رابطـــا بين حركة شعر العامية المصرية وبين حركة المقاومة الوطنية المصرية، وجاهين - بهذا المعنى — شاعر مقاومة من الطراز الرفيع.

أمـــا أوبـــريت اللـــيلة الكبيرة حيث: طار فى الهوا شاشي/ وانت ما تدراشى، وكلمات هو وهى حيث: البنت زى الولد/ ماهيش كمالة عدد/ فى الاحتمال والجلد/ مذكـــورة فى المعجـــزات، وقصيدة بحر البقر، كل ذلك سيظل لبنات أساسية من بنيان الضمير المصرى الحديث والبهجة المصرية الحديثة.

سلام، يا صاحب كلمة سلام.

حلمى سالم

صلاح جاهين
صوت مصر وصوت البشرية
القاهرة ـ مكتب "الرياض"، شريف الشافعي

وصف مثقفون وأكاديميون مصريون الشاعر والرسام والكاتب متعدد المواهب صلاح جاهين (١٩٨٦-١٩٣٠) بأنه "صوت مصر وصوت البشرية"، وذلك في احتفالية نظمها أخيراً المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بالتعاون مع مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي وجمعية فناني الكاريكاتير على مدار يومين بمناسبة مرور عشرين عاماً على رحيل جاهين .

شارك في الاحتفالية عدد من المبدعين والشعراء والباحثين والأكاديميين، من بينهم :الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مقرر لجنة الشعر بالمجلس، والشاعر سيد حجاب مقرر الاحتفالية، والدكتور فتحي صالح مدير مركز توثيق التراث الطبيعي والحضاري، والشاعر بهاء جاهين الذي ألقى كلمة أسرة الراحل صلاح جاهين، والناقد الدكتور محمد عبد المطلب، والشاعر حسن طلب، والناقد محمود أمين العالم، والفنان مصطفى حسين نقيب التشكيليين، والشاعر أمين حداد، وآخرون. اشتملت الاحتفالية على جلسات نقدية لمناقشة أعمال جاهين الأدبية والفنية في مختلف المجالات، وأمسيات شعرية بمشاركة كبار الشعراء ومنهم: محمد عفيفي مطر وحجازي وسمير عبد الباقي وماجد يوسف وغيرهم، فضلاً عن أمسيتين غنائيتين للفنانين والموسيقيين علي الحجار وسلمى الصباحي وإبراهيم رجب .

الدكتور جابر عصفور أشار إلى أن صلاح جاهين هو امتداد لكل شعراء المقاومة، والمقاومة لديه تتحلى في ثلاثة محاور: الأول الحب؛ فهو يبدع من أجل شيء يحبه، وفي مواجهة شيء يبغضه، وكان يحب الشعب البسيط ويكره كل ما هو غير إنساني من قهر وظلم وتعسف. والثاني الرفض، رفض كل ما يشوه الحياة وكل أشكال الظلم، ولهذا غنى جاهين لأجل ثورة يوليو ولأجل أهدافها، لكن هذه الثورة شهدت الكارثة في عام ١٩٦٧مما جعل المتحمسين لها ينتقلون من الحلم إلى الكابوس. والثالث الارتحال، فقد كان جاهين لا يكف عن الارتحال بين الأنواع الفنية داخل الشعر، وبين أنواع الفنون المتعددة كالكاريكاتير والأوبريت وحتى التمثيل السينمائي .

وأشار الشاعر والتشكيلي محمد بغدادي إلى أن عبقرية جاهين الكاريكاتيرية تكمن في امتلاكه لرؤية واعية ،ثقافة ذات حس وطني ورغبة أكيدة في إحداث تغيير في المجتمع، وقال بغدادي: لأن جاهين شاعر، فإن إحساسه بنبض الشارع المصري والعربي جعله دائماً على خط التماس مع مشكلات الناس وقضاياهم، وهذا ما جعله يشتبك مع الواقع، وبالتالي فإن أعماله الكاريكاتيرية كانت نابعة من قبل هذا الشعب في هزله وجده، إذ إنه لم يسع مطلقاً لافتعال الموقف الكاريكاتيري، بقدر سعيه للبحث عنه واستخراجه من أعماق هذا الشعب الساخر دائماً .

وأوضح الناقد الدكتور محمد عبد المطلب أنه من الممكن مقاربة رباعيات صلاح جاهين، لا بوصفها نصوصاً إبداعية فحسب، بل بوصفها نصوصاً ثقافية تأسست في نصب جمالي يجمع بين الفردية والجماعية على صعيد الشعرية التي تحولت إلى أنشودة جماعية ينشدها شاعر فرد. وعن التحليل اللغوي لمفردات الرباعيات الجاهينية قال الدكتور محمد عبد المطلب :عند قراءة رباعيات جاهين من خلال المتابعة الكمية لمفرداتها اللغوية نجد نتيجة لافتة، فجملة مفردات الرباعيات تبلغ ٣٦٤٣مفردة، منها ٢٩٦٠مفردة فصيحة و ٦٨٣مفردة عامية، والنسبة بينهما ٨٢% للفصحى و١٨%

للعامية، ومعنى هذا أن الرباعيات تنتمي للغة الفصيحة على نحو من الأنحاء، حتى أن بعض الرباعيات جاءت مفرداتها فصيحة خالصة .

وقال الشاعر بهاء جاهين: إن رباعيات صلاح جاهين لم تكن تأملات فلسفية محضة كما هو شائع، بل عكست تجارب شخصية ووطنية طاحنة، ولم ينفصل لديه ما هو قومي عما هو فلسفي أو شخصي .

أما الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي فإنه أكد أن صلاح جاهين لم يكن مجرد شاعر عامية مصري وحسب، ولكنه شاعر عربي كبير، وحين نحتفل بجاهين فإننا نحتفل بقيمة شعرية كبيرة ليس في مصر وحدها، بل في شعر العامية كله، نحتفي بابن عروس والنديم وبيرم التونسي وفؤاد حداد وحسين شفيق المصري. وقال حجازي: لم يكن جاهين صوتاً بسيطاً مفرداً، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة المصرية كما رآها في الواقع وفي الحلم معاً، فجاهين ليس ثمرة تراث قومي مغلق، وإنما هو ثمرة كل من التراثين القومي والإنساني، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر ما يدين لأحمد شوقي وبيرم التونسي .

والشاعر والفنان متعدد المواهب صلاح جاهين من مواليد ديسمبر في عام ١٩٣٠، ويعد من أبرز الذين كتبوا بالعامية المصرية مستخدماً ألفاظ الشارع المصري البسيط لتصوير الأحداث الجارية في مجمل أشعاره وكلمات أغنياته وفي رسومه الكاريكاتيرية المعبرة عن الواقع .

وقد اعتبره النقاد امتداداً لبيرم التونسي سيد الزجل الشعبي والسياسي في مصر في القرن العشرين، وقد وصل جاهين إلى مختلف الفئات والأوساط الاجتماعية حتى الأطفال الذين قدم لهم أشعاراً وأغنيات ومسرحيات ذائعة الصيت، فضلاً عن الفوازير الرمضانية المحببة، وأوبريت "الليلة الكبيرة الشهير، كما كتب جاهين بعض

الـــسيناريوهات والحـــوارات التليفزيونية (مثل حلقات "هو وهي") والسينمائية (مثل أفـــلام: "خلي بالك من زوزو"، و"أميرة حبي أنا"، و"شفيقة ومتولي"، و"المتوحشة")، كمـــا شـــارك في التمثـــيل في بعض الأفلام (مثل: "شهيد الحب الإلهي"، و"لا وقت للحب"، و"المماليك" .

وقد أصيب جاهين بحالة من الاكتئاب والعزلة في أعقاب نكسة ١٩٦٧استمرت حـــتى رحيله في عام ١٩٨٦، حيث توقف عن كتابة الأغاني والأناشيد الوطنية، واتجه إلى الكتابة في اتجاهين: الشعر التأملي العميق كما في "الرباعيات"، والأغاني الخفيفة التي غـــنت الـــراحلة سعاد حسني أغلبيتها، ومنها "صباح الخير يا مولاتي"، و"الدنيا ربيع"، "بانوا بانوا"، وغيرها.

من رباعيات صلاح جاهين

صوتك يا بنت الإيه كأنه بدن
يرقص يزيح الهم يمحي الشجن
يا حلوتيَ و بدنك كأنه كلام
كلام فلاسفه سكروا نسيوا الزمن
عجبي !!!!

كرباج سعاده وقلبي منه اجلد
رمح كأنه حصان و لف البلد
و رجع لي نصل الليل و سألني .. ليه
خجلان تقول انك سعيد يا ولد
عجبي !!!!

مزيكة هادية الكونِ فيها انغـــمر
وصيف و ليل و عقد فل و سمر
يا هلتري الناس كلهم مبسوطين
و يا هلتري شايفين جمال القمر ؟
عجبي!!

إنشد يا قلبي غنوتك للجمـــــــال
و ارقص في صدري من اليمين للشمال
ما هوش بعيد تفضل لبكره سعيـــــد
ده كل يوم فيه الف الف احتمـــــال
عجبي !!

آه لو انا و محبوب جزنا الفضـــا
في سفينة وحدينا .. واشيا رضـــا
ساعة صفا تعجبنا نرجع لهـــــا
و الهم قبل ما يجي .. يبقي مضى
عجبي !!

أنا إله الوجد رب الهيـــــام
أضرب بسهم الوهم وهم الغـــرام
و هم الغرام من كتر ما هو لذيـــذ
رشقت انا ف صدري جميع السهام
عجبي !!!

حدوته عن جعران و عن خنفســـه
اتقابلوا حوا بعض ساعة مســـــا
و لا قال لهم حد اختشوا عيب، حـــرام
و لا حد قال دي علاقة متدنســـة
عجبي !!!!

ياللي عرفت الحب يوم و انطـــوي
حسك تقال مشتاق لنبع الهــــوي
حسك تقول مشتاق لنبع الغــــرام
ده الحب .. مين داق منه قطره...ارتوي
عجبي !!!

عمر بن الخيَّام

(١٠٤٠ ١١٣١ م)

ولد في نيسابور سنة ١٠٤٠ م وكان أبوه صانع خيام فاشتقّ اسمه من حرفته.

وكـــان أثناء صباه يدرس مع صديقين حميمين، وتُعاهد ثلاثتهم على أن يساعد من يؤاتيه الحظ الآخرين، وهذا ما كان ..

فقد وصل إلى الوزارة نظام الملك (الطوسي) فخصّ عمر بن الخيَّام عندها بمائتين وألف مثقال يتقاضاها من بيت المال كل عام.

وهكذا صار لعمر بن الخيام الوقت الكافي للتفكير بأمور وأسرار الحياة، بعد أن توفّرت له أسباب المعيشة.

يقول:

أفنيتُ عمري في اكتناه القضاء وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلمْ أجد أسراره وانقضى عمري وأحسست دبيب الفناء

ويقول في رباعياته:

لبستُ ثوب العمر لم أستَشَرْ وحرت فيه بين شتّى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم أدركْ لماذا جئتُ أين المقر
لم يبرح الداء فؤادي العليل ولم أنل قصدي وحان الرحيل
وفات عمري وأنا جاهل كتاب هذا العمر حسم الفصول

وهو يعجب لهذا الفناء السريع للشباب والحياة فيقول:

تناثرت أيّام هذا العمر تناثر الأوراق حول الشجر

فـانعم مـن الدنـيا بنـذّاتها من قبل أن تسقيك كفّ القدر
أطفِئْ لظى القلب ببرد الشراب فانمـا الأيـام مـثل السـحاب

وفي موضع آخر يتدارك نفسه فيقول:

يـا عـالم الأسـرار علـم اليقـين يـا كاشف الضرّ عن البائسين
يـا قابـل الأعـذار فئـنا إلـى ظلـك فاقـبل تـوبة التائبـين

مـن هـنا نـرى أن رباعيات الخيام تتراوح بين الإيمان والإلحاد وبين الدعوة للمجون والدعوة للهو وبين طلب العفو من الله عزّ وجلّ وإعلان التوبة.

لذا اختلف العلماء في تصنيف عمر الخيام والأرجح أنه لم يخرج عن المألوف إنما هي صرخة في وجه الظلم والأمور الدخيلة على لدين الإسلامي في عصره.

ولم يفكّر أحد ممن عاصره في جمع الرباعيات. فأوّل ما ظهرت سنة ٨٦٥ ه، أي بعـد رحـيله بـثلاثة قرون ونصف. ولعلّهم كانوا يخشون جمعها لما حوته من جرأة وحكمة.

وأوّل ترجمة للرباعيات كانت للغة الإنجليزية، وظهرت سنة ١٨٥٩، أما الترجمة العـربية من الفارسية فقام بها الشاعر المصري أحمد رامي. وهناك ترجمة أخرى للشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي.

عمر الخيام بين فكّي التاريخ

مــن أبرز حوادث التزوير في التاريخ أن معظم الناس يقولون بأنّ الخيام لم يكن إلا شــاعراً. والـــصحيح انه كان من أكبر علماء الرياضيات في عصره، واشتهر بالجبر واشتغل في تحديد التقويم السنوي للسلطان ملكشاه.

وهــو أوّل مــن اخترع طريقة حساب المثلّثات والمعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة بواسطة قطع المخروط.

وقد وضع الخيام تقويما سنوياً أدقّ من التقويم السنوي الذي نعمل به اليوم.

وبسبب الفهم الخاطيء لفلسفته ولتصوّفه اتهم بالإلحاد والزندقة وأحرقت كتبه، ولم يــصلنا مـــنها سوى الرباعيات لأنّ القلوب أحبّتها وحفظتها من الضياع. غير أن الخـــيام كان عالماً عبقرياً وملماً ومبدعاً أكثر بكثير من كونه شاعراً . وضياع كتبه في الرياضيات والفلسفة حرم الإنسانية من الاستفادة من الإطلاع على ما وضعه في علوم الجبر والرياضيات.

من جهة أخرى تم الكشف عن جزء بسيط فقط من عبقريته، من خلال ما تبقى لـــنا من رباعياته. ولو لم تحرق كتبه لساهمت في الكشف عما خفي على العلماء، وربما توصّلوا لما في كتبه بعد قرون وربما لم يهتدوا حتى الآن إلى ما توصّل إليه..

آه لـــو تمهّل أهل السلطة والقرار في إحراق الكتب القيمة .... فقد احرقوا على ســبيل المثال لا الحصر كتاب الغزالي "إحياء علوم الدين" بحجة الكفر وحجج أخرى، وما لبث هذا الكتاب أن أصبح بعد سنين الكتاب من أهم الكتب الإسلامية !

ويذكـــر هنا أن الأقدار شاءت أن يموت الخيام، وهو الذي اتهم بالإلحاد وأحرقت كتبه بشكل ملفت للنظر .. مؤكداً إيمانه بالله .. فقد مات الخيام بعد أن صلى ركعتين.

من رباعيات الخيام

سمعت صوتا هاتفا في السحر
نادى من الحان : غفاة البشر
هبوا املئوا كأس الطلى قبل أن
تفعم كأس العمر كف القدر

***

أحس في نفسي دبيب الفناء
ولم أصب في العيش إلا الشقاء
يا حسرتا إن حان حيني ولم
يتح لفكري حل لغز القضاء

***

أفق وهات الكأس أنعم بها
واكشف خفايا النفس من حجبها
وروّ أوصالي بها قبلما
يصاغ دنّ الخمر من تربها

***

تروح أيامي ولا تغتدي
كما تهب الريح في الفدفد
وما طويت النفس هما على
يومين أمس المنقضي والغد

***

غد بظهر الغيب واليوم لي
وكم يخيب الظن في المقبل
ولست بالغافل حتى أرى
جمال دنياي ولا أجتلي

***

سمعت في حلمي صوتا أهاب
ما فتق النوم كمام الشباب
أفق فإن النوم صنو الردى
واشرب فمثواك فراش التراب

***

قد مزق البدر سنار الظلام
فاغنم صفا الوقت وهات المدام
واطرب فإن البدر من بعدنا
يسري علينا في طباق الرغام

***

سأنتحي الموت حثيث الورود
وينمحي اسمي من سجل الوجود
هات اسقنيها يا منى خاطري
فغاية الأيام طول الهجود

***

هات اسقنيها أيهذا النديم
أخضب من الوجه اصفرار الهموم
و إن مت فاجعل غسولي الطلى
وقد نعشي من فروع الكروم

***

إن تقتلع من أصلها سر حتي
وتصبح الأغصان قد جفت
فصغ وعاء الخمر من طينتي
واملأه تسر الروح في جثتي

***

لبست ثوب العيش لم أستشر
وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم
أدرك لماذا جئت أين المقر

***

نمضي وتبقى العيشة الراضية
وتنمحي أثارنا الماضية
فقبل أن نحيى ومن بعدنا
وهذه الدنيا على ما هيه

***

طوت يد الأقدار سفر الشباب
وصوحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبى واختفى
متى أتى يا لهفا أين غاب

***

الدهر لا يعطي الذي نأمل
و في سبيل اليأس ما نعمل
و نحن في الدنيا على همها
يسوقنا حادي الردى المعجل

***

أفق خفيف الظل هذا السحر
وهاتها صرفا وناغ الوتر
فما أطال النوم عمرا ولا
قصر في الأعمار طول السهر

***

اشرب فمثواك التراب المهيل
بلا حبيب مؤنس أو خليل
و انشق عبير العيش في فجره
فليس يزهو الورد بعد الذبول

***

كم آلم الدهر فؤادا طعين
و أسلم الروح ظعين حزين
وليس ممن فاتنا عائد
أسأله عن حالة الراحلين

***

يا دهر أكثرت البلى والخراب
و سمت كل الناس سوء العذاب
ويا ثرى كم فيك من جوهر
يبين لو ينبش هذا التراب

***

وكم توالى الليل بعد النهار
وطال بالأنجم هذا المدار
فامش الهوينا إن هذا الثرى
من أعين ساحرة الاحورار

***

أين النديم السمح أين الصبوح
فقد أمض الهم قلبي الجريح
ثلاثة هن أحب المنى
كأس و أنغام ووجه صبيح

***

نفوسنا ترضى احتكام الشراب
أرواحنا تفدى الثنايا العذاب
و روح هذا الذي نستله
ونستقيه سائغا مستطاب

***

يا نفس ما هذا الأسى والكدر
قد وقع الإثم وضاع الحذر
هل ذاق حلو العفو إلا الذي
أذنب والله عفا واغتفر

***

نلبس بين الناس ثوب الرياء
و نحن في قبضة كف القضاء
وكم سعينا نرتجي مهربا
فكان مسعانا جميعا هباء

***

لم تفتح الأنفس باب الغيوب
حتى ترى كيف تسام القلوب
ما أتعس القلب الذي لم يكد
يلتام حتى أنكأته الخطوب

***

عامل كأهليك الغريب الوفي
واقطع من الأهل الذي لا يفي
و عف زلالا ليس فيه الشفا
واشرب زعاف السم لو تشتفي
***
أحسن الى الأعداء و الأصدقاء
فإنما إنس القلوب الصفاء
و اغفر لأصحابك زلاتهم
وسامح الأعداء تمح العداء
***
عاشر من الناس كبار العقول
وجانب الجهال أهل الفضول
واشرب نقيع السم من عاقل
واسكب على الأرض دواء الجهول
***
يا تارك الخمر لماذا تلوم
دعني الى ربي الغفور الرحيم
ولا تفاخرني بهجر الطلى
فأنت جان في سواها أثيم
***
أطفيء لظى القلب ببرد الشراب
فإنما الأيام مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال فنل
حظك منه قبل فوت الشباب
***

بستان أيامك نامي الشجر
فكيف لا تقطف غض الثمر
اشرب فهذا اليوم إن أدبرت
به الليالي لم يعده القدر
***
جادت بساط الروض كف السحاب
فنزه الطرف وهات الشراب
فهذه الخضرة من بعدنا
تنمو على أجسادنا في التراب
***
و إن توافـ العشب عند الغدير
وقد كسا الأرض بساط نضير
فامش الهوينا فوقه إنه
غذته أوصال حبيب طرير
***
يا نفس قد آدك حمل الحزن
يا روح مقدور فراق البدن
اقطف أزاهير المنى قبل أن
يجف من عيشك غض الفنن
***
يحلو ارتشاف الخمر عند الربيع
ونشر أزهار الروابي يضوع
وتعذب الشكوى الى فاتن
على شفا الوادي الخصيب الينيع
***

فلا تتب عن حسو هذا الشراب
فإنما تندم بعد المتاب
وكيف تصحو وطيور الربى
صداحة و الروض غض الجناب
***
زخارف الدنيا أساس الألم
وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلي البال من أمرها
فكل ما فيها شقاء وهم
***
و أسعد الخلق قليل الفضول
من يهجر الناس ويرضى القليل
كأنه عنقاء عند السهى
لا بومة تنعب بين الطلول
***
من يحسب المال أحب المنى
و يزرع الأرض يريد الغنى
يفارق الدنيا ولم يختبر
في كده أحوال هذي الدنى
***
سرى بجسمي الغض ماء الفناء
وسار في روحي لهيب الشقاء
وهمت مثل الريح حتى ذرت
تراب جسمي عاصفات القضاء
***

يا من يحار الفهم في قدرتك
وتطلب النفس حمى طاعتك
أسكرني الإثم و لكنني
صحوت بالآمال في رحمتك

***

لم أشرب الخمر ابتغاء الطرب
ولا دعتني قلة في الأدب
لكن إحساسي نزاعا إلى
إطلاق نفسي كان كل السبب

***

أفنيت عمري في اكتناه القضاء
وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى
عمري وأحسست دبيب الفناء

***

أطال أهل الأنفس الباصرة
تفكيرهم في ذاتك القادرة
ولم تزل يا رب أفهامهم
حيرى كهذي الأنجم الحائرة

***

لم يجن شيئا من حياتي الوجود
ولن يضير الكون أني أبيد
واحيرتي ما قال لي قائل
ماذا اشتعال الروح كيف الخمود

***

إذا انطوى عيشي وحان الأجل
وسد في وجهي باب الأمل
قرّ حباب العمر في كأسه
فصبها للموت ساقي الأزل

***

إن لم أكن أخلصت في طاعتك
فإنني أطمع في رحمتك
و إنما يشفع لي أنني
قد عشت لا أشرك في وحدتك

***

يا رب هيئ سبب الرزق لي
ولا تذقني منة المفضل
وأبقني نشوان كيما أرى
روحي نجت من دائها المعضل

***

أفنيت عمري في ارتقاب المنىَ
ولم أذق في العيش طعم الهنا
وإنني أشفق أن ينقضي
عمري وما فارقت هذا العنا

***

لم يبرح الداء فؤادي العليل
ولم أنل قصدي وحان الرحيل
وفات عمري وأنا جاهل
كتاب هذا الدهر جم الفصول

عمر الخيام: رباعيات شعرية و معادلات رياضية

قـام كاتب إنكليزي من بريدفيلد، سوفرلك عام ١٨٥٩ بتعريف الغرب على مآثر رجل مسلم مميز من القرن الثاني عشر. اسم الكاتب هو إدوارد فيتزجيرالد، الذي نجحت ترجمته لرباعيات عمر الخيام في أن تتغلغل في الثقافة الأنجليزية بفعل جاذبيتها لدرجة أن عناصر منها أصبحت تعتبر اليوم من قبل البعض وكأنها إنجليزية أصيلة. كما أصبحت أبيات الرباعيات الفارسية هذه والتي كتبت في القرن الثاني عشر من أكثر القصائد الغنائية انتشاراً بترجمتها الإنجليزية بين الناطقين بالإنجليزية .وتحول الكثير من أبياتها إلى تعابير شائعة في اللغة الإنجليزية من مثل "ما تفتحت وردة إلا ذبلت" و"من يبع نقداً نجحت تجارته" و"يكفيني رغيف وماء وأنت". ومن بين كل أبيات الرباعيات أشهرها هو:

أفق خفيف الظل هذا السحر .... نادى دع النوم وناغ الوتر
فما أطال النوم عمراً ولا............ قصر في الأعمار طول السهر

حين نشر فيتزجيرالد ترجمته للرباعيات أول مرة عام ١٨٥٩، لم يحقق الكتيب المتواضع المظهر والمجهول عموماً رواجاً كبيراً بين العامة. وربما كان هذا مصدر خيبة أمل كبيرة لفيتز جيرالد لأن نيته كانت نقل الروح الأصيلة للرباعيات، رغم استخدامه لاستعاراته التي ابتدعها هو حيثما رأى ذلك مناسباً. لكن ربما كانت التعابير الشعرية لرباعيات الخيام غريبة على قراءها الجدد. وبعد ذلك بعام، في ١٨٦٠، وقعت هذه الأشعار بيد أناس لهم وزنهم في الأوساط الأدبية مثل دانتي غابرييل روزيتي، ثم بعد ذلك بقليل ألجيرنون سوينبيرن. وهذا ما أطلق موجة من الاهتمام المتزايد بالشاعر والرياضي والفلكي عمر الخيام.

حياة الخيام

ولــد غــياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري في ١٨ مايو ١٠٤٨ في نيــسابور بإيران ويعرف عموماً باسم عمر الخيام. ويوحي اسمه الذي يعني صانع الخيام، بأن صنعة أبيه كانت بيع الخيم. في نيسابور تلقى عمر الخيام تعليماً لابأس بــه في العلوم والفلسفة خصوصاً. ثم انتقل لاحقاً إلى بلخ وبعدها إلى سمرقند ليتابع فيها تعلمه الجبر. وفيها أنتج أيضاً عملاً مميزاً في هذا العلم.

وحظــي عمر الخيام وهو يتقدم في حياته الأكاديمية باهتمام الحاكم السلجوقي ســلطان مالــك شاه الذي دعى هذا العالم الناشئ ليرأس مشروعه الفلكي الذي كان الهــدف منه إعادة تنظيم التقويم. ولإنجاز هذه المهمة أشرف الخيام ومجموعة أخرى من الفلكيين على بناء مرصد فلكي في مدينة أصفهان.

غــير أن ســلطان مالــك شاه توفي عام ١٠٩٢ ليجد الخيام نفسه بدون دعم مباشــر. وكان الوضع في ذلك الزمان يجعل من الصعب على أهل العلم، حتى لو كانوا بــارعين مثل عمر الخيام، أن يتابعوا حياتهم العلمية إن لم يحظوا بمساعدة حاكم من حكــام ذلــك الزمان الكثر. وعن ذلك يقول عمر الخيام في أحد كتبه لم أستطيع أن أكــرس نفــسي لتعلم الجبر ومواصلة التركيز عليه بسبب العقبات التي ترميها أمامي تقلبات الزمان والتي أعاقتني عن ذلك؛ لقد حرمتنا من كل أهل العلم إلا مجموعة قليلة العــدد تعاني الكثير من المشكلات وكل همها في الحياة هو أن تقتنص الفرصة في غفلة من الزمان لتكرس نفسها للبحث وإكمال علم من العلوم؛ ذلك أن غالبية من يقلدون الفلاسفة يخلطون الحقيقة بالزيف؛ وهم لايفعلون شيئاً سوى الغش وادعاء العلم، كما أنهــم لا يستخدمون مايعرفونه من علوم إلا لأغراض دنيئة ومادية؛ وإذا ما رأى هؤلاء إنــساناً ما يسعى وراء الصحيح ويتحرى الحقيقة: ويفعل ما بوسعه لدحض كل ما هو

زائف وغير صحيح تاركاً النفاق والغش جانباً، فإنهم يسخرون منه.

بالنظر إلى هذه الظروف التي يتحدث عنها رأى أن ذلك هو الوقت المناسب للذهاب في الحج. وبعد عودته من الديار المقدسة أصبح عمر الخيام أستاذاً في نيسابور وعمل للبلاط من وقت لآخر حين يطلب منه الإشراف على بعض الأمور. كان عمر يتعلم ويعلم في الوقت نفسه علوماً من مثل الفلسفة والرياضيات والفلك والقانون والتاريخ والطب. ونال إعجاب زملائه وطلابه لخبراته الواسعة.

وعنه كتب أحد طلاب الفلسفة قائلاً إن عمر الخيام "...قد وهبه الله حدة الذهن وأعلى قدرات الطبيعة." كما كان عمر مولعاً جداً بالشعر وكرس بعضاً من وقته لكتابة القصائد. وبعض أعماله النثرية الباقية تتضمن أيضاً عدة مقتطفات عن علم ماوراء الطبيعة ومقالة عن إقليدس.

الخيام في أوروبا

بعد حوالي ٧٠٠ عام من إنتاج الخيام لأعماله أصبح يكتسب الشهرة في أوروبا والغرب الذي دخلها من باب ترجمة فيتز جيرالد لديوان الرباعيات. والرباعيات تتكون من أربعة أبيات تكون قافية الثالث منها مختلفة عن الأبيات الأول والثاني والرابع التي تشترك بالقافية. فيما يلي مقطع من أشهر رباعيات الخيام التي ترجمها فيتز جيرالد:

سمعت صوتاً هاتفاً في السحر نادى من الغيب غفاة البشر
هبوا املأوا كاس المنى قبل أن يملأ كاس العمر كف القدر

لا تشغل البال بماضي الزمان ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته فليس في طبع الليالي الأمان

غدٌ بظهر الغيب واليوم لي   وكم يخيب الظن بالمقبل
ولست بالغافل حتى أرى   جمال دنياي ولا أجتلي

القلب قد أضناه عشق الجمال   والصدر قد ضاق بما لا يقال
يا رب هل يرضيك هذا الظمأ   والماء ينساب أمامي زلال

أولى بهذا القلب ان يخفقا   وفي ضرام الحب أن يحرقا
ما أضيع اليوم الذي مر بي   من غير أن أهوى وأن اعشقا

كانت الرباعيات شائعة في ذلك الوقت في الأدب الفارسي. كما انتشر هذا النوع الأدبي الشعري إلى البلدان الأخرى الخاضعة للنفوذ الفارسي.

بعد ترجمة فيتز جيرالد، ترجمت رباعيات الخيام إلى معظم اللغات الأوروبية وكان لها أثرها في تشكيل النظرة الأوروبية للآداب والثقافة الفارسية والشرقية، رغم أنه تأثير غير واضح أحياناً. ومن الجدير بالذكر أن كل رباعية من رباعيات الخيام كانت قد كتبت منفردة وفي مناسبتها الخاصة لتكون قطعة بحد ذاتها. لكن فيتز جيرالد في ترجمته لها رأى أن يدمج رباعيات الخيام في قطعة واحدة وذلك بإيجاد علاقة بين كل رباعية وأخرى لإعطاء عمل متكامل مترابط مع بعضه.

بقراءة دقيقة لكل رباعية من رباعيات الخيام، يمكن للدارس أن يستخلص صورة عن عقلية هذا الشاعر. فعمر الخيام، كما يبدو من شعره، لابد وأنه كان إنساناً شغل تفكيره بالطبيعة الفانية للحياة وغياب الشعور بالأمان فيها وتعمق جداً في محاولة فهمها مثلما يتبين في الأبيات التالية.

لا توحش النفس بخوف الظنون   واغنم من الحاضر أمن اليقين
فقد تساوى في الثرى راحل   غداً، وماض منذ ألوف السنين

ويبدو أنه لم يتوصل إلى حلول مرضية تخفف حيرته. وهذا ما دفعه إلى محاولته النأي بنفسه عن هذه الجوانب من الحياة والتركيز على الجوانب المادية الإيجابية والمبهجة فيها. غير أن الأشياء المتواضعة التي وجد امتعة فيها تشي بعدم عمق وحدة هاجسه بالمسائل الفلسفية الجوهرية: الحياة والموت والسعادة والإيمان وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى قدر من التساؤل ثار حول أصالة نسب الرباعيات إلى عمر الخيام. ويعود هذا في الوجه الأكبر منه إلى عدم وجود مصادر تاريخية معاصرة لعمر الخيام أشارت بأي شيء لبراعته الشعرية. ولم تظهر بعض الرباعيات المنسوبة إليه إلا بعد حوالي ٢٠٠ عام على حياته. وما يزيد من التساؤل هو أن الرباعيات كأسلوب شعري كانت سهلة حينها على النظم والكثير منها ظهر في الشعر الفارسي في القرن الثالث عشر للميلاد وفي عدة حالات تجد الأبيات نفسها منسوبة لأكثر من شاعر. غير أن هذه الإفتراضات لا يمكن إثباتها لوجود نصوص تعود إلى القرن الثالث عشر، ٢٥٠ منها على الأقل تم إثبات أنها رباعيات أصيلة نظمها عمر الخيام.

فن الاستعارة والخيام

الاستعارة هي تقنية لغوية تعني المقابلة بين شيئين مختلفين بالمقارنة بينهما. وبالتالي فإن الاستعارة شيء يختلف عن تقنية التشبيه، والبعض يخلط بينها أحياناً، لأن التشبيه يستخدم أدوات التشبيه من قبيل كلمة "مثل" أو حرف التشبيه "ك" لبناء هذه المقارنة. أما في الاستعارة فإن المقارنة لا تأتي بهذا الشكل المباشر.

ويمكن اعتبار الاستعارة الركيزة التي يبنى عليها الشعر. والخيام في شعره ينتج استعارات أصلية ببراعة باستخدام استعارات موجودة شائعة الاستخدام. وقوله: "أطفئ لظى القلب بشهد الرضاب – فإنما الأيام مثل السحاب" يشرح بجلاء هذه التقنية.

الرياضيات والخيام

استطاع عمر الخيام بأعماله أن يعزز ويطور الأعمال التي قدمها علماء مسلمون بـــارزون وخــصوصاً البيروني وابن سينا في الرياضيات. إذ رغم كل الصعوبات التي واجهــت عملــه هــذا، ألف الخيام عدداً من الكتب في الرياضيات، ومنها كتاب" مــشكلات الحساب" الذي يجمع بين موضوعي الجبر والموسيقى إلى جانب أشهر كتبه في الرياضيات وهو "رسالة في شرح مشكلات الجبر". ومن بين اكتشافاته الأخرى التي قدمها في كتبه هذه، اكتشف الخيام طريقة عامة لتحديد جذر أي عدد مهما كبر. غير أن هــذه الأعمال قد ضاعت وعرفنا طريقة تحديد الجذور وغيرها من الاكتشافات عبر مــصادر غــير مباشرة. وتضمن كتاب "الجبر" لعمر الخيام أول حل شامل للمعادلات الرياضية التكعيبية عبر استخدام طريقة القطع المخروطي. لكن هذه الاكتشافات المهمة جــداً في عصره لم تجعل عمر الخيام يهجر التواضع والنظرة العميقة للأشياء حيث كان يقول دوماً إنه يأمل أن ينجح من يأتي بعده حيث فشل هو.

ورغــم أن عمــر الخيام في حياته وعالمه كان قد احتفي به باعتباره عالماً وباحثاً موهــوباً وبارعــاً، إلا أنــه في العصور اللاحقة وفي الغرب كان يعرف أكثر باعتباره الشاعر الذي ترجم فيتزجيرالد رباعياته. غير أن عمر الخيام في كل العصور وحتى الآن يستحق منا أن نحتفظ له بمكانت ه كشاعر فلسفي عظيم وعالم رياضيات بارع س

من رباعيات الخيام

صفا لك اليوم ورقَ النسيم
وجال في الأزهار دمع الغيوم
ورجّع البلبل ألحانه
يقول هيا اطرب وخل الهموم

***

الدرع لا تمنع سهم الأجل
والمال لا يدفعه إن نزل
وكل ما في عيشنا زائل
لا شيء يبقى غير طيب العمل

***

الله يدري كل ما تضمر
يعلم ما تخفي وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع
خداع من يطوي ومن ينشر

***

وإنما بالموت كل رهين
فاطرب فما أنت من الخالدين
واشرب ولا تحمل أسى فادحا
وخلّ حمل الهم للاحقين

***

رأيت خزافا رحاه تدور
يجدّ في صوغ دنان الخمور
كأنه يخلط في طينها
جمجمة الشاه بساق الفقير

***

تمتلك الناس الهوى والغرور
وفتنة الغيد وسكنى القصور
ولو تزال الحجب بانت لهم
زخارف الدنيا وعقبى الأمور

***

إن الذي تأنس فيه الوفاء
لا يحفظ الود وعهد الإخاء
فعاشر الناس على ريبة
منهم ولا تكثر من الأصدقاء

***

زاد الندى في الزهر حتى غدا
منحنيا من حمل قطر الندى
والكُم قد جمع أوراقه
فظلّ في زهر الرّبى سيدا

***

وأسعد الخلق الذي يرزق
وبابه دون الورى مغلق
لا سيدٌ فيهم ولا خادم
لهم ولكن وادع مطلق

***

قلبي في صدري أسير سجين
تخجله عشرة ماء وطين
وكم جرى عزمي بتحطيمه
فكان ينهاني نداء اليقين

***

مصباح قلبي يستمدّ الضياء
من طلعة الغيد ذوات البهاء
لكنني مثل الفراش الذي
يسعى الى النور وفيه الفناء

***

طبعي ائتناسي بالوجوه الحسان
وديدني شرب عتاق الدنان
فاجمع شتات الحظ وانعم بها
من قبل أن تطويك كف الزمان

***

عاقب الأيام يدني الأجل
ومرها يطويك طيِّ السجل
وسوف تفنى وهي في كرِّها
فقضِّ ما تغنمه في جذل

***

لا تشغل البال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته
فليس في طبع الليالي الأمان

***

قيل لدى الحشر يكون الحساب
فيغضب الله الشديد العقاب
وما انطوى الرحمن إلا على
إنالة الخير ومنح الثواب

***

كان الذي صورني يعلم
في الغيب ما أجني وما آثم
فكيف يجزيني على أننيْ
أجرمت والجرم قضا مبرم

***

هات اسقني كأس الطلى السلسل
وغنني لحنا مع البلبل
فإنما الإبريق في صبه
يحكي خرير الماء في الجدول

***

الخمر في الكأس خيال ظريف
وهي بجوف الدنّ روح لطيف
أبعد ثقيل الظل عن مجلسي
فإنما للخمر ظل خفيف

***

باب نديمي ذو الثنايا الوضاح
وبيننا زهر أنيق وراح
وافتض من لؤلؤ أصدافها
فافترّ في الآفاق ثغر الصباح
***

نار الهوى تمنع طيب المنام
وراحة النفس ولذّ الطعام
وفاتر الحب ضعيف اللظى
منطفئ الشعلة خابي الضرام

***

القلب قد أضناه عشق الجمال
والصدر قد ضاق بما لا يقال
يا ربّ هل يرضيك هذا الضما
والماء ينساب أمامي زلال

***

خلقتني يا ربّ ماء وطين
وصغتني ما شئت عزّا وهون
فما احتيالي والذي قد جرى
كتبته يا ربّ فوق الجبين

***

ويا فؤادي تلك دنيا الخيال
فلا تنؤ تحت الهموم الثقال
وسلم الأمر فمحو الذي
خطت يد المقدار أمر محال

***

محاضرة نقابة المهندسين بحلب ٦/٨/٢٠٠٦

عمر الخيام المفترى عليه

بقلم : أ.د. بكري شيخ أمين
عضو اتحاد الكتاب العرب
عضو اللجنة العالمية للغة العربية

في كثير من بلاد العالم فنادق ومطاعم وملاه ومراقص تحمل اسم (عمر الخيام)، وغالباً ما تكون هذه المواطن أمكنة للعبث، والانحراف، والإثم، والمحرمات .. كأن صاحبها يشير بشكل خفي إلى العلاقة الوطيدة بين هذه التسمية وسلوك الخيام وآرائه .. أو كأن صاحب هذا الملهى لم ير تسمية موحية بالانفلات والانحراف أفضل مما يوحيه اسم (عمر الخيام (في الشرق أو في الغرب.

ويقف الباحث أمام هذه الظاهرة مستغرباً، متعجباً، مندهشاً، ويتبادر إلى ذهنه أن عمر الخيام يُضرَب به المَثَل في تعاطي السرور والخمور والفجور، وأنه طوال حياته ما كان يبالي بجنة أو نار، أو حساب أو عقاب، وإنما كان أبيقورياً يغتنم الساعة التي هو فيها .. وبعدها فليكن الطوفان .. ولولا ذلك ما اختاره صاحب الملهى الليلي، أو المقهى، أو الحانة عنواناً.

اعتقد بعض المسلمين أنه إباحي، وأنه مستهتر بأحكام الإسلام وتعاليمه، كما اتهمه بعض آخر بأنه دُهري، وزعم بعضهم أنه تناسخي، وقال آخرون فيه أقوالاً ما أنزل الله بها من سلطان . منها : أنه باطني، أو لا أدري، أو تشاؤمي، أو جبري، أو

معـــري .. وادعى باحث أخيراً بأنه ثائر على كل شيء، على الدين، وعلى الأخلاق، وعلى العقل أيضاً.

ويزيد هذه الظنون والافتراءات تأكيداً وتثبيتاً انتشار آلاف الكتب في شتى لغات العالم، فيها أشعار منسوبة إلى عمر الخيام، تدعى ب (الرباعيات (كثيراً ما تكون هذه الرباعيات مطبوعة على ورق صقيل فخم، في كل صفحة رباعية واحدة في عدة لغات مـــنها : الفارسية والعربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والأوردية والإسبانية ومعظم لغـــات العـــالم، وفي الصفحة المقابلة صورة رمزية لرجل عجوز، طاعن بالسن، أشيب الـــشعر، لحيـــته تغطـــي نـــصف صدره، وأمامه غادة حسناء، غراء، فرعاء، مصقول عوارضـــها، تـــسكب مـــن كوز بيدها خمراً في كأس، وتقدمه إلى العجوز .. وبيدها الأخرى آلة طرب .. وفي إطار الصورة طيور وبلابل، وزهر وعنادل، وأشجار وأثمار ..

ويظن القارئ أن هذا العجوز نفسه هو عمر الخيام، وأن حياته محصورة بكأس، ودن، وحـــسناء، وغناء . وليس لهم في ذلك دليل إلا تلك الرباعيات التي نسبوها إلى شخـــصيته، وظنوا أنها من الحكيم عمر الخيام ومقولاته وآثاره، وفلسفته وحكمته التي نسجها بقريحته، فكانوا يحكمون عليه ما يحكمون مستندين إليها ومعتمدين عليها، كأن تلـــك الرباعيات وصلت إليهم منه بسند صحيح، متصل، لا يبقي وراءه أي شك، ولا يذر دونه أي تردد .

والغـــريب في الأمر أن كتب الرباعيات منتشرة في كل مكتبات العالم، وهي في طبعات لا تكاد تحصى، وفي لغات الدنيا قاطبة .. وكثيراً ما تختلف رباعيات طبعة عن أخرى في اللغة ذاتها، أو في اللغات المختلفة . وليس من المستغرب أن يتجاوز عددها في شتى الطبعات ألفي رباعية، أو يزيد.

ويقف الباحث المدقق متسائلاً : أصحيح أن عمر الخيام، الفارسي، المسلم، كان رجلاً متهتكاً، سكيراً، وعربيداً .. أمضى حياته كما يصورون ويزعمون ؟

أصحيح أنه نظم هذه الآلاف المؤلفة من الرباعيات الصارخة بالمجون والمعصية والفجور ؟ بل كيف انتقلت هذه الأشعار الفارسية المحلية إلى معظم لغات العالم، ومن الذي نقلها، ونشرها، ورسمها، وزينها، وأرخص ثمنها ؟

ويعود الباحث إلى مراجعه، وكتب التراجم، يستقصي سيرة عمر الخيام ويستوضح شخصيته، ليعرفه على حقيقته، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه .

يبدأ بقراءة سيرة هذا الرجل، فيرى أن اسمه : عمر، وكنيته أبو الفتح، ولقبه غياث الدين، ووالده إبراهيم النيسابوري، وشهرته : الخيام، أو الخيامي، لاشتغاله بصنع الخيام.

اتفق أكثر المؤرخين على أن عمر ولد في نيسابور من أعمال خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري العاشر الميلادي، وتوفي قبيل انتهاء الربع أول من القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي . ويحدد خير الدين الزركلي في كتابه " الأعلام " وفاته بسنة ٥١٥هجرية، الموافقة لسنة ١١٢١للميلاد .

ونيسابور مدينة من أجمل المدن الفارسية، فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب ﷺ على يد الأحنف بن قيس، وبنى فيها أول جامع . وزارها ياقوت الحموي، ووصفها في معجم البلدان بأنها مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، وهي معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، ولم أر فيما طوفت مدينة كانت مثلها، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات . وعدد ياقوت أسماء عشرات العلماء فيها.

عمر ونظام الملك والحسن الصباح :

قُـــرنت حياة عمر الخيام برجلين من مشهوري ذلك العصر، أولهما هو الحسن الصباح، وثانيهما هو نظام الملك وزير السلطان ألْبْ أرسَلان نجلُ السلطان طُغْرُلْ بك التتري، ثم وزيرُ حفيده ملكشاه بعد ذلك . وطُغرل بك هو مؤسس الدولة السلجوقية التي ما لبثت أن واجهت أوربا وقد شنّت عليها الحروب الصليبية .

وقـــد حكـــى لـــنا الوزير نظام الملك كيف تعرف عمرَ الخيام والحسنَ الصباح فقـــال : " كـــان شيخي الإمامُ الموفق النيسابوري من جلة علماء خراسان مبجلاً مهيباً، وقد نيَّف على الخمس والثمانين، وكان السائدُ في عقيدة أهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلـــوم العـــربية نـــبغ فيها وبلغ الغاية، وانسدق إليه العز والجاه والنعمة والثراء، ولذلك وجهـــني أبي من بلدة طوس إلى نيسابور لأقرأ على ذلك الأستاذ الجليل، وهناك حظيت بـــه، وحضرت عليه، فتوشَّجت بيننا أواصر المودة، تأكدت عرى الصداقة، لحظني بعين رعايته، وأنزلته من نفسي أخص مترلة وألطفها، ولبثنا على ذلك سنين عدة، وكنت أول مـــا نزلت به، وجلست في حلقته لقيت تلميذين في مثل سني، حديثَيْ عهد مثلي بالقراءة علـــى الإمـــام الموفق، وهما عمر الخيام والحسن الصباح، وكانا آيتين في الفطنة والذكاء، فـــآنس كـــلٌّ منّا بصاحبيه، ونَمَت بيننا نحن الثلاثة أحسنُ صحبة وأمتُنها . فكان إذا قام الإمام عن الدرس، وانفضت الحلقة اجتمعنا فتذاكرنا ما تلقيناه من المعارف.

وكـــان الخـــيام من أهالي نيسابور، أما الحسن الصباح فكان أبوه ناسكاً ورعاً متقـــشفاً، ولكنه كان زنديقاً . فأقبل الحسن يوماً على عمر الخيام فقال له : لقد صح في أذهان الناس قاطبة أنه ليس من تلميذ يتخرج على الإمام الموفق إلا مصيباً عزاً وإقبالاً وثـــروة وجاهاً . فَهَبْ أن ذلك لم يتفق لنا نحن الثلاثة جميعاً فإنه لا بد أن يقع لواحد منا، فماذا يكون حقُّ الاثنين الخائبين على ذلك الفائز الظافر؟ قلنا له : اقترح ما تشاء .

فقـــال : فلْنتعاهد الآن على أنه من أصاب الثراء فعليه أن يقسمه بيننا نحن الثلاثة على الـــسواء، لا يؤثر نفسه بشيء دون أخويه . فأجبناه : لِيَكُنْ ذلك كما قلت . ثم تحالفنا على ذلك وتعاهدنا.

ويـــتابع نظـــام الملك حديثه فيقول : مرت أعوام على ذلك، وغادرت خراسان مـــتجولاً في فـــضاء الله إلى غزنة ثم إلى كابل . ولما عدت تقلدت منصب الوزارة في ســـلطنة الـــسلطان أَلْبْ أرْسَلان، وبعد مدة من الزمن عِرف ذلك صاحباي، فأتياني يطلبان إنْجاز وعدي القديم، وإشراكَهما فيما انحاز لي من النعمة والثراء .

وبـــر الوزيـــر بقسَمه، وأنجز وعدَه، والتمس الحسنُ الصباح منصباً في السلطنة، فمنحه السلطان إياه بوساطة الوزير نظام الملك، وعينه والياً على هَمدان، ولكن الحسن كره ذلك المنصب لانحطاط رتبته عما كان يطمح إليه من شرف المنزلة، فترك المنصب، ودس نفـــسه في بلاط احد أمراء المشرق منغمساً في غمار الدسائس والمكايد، محاولاً إسقاط أميره واغتصاب الإمارة منه . وبعد كثير من التحولات والتقلبات صار الحسن زعيم الطائفة المسماة بالإسماعيلية .

ففـــي ســـنة ٥٤٨٩ / ١٠٩٠ م استولى على قلعة (أَلَمُوتْ) الواقعة جنوبي بحر قـــزوين . ومـــن ثَـــمَّ فصاعداً ذاع صيت الحسن الصباح، وأصبح اسمه مبعثَ الرعب والذعـــر في جيوش الصليبيين حتى سموه (شيخ الجبل) ومبعث الرعب أيضاً فِي جَميع أنحـــاء العـــالم الإسلامي، وسميت فرقته (فرقة الحشاشين) نسبة إلى المخدر (الحشيش) الـــذي كـــان الحسن ينشره بينهم تخديراً لأعصابهم قِصد الاستيلاء على عقولهم حتى يـــسيرهم فيما يشاء من أغراضه المخوفة ومقاصده الخطرة المرهوبة . وكان من ضحايا الحـــشاشين العديـــدة نظـــام الملك نفسه صديق نظام الملك ذاته وقرين حداثته وزميل تلمذته، وهدد ملكشاه نفسه بالقتل .

أمـا عمر فقد قصد الوزير أيضاً غير طامع في رتبة أو طامح إلى منصب، وقال للوزيـر : لست أبغي لديك أكثر من أن أتفيأ طرفاً من ظلال نعمتك الفيحاء، لأنشر ضياء العلم ونور المعرفة، وأدعو لك بدوام العز وطول البقاء . فأجابه الوزير نظام الملك إلى ذلـك، وأجرى عليه رزقاً قدره ١٢٠٠ مثقال ذهب في العام تصرف له من خزينة نيسابور .

دراسات الخيام وعلومه :

أمـا عـن دراساته فيذكر المؤرخون أن عمر بن إبراهيم الخيامي عاش في القرن الخـامس الهجـري، وكانت كتب الفلسفة اليونانية المترجمة شائعة، ومؤلفات أرسطو طاليس وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزنون وأبيقور في الفلسفة الطبيعية والإلهية والرياضية، وما يتفرع عنها من منطق وطب وهندسة وأخلاق وسياسة وهيـئة ميـسرة بين الناس، والجدل محتدم حول آراء السفسطائيين والمشائين الرواقيين وغيرهم من أهل المذاهب الفلسفية .

وفي عـصره نـضج علـم الكلام، واشتد النزاع العلمي بين الأشاعرة والمعتزلة والحـنابلة والجبرية، وشاعت آراء الباطنية، وكثر الإقبال على التأليف في مختلف العلوم والفـنون، وذاعـت رسائل إخوان الصفا، وتعددت الفرق والطوائف، وكثر الأطباء والفلاسـفة، وظهر أبو علي ابن سينا، واشتد النزاع بين الدين والفسفة، وألف حجة الإسلام الغزالي كتباً في الرد على الفلسفة، وعظم أمر التصوف، وكثر القائلون بالجدل ووحدة الوجود، وتفرد نفر بآرائهم الحرة فاتهموا بالزندقة والإلحاد .

وصفوة القول : عاش الخيام في وسط علمي، وفي بيئة علمية فنية، فعاصر زمرة من الفلاسفة والأطباء والمهندسين والرياضيين والفلكيين من بناة الأرصاد، وتتلمذ على

نوابغ عصره وألمعهم من العلماء، وتردد إلى بعضهم، وتردد بعضهم إليه، وكثرت بينه وبينهم المجادلات والمحاورات والمراسلات في علوم شتى، وكان لأولئك الذين تتلمذ لهم وتتلمذوا عليه مكانة علمية عظيمة في عصره . وحسبنا أن تعلم أن من زملائه في الدراسة الحسن بن الصباح أمير الفرقة الإسماعيلية والفرقة التي دعيت فيما بعد بالحشاشين، ونظام الملك الوزير مؤسس المدارس النظامية في معظم الأقطار الإسلامية في عهده .

أصحاب الخيام ومعاصروه:

معاصروه جميعاً وصفوه بأحلى وأجمل وأرفع ما وصف به الرجال والعلماء . رفاق دربه وأصحابه وأترابه كانوا من خيرة الناس وأفضلهم . منهم الإمام أبو حامد الغزالي، مجدد المائة الخامسة للإسلام، وصاحب (إحياء علوم الدين) . ومنهم الوزير نظام الملك، وزير ملوك السلاجقة، وباني المدارس النظامية في شتى أرجاء العالم الإسلامي . وجار الله محمود الزمخشري، صاحب التفسير المعروف باسم (الكشاف) وصاحب الكتب اللغوية، والإمام ظهير الدين البيهقي، صاحب كتاب (حكماء الإسلام) . وكثيرون آخرون على هذا المستوى .. ناهيك عن صحبته لملوك عصره، أمثال جلال الدين ملكشاه، وألب أرسلان، وخاقان بخارى، وسواهم من أبناء مطلع القرن السادس الهجري.

ألقاب الخيام عند معاصريه ورفاقه

مؤرخو عصره وصفوه ب (الإمام) و (حجة الحق) و(حكيم الدنيا وفيلسوفها) و (الدستور) و (ابن سينا الثاني) و (العالم الفلكي) و (الفقيه)

و (العالم بالقراءات القرآنية) و(الزاهد) و (المتصوف) .

ونتساءل عن معاني هذه الألقاب الفخمة التي وصف بها عمر، ومتى يطلق على العالم لقب : إمام، أليس لبلوغه من العلم درجة يفوق بها الناس، فيأتمون به، ويقتدون، وحينئذ يطلق عليه كلمة : إمام ؟

كذلك لقب " حجة الحق " وهي تعني أنه وصل إلى درجة ما عاد أحد على بلوغها، وقد أصبح حجة، وكل ما يلفظ به موطن احترام ورضى وقبول . و" حكيم الدنيا " لم يوصف بها من السابقين إلا النوادر من العلماء، وعمر واحد منهم .ومثلها " الدستور " و" الفقيه . "

وقصته مع شهاب الإسلام الوزير الفقيه عبد الرزاق بن عبد الله بن علي ابن أخ نظام الملك وشيخ القراء أبو الحسن الغزال وتحكيمة في صحة قراءة آية، وشهادة الغزال فيه بقوله : كثر الله العلماء مثلك، اجعلني من أدمة أهلك، وارض عني، فإني ما ظننت أن أحداً في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء . ووصفه بالعالم الفلكي، وابتداعه تقويماً أضبط من التقويم الغربي المعروف بالغريغوري مشهور، وكذلك معرفته بالطب، وقصة مداواته لابن ملكشاه من داء الجرب مشهورة

ترى : هل يمكن أن يوصف إنسان بالعلم، والخلق، والزهد، والتقوى، والحكمة، والفلكي، والمقرئ، ومجالس الملوك، والعلماء، وأفاضل الناس بغير ما وصفه أبناء عصره، وما سطره معاصروه بتلك الأوصاف الرائعة ؟

لم يقل أحد من تلامذته، وشيوخه، وأصحابه، ورفاق دربه أنه كان زنديقاً، أو سكيراً، أو منحرفاً .. حتى بالنسبة للشعر ذكروا أن له عدداً من الرباعيات في الزهد لا تزيد على بضع عشرة رباعية .

نبذة من أشعار الخيام:

جميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية وهي قليلة ومحدودة لا تـتجاوز معـــاني الزهد، والشكوى من الأصحاب غير الأوفياء، والفقر، وهموم الحياة، والإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد . ومنها:

تَدِينُ لِيَ الدنيا بل السبعةُ العُلى ... بل الأفقُ الأعلى إذا جاش ناظري
أصومُ عن الفحشاء جهراً وخِفية ... عفافاً ..وإفطاريَ تقديسُ فاطري
وكم عصبةٍ زلّتْ عن الحق فاهتدت ... بطُرْق الهدى من فيضيَ المتقاطر
فـإن صـراطي المستقيمَ بَـصَائرٌ ... لعينٍ علـى وادي العمى كالقناطر

ومنها قوله :

إذا قـنِعتْ نفـسي بميـسور بُلْغـةٍ ... يحـصِّلها بالكـدِّ كفـي وسـاعدِي
أمِـنتُ تـصاريفَ الحـوادث كلّهـا ... فكنْ يا زمانـي مُوعدي أو مُواعدي
ولـي فـوق هـامِ النيِّـرَيْن مَـنازلٌ ... وفـوق مَناطِ الفرقدين مَصاعدي
أليس قضى الأفلاك من دَوْرها بأن ... يُعيدَ إلـى نحسٍ جميعَ المَساعد
فيا نفسُ صبراً عن مقيلِكِ إنما ... يَخِرُّ ذراها بانقضاض المَواعد
متى مـا دنت دنـياكَ كانت بعيدةً ... فواعجباً من ذا القريب المُباعد
إذا كـان محـصولُ الحـياة منـية ... فـسيَّانِ حـالا كـلِّ سـاعٍ وقاعد

الكتب المعاصرة التي تحدثت عن الخيام:

يشهد على ذلك ما جاء في ترجمة حياته بتلك الكتب التي كتبت في حياته، والكتب التي كتبت بعد وفاته بقليل، منها: كتاب (جهار مقاله) لتلميذه أحمد بن عمر النظامي السمرقندي وكتاب (حواشي جهار مقاله)، وكتاب (الزاجر للصغار عن معارضة الكبار) للزمخشري، وكتاب (حكماء الإسلام) للإمام أبي القاسم البيهقي، وكتاب (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، وكتاب (فردوس التواريخ) لخسرو الأبرقوهي، وكتاب (عجائب المخلوقات) لعماد الدين زكريا القزويني، وكتاب (جامع التواريخ) لرشيد الدين، وكتاب (أخبار الحكماء) لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، وكتاب (كامل التواريخ)لابن الأثير، وسواها.

جميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية وهي قليلة ومحدودة لا تتجاوز معاني الزهد، والشكوى من الأصحاب غير الأوفياء، والفقر، وهموم الحياة، والإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد.

السؤال الكبير :

ويثور في الذهن سؤال ضخم كبير : كيف نُسب إلى هذا الرجل هذا الكم الهائل من الرباعيات، وهو لم يقل إلا بضع عشرة رباعية ؟ وكيف جعلت الأشعار عمر الخيام زنديقاً أو كالزنديق، وهو رفيق أكابر العلماء ونظيرهم ؟ وكيف انتقلت هذه الأشعار إلى لغات العالم ؟ ولماذا صورته بهذه التصاوير ؟ ولماذا بذلت الرباعيات هذا البذل، وغدت بمتناول كل يد ؟

ونتساءل عن هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم كله منذ ما يزيد على مئة عام، ونحاول أن نعرف العوامل التي دفعت إلى انتشار هذه الأشعار الماجن لشاعر مسلم .

بدايات كشف الخيام:

كان أول من عرف الخيام من الفرنجة توماس هايد أستاذ العربية والعبرية في جامعة أوكسفورد، وتبعه المستشرق النمساوي هامر برغستل سنة ١٨١٨ م، ثم غرسن دو تاسي . وفي القرن التاسع عشر ترجم السير كور أوسلي رباعيتين، وإدوارد هارن بعض رباعيات، والفرنسي نيقولا السفير في طهران ترجم رباعياته وقال : صوفية تتصل بالعشق الإلهي والخمرة المقدسة، وشبهه بحافظ الشيرازي، وبلغ عد المترجمين للرباعيات في القرنين الماضيين أكثر من عشرين مترجماً، ومعظمهم من اليهود، والمؤلفين في الأدب العبري .

فيتزجيرالد ابتدع الأكذوبة الكبرى:

وفي سنة ١٨٥٩ م نشر الشاعر الإنكليزي فيتز جيرالد الرباعيات شعراً، وبهذا الشعر انتشرت الرباعيات في جميع أصقاع العالم، وبدأ الناس يعرفون عمر الخيام، ويرددون شعره .

وفي سنة ١٨٩٣ م اجتمع عدد من الأدباء والصحفيين الإنكليز: وأسسوا في مدينة لندن نادياً سموه:"نادي عمر الخيامomar khayam club ، وزرعوا بعد سنتين شجرتي ورد على قبر الشاعر فيتز جيرالد أتوا بهما من إيران .

مهمة هذا النادي أن يذيع على الدوام ليل نهار أشعار الخيام التي ترجمها فيتز جيرالد، وعلى أنغام الموسيقى يشرب الرواد الخمر، ويظلون يسكرون، ويغنون، ويشتمون، ويلعنون السماء إلى أن يتعتعهم السكر، ويرميهم أرضاً .

انتشرت فكرة النادي الحانة في إنكلترا أول الأمر، وشاع صيته وانتشر، فقلده عديد من بلاد العالم، منن لاهور شرقاً إلى غربي العالم الأمريكي غرباً . وفيها جميعاً

دعـــوة صـــارخة إلى احتـــساء الخمر، وتعاطي الملذات، والكفر بكل ديانات السماء، وإنكـــار الـــبعث والحـــشر والجـــنة والـــنار، وعدم الخوف من حساب أو عقاب مـــثل هذه النادي كثير من بلاد الشرق والغرب، ووصل إلى بلدنا: فلقد كان هناك في إحدى مدن أريافنا رجل كان يملأ دنانه بالخمر، ويأتي بشريط أم كلثوم الذي تغني فيه رباعيات الخيام، ويظل يشرب على سماع الشريط ولحن أم كلثوم إلى أن ينطرح أرضاً .. وهكـــذا كـــان يقـــضي العمر مستمعاً لشريط الراعيات، ومتعاطياً الخمر، ومنكراً التعالـــيم الإلهـــية كما تقول رباعيات الأغنية، إلى أن وافاه الأجل المحتوم، ولم يخرج في جنازته أحد من أهل البلدة جميعاً .

تـــرى : أي ســـحر تحمله تلك الأشعار حتى راح يتغنى بها آلاف الناس في شتى بقاع الأرض ؟؟

في الحق : إن من يقرأ أشعار الإنكليزي فيتز جيرالد الرائعة والمسبوكة لغة كأنها الـــسحر، يـــنجذب على مضمونها، ويسحر بأسلوبها وجمالها كل من يقرأها . أشعار فيترجيرالد التي أفسدت العالم وليس أشعار عمر الخيام :

وأعجـــب من هذا كله أن هذه الأشعار ترجمت من الإنكليزية إلى معظم لغات العـــالم، ومـــا رباعيات الخيام العربية المغناة بالعربية، والتركية، والأوردية، والفرنسية، والروســـية، وسائر اللغات الأخرى إلا ترجمة لرباعيات فيتز جيرالد، وليس لعمر الخيام الحقيقـــي يد فيها، ولا معرفة، ولا هو قالها، بل لم تكن تخطر له على بال، وهو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

هـــذا التـــناقض العجيب بين رباعيات قال فيتزجيرالد إنها منسوبة لعمر الخيام ودراسة موضوعية رصينة لشخصية عمر الخيام تظهر لنا أن في الأمر سراً.

ونتساءل : أصحيح أن عمر الخيام كان رجلاً متهتكاً، سكيراً، عربيداً .. أمضى

العـربي، وعلـى الشعراء، والحكام، والعلماء المسلمين من قدماء ومعاصرين، ورجال الـدين، والتاريخ العربي من أوله لآخره، ويدركون ما يحاك لهم هنا وهناك، وما يفتري المفترون، ويزعم الزاعمون، ويأفك الأفاكون ؟

حلب المحروسة

بكري شيخ أمين

١١/٧/١٤٢٧هـ

٥/٨/٢٠٠٦م

من رباعيات الخيام

وإنما نحن رخاخ القضاء
ينقلنا في اللوح أنى يشاء
وكل من يفرغ من دوره
يلقى به في مستقر الفناء
***

رأيت صفا من دنان سرى
ما بينها همس حديث جرى
كأنها تسأل : أين الذي
قد صاغنا أو باعنا أو شرى
***

سطا البلى فاغتال أهل القبور
حتى غدوا فيها رفاتا نثير
أين الطلى تتركني غائبا
أجهل أمر العيش حتى النشور
***

إذا سقاني الموت كأس الحمام
وضمكم بعدي مجال المدام
فأفردوا لي موضعي واشربوا
في ذكر من أضحى رهين الرجام
***

حـــياته كمـــا يـــصورون ويزعمون ؟ أصحيح أنه نظم كل هذا الفيض من الرباعيات الصارخة بالمجون والمعصية والفجور ؟

ويكـــشف العلماء والباحثون السر، ويربطون بين حركة الاستعمار التي قويت واشتدت في القرن الثامن عشر، وما رافقها من حملات تبشيرية، وتنصيرية .

زعم المبشرون أنهم وجدوا مخطوطة في جامعة أوكسفورد فيها رباعيات منسوبة إلى رجـــل يدعـــى ب "الخيام"، كلها زندقة، ودعوة إلى السكر والعربدة، وسرعان ما تـــرجمها إلى الإنكليـــزية اليهودي (توماس ماير)، ثم تلقفها (فون هامر النمساوي) ونقلها إلى الألمانية .. حتى إذا حلت سنة ١٨٥٩ الميلادية وجدنا (فيتزجيرالد)، وهو أديـــب إنكليزي لامع، وشاعر مبدع، فاختار من الرباعيات ما شاء له الهوى، ونقلها بالمعنى شعراً إلى الإنكليزية . وكانت كما يقولون أشعاراً رائعة، وفي غاية الجمال .. فأعجـــب بها الناس .. وانتقلت من الإنكليزية إلى معظم لغات العالم، حتى إلى الفارسية والعـــربية .. وولـــد من خلالها شاعر جديد، اسمه : عمر الخيام لا يمت بصلة إلى عمر الخيام الفارسي الأصيل المسلم بصلة إلا بصلة الاسم، لا أكثر .

وربـــح الاستعمار والمبشرون ربحاً لانظير له .. فلقد أوهموا المشارقة بخاصة أن مـــن علمائهم الكبار من ينظم مثل هذه الأشعار، ويشرب هذه الخمور، ويفعل هذه الأفاعـــيل .. إذن، فلا حرج عليهم أن يقلدوا عالمهم .. ويتبعوا فلسفته .. شبراً بشبر، وذراعاً بذراع.

وانطلت الحيلة، أو اللعبة، على كثير من الناس، فإذا جمهور غفير من المخدوعين يـــسلك سلوك (خيّام فيتزجيرالد)، ويتفلت شيئاً فشيئاً من تعاليم الدين .. ويغدو في آخر العمر مدمن شراب، مريد شيطان رجيم .

كان أول من نقلها إلى العربية وديع البستاني مترجماً لأشعار فيتز جيرالد، وأعقبه

محمد السباعي المصري، ثم العراقي محمد الهاشمي نقلها من الفارسية، ومثله أحمد الصافي النجفي، وجميل صدقي الزهاوي، وأحمد زكي أبو شادي، وتوفيق مفرج لكن الطامة الكبرى هي التي ترجمها من الإنكيزية الشاعر المصري أحمد رامي، وكانت ترجمته من الجمال الفني والعبارات المغرية أشبه بترجمة فيتز جيرالد السحرية، وزادها حلاوة أسلوب وقبول عند كثير من دعاة الإلحاد غناء أم كلثوم لها، رغم تبديلها عدداً من الكلمات الأصيلة.

وقد يقول قائل : ومن ناظم تلك الرباعيات المصورة المطبوعة، والتي وجدت في أوكسفورد، وترجمها ماير وهامر وفيتز جيرالد وسواهما ؟

والجواب سهل ويسير، فما أكثر دعاة الإلحاد في كل زمان ومكان، وما أكثر الوضاعين والمنتحلين والمختلقين، وهل من العسير أن ينحل الزنادقة والوضاعون والملحدون شعراً على لسان عمر الخيام، وغير الخيام، وهل ننسى ما نحل على لسان الجاهليين، وكم وضع على لسان السموأل شعراً هو منه براء، وكم وضع على لسان الرسول الكريم أحاديث زعموا أنها نبوية، والنبي منها براء، بل ألم يتجرأوا ويزيدوا في كتاب الله آيات هي من تأليفهم، ولم يسلم من الوضاعين والكذابين شاعر، أو حاكم، أو خليفة، أو نبي، حتى آدم عليه السلام قال شعراً وأقوالاً وأفعالاً ما أنزل الله بها من سلطان، ولا خطرت على بال، ولا مرت على شفتي إنسان .

إنها حرب صليبية كما قال الرئيس الأمريكي بوش ومعه بلير الإنكليزي ومع الصليبية دعوة يهودية صهيونية لإشاعة الباطل، والزندقة، والكفر، والفجور، ومحاربة الدين ورجاله وأهله والمتمسكين به، والتحلل من كل فضيلة، والشك في التاريخ العربي والإسلامي والعلماء العرب والمسلمين في العصور كلها. ..

فهل ينتبه العقلاء إلى هذه المخاطر، والافتراءات، والأكاذيب على لسان النبي

عن وجنة الأزهار شف النقاب
وفي فؤادي راحة للشراب
فلا تنم فالشمس لمّا يزل
ضياؤها فوق الرّبى والهضاب
***

فكم على ظهر الثرى من نيام
وكم من الثاوين تحت الرغام
وأينما أرمي بعيني أرى
مشيعا أو نهزة للحمام
***

يا ربَ في فهمك حار البشر
وقصر العاجز والمقتدر
تبعث نجواك وتبدو لهم
وهم بلا سمع يَعي أو بصر
***

بيني وبين النفس حرب سجال
وأنت يا ربّي شديد المحال
أنتظر العفو ولكنني
خجلان من علمك سوء الفعال
***

شقت يد الفجر ستار الظلام
فانهض وناولني صبوح المدام
فكم تحيينا له طلعة
ونحن لا نملك ردّ السلام

***

معاقرو الكأس وهم سادرون
وقائمو الليل وهم ساجدون
غرقى حيارى في بحار النهى
والله صاح والورى غافلون

***

كنّا فصرنا قطرة في عباب
عشنا وعدنا ذرة في التراب
جئنا إلى الأرض ورحنا كما
دب عليها النمل حينا وغاب

***

لا أفضح السر لعال ودون
ولا أطيل القول حتى يبين
حالي لا أقوى على شرحها
وفي حنايا الصدر سري دفين

***

أولى بهذي الأعين الهاجدة
أن تغتدي في أنسها ساهدة
تنفس الصبح فقم قبل أن
تحرمه أنفاسنا الهامدة

***

هل في مجال السَكون شيء بديع
أحلى من الكأس وزهر الربيع
عجبت للخمّار هل يشتريْ
بماله أحسن مما يبيع

***

هوى فؤادي في الطلى والحباب
وشجو أذني في سماع الرباب
إن يصغ الخزاف من طينتي
كوبا فأترعها ببرد الشراب

***

يا مدعي الزهد أنا أكرم
منك وعقلي ثملا أحكم
تستنزف الخلق وما أستقي
إلا دم الكرم فمن آثم؟

***

الخمر كالورد وكأس الشراب
شفت فكانت مثل ورد مذاب
كأنما البدر نثا ضوءه
فكان حول الشمس منه نقاب

***

لا تحسبوا أني أخاف الزمان
أو أرهب الموت إذا الموت حان
الموت حق لست أخشى الردى
وإنما أخشى فوات الأوان
***

لا طيب في الدنيا بغير الشراب
ولا شجى فيها بغير الرباب
فكرت في أحوالها لم أجد
أمتع فيها من لقاء الصحاب
***

عش راضيا واهجر دواعي الألم
واعدل مع الظالم مهما ظلم
نهاية الدنيا فناء فعش
فيها طليقا واعتبرها عدم
***

لا تأمل الخل المقيم الوفاء
فإنما أنت بدنيا الرياء
تحمل الداء ولا تلتمس
له دواء وانفرد بالشقاء
***

اليوم قد طاب زمان الشباب
وطابت النفس ولذ الشراب
فلا تقل كأس الطلى مرة
فإنما فيها من العيش صاب
***

وليس هذا العيش خلدا مقيم
فما اهتمامي محدث أم قديم
سنترك الدنيا فما بالنا
نضيع منها لحظات النعيم

***

حتام يغري النفس برق الرجاء
ويفزع الخاطر طيف الشقاء
هات اسقنيها لست أدري إذا
صعدت أنفاسي ردت الهواء

***

دنياك ساعات سراع الزوال
وإنما العقبى خلود المآل
فهل تبيع الخلد يا غافلا
وتشتري دنيا المنى والضلال

***

يامن نسيت النار يوم الحساب
وعفت أن تشرب ماء المتاب
أخاف إن هبت رياح الردى
عليك أن يأنف منك التراب

***

يا قلب كم تشقى بهذا الوجود
وكل يوم لك همّ جديد
وأنت يا روحي ماذا جنت
نفسي وأخراك رحيل بعيد

***

تناثرت أيام هذا العمر
تناثر الأوراق حول الشجر
فانعم من الدنيا بلذاتها
من قبل أن تسقيك كف القدر

***

لا توحش النفس بخوف الظنون
وأغنم من الحاضر أمن اليقين
فقد تساوى في الثرى راحل
غدا وماض من ألوف السنين

***

عمر الخيام...

سماه الشرقيون الحكيم والغربيون ملك الحكمة

بقلم: بندر عبدالحميد

شكلت الطبعات المتوالية لترجمة رباعيات الخيام، منذ الستينيات في القرن التاسع عشر، انقلاباً واضحاً في الثقافة الأوروبية والعالمية، وتجاوزت تأثيراتها الحياة الثقافية إلى الحـــياة الاجتماعـــية العامة، وانتقلت من اللغة الانجليزية إلى اللغات الاخرى بشكل لم يــسبق لــه مثيل، وقيل ان الاعداد الخيالية للنسخ المطبوعة تجاوزت كل نسخ الكتب الاكثر شهرة باستثناء الانجيل، وليس غريباً ان تترك تأثيراً على حركة التجديد في الشعر الاوروبي عامـــة، وفي الـــشعر الانجليـــزي المكبل بالقيود الكلاسيكية وتقاليد العصر الفيكـــتوري، وفاضت شهرة الخيام لترفع اسم مترجم الرباعيات ادوارد فيتزجيرالد إلى الصف الأول بين اعلام الادب الانجليزي.

والـــسبب الأول في هذه (المعجزة) هو ما تحمله هذه الرباعيات ولهذا اقبل على قـــراءتها حتى اولئك الذين لاتربطهم بالقراءة اية علاقة، واذا كان الخيام قد اخذ لقب الحكـــيم في الثقافـــتين الفارسية والعربية، فان الأوروبيين اعطوه لقب (ملك الحكمة)، واخـــتطف الاضـــواء مـــن شيكسبير لفترة طويلة، ولكن اعادة اكتشافه في الثقافتين الفارسية والعربية، اللتين ينتمي اليهما الخيام، تأخرت اكثر من نصف قرن عن اكتشافه في أوروبا والعالم، وعسى ان يكون نصف القرن، هذا، هو الفرق الزمني الحضاري بين الغرب والشرق، وليس أكثر.

حياة الخيام

في نيسابور عاصمة خراسان ومدينة العلم والمعرفة، وفي منتصف ربيع عام ١٠٤٨ ميلادية حسب تقديرات المؤرخين ولد غياث الدين أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام، الحكيم والشاعر والفلكي وعالم الرياضيات، الذي ظلت شهرته محدودة ومرتبطة بانجازاته العلمية، ولم يكتشف العالم سر عبقريته الشعرية في رباعياته الا بعد سبعمئة وثلاثين عاماً من وفاته في نيسابور عام ١١٣١ ميلادية.

كان الخيام يجيد اللغة العربية، ويكتب بها، وله بالعربية كتاب (الجبر والمقابلة)، وقد ترجم إلى الفرنسية عام ١٨٥١، اي قبل ترجمة الرباعيات إلى الانجليزية بسنة واحدة، ولكن بعض الدارسين يقولون انه عربي الاصل، حيث انتشرت القبائل العربية شرقاً بعد الفتوحات الاسلامية، ولهذا يقولون انه متأثر في شكل ما في رباعياته بشعر المعري الذي يسبقه بنحو خمسين عاماً.

الخيام عالماً

تلقى الخيام علومه في نيسابور ثم رحل إلى سمرقند لمتابعة دراسة الجبر، وبرزت موهبته في علم الفلك، فاستدعاه السلطان السلجوقي ملك شاه لتعديل التقويم، وكلفه ببناء برج فلكي في اصفهان، حيث عمل فيه مع عدد من العلماء، وجاءت جهوده العلمية لتكمل الجهود التي بدأها البيروني بعد وفاته، وكانت انجازات الخيام في مجال الرياضيات أساساً لتطويرها في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد اوجد طريقة هامة لاستخراج جذور الارقام، وعالج لأول مرة مسائل التكعيب في الجبر، وتمنى ان يكمل الذين يأتون بعده الحلول التي وصل اليها، وكان الخيام مشغولاً بالمسلمات الرياضية التي اثارت اهتمام العلماء العرب والمسلمين، وشعر بأن نظريات اقليدس غير كافية، في مجال النسبة، وانجز نظاماً للأرقام أكثر اتساعاً من نظام الاغريق.

قبل اكتشاف الرباعيات

ظلت رباعيات الخيام موزعة في المخطوطات المختلفة في الشرق والغرب، وجاء الاختلاف كالعادة من سوء نوايا الناسخين أو تعصبهم، حيث يضيفون أو يحذفون ما يريدون، ولكن العدد الذي وصل من هذه الرباعيات إلى الغربيين كان كافياً لادهاشهم، وكانت صلة الباحثين والمؤلفين والقراء الغربيين قد بدأت منذ دخول العرب إلى الاندلس، حيث كانت الموشحات وقصص الحب العربية ذات اثر واضح على الشعر الاسباني والفرنسي في بداية القرن الثامن، وفي أول القرن الثامن عشر نقل انطوان غالان مختارات مكثفة من الف ليلة وليلة إلى الفرنسية، ثم ترجمت إلى اللغات الأوروبية الاخرى وتركت اثارها على اعمال فولتير وغوته وعدد كبير من الادباء الاوروبيين، كما ظهرت تأثيرات ترجمة اشعار حافظ الشيرازي والمعلقات السبع العربية على اعمال غوته وبشكل خاص في (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، و لم تنته حكايات شهر زاد حتى اليوم في المؤلفات والأعمال الابداعية الغربية.

فيتزجيرالد والخيام

اعتبر بعض النقاد ان ادوارد فيتزجيرالد (١٨٠٩ ١٨٨٣) من أهم الشعراء الانجليز في القرن التاسع عشر، ليس لانه كتب شعراً، وانما لانه ترجم رباعيات الخيام بلغة شعرية عالية، توازي اللغة الشعرية الفخمة في الشعر الكلاسيكي الانجليزي في العصر الفيكتوري وما قبله.

كان فيتزجيرالد تخرج من جامعة كامبرج، وجمعته علاقة صداقة مع الشاعر الانجليزي لورد تنيسون والمؤرخ الفيلسوف توماس كارليل، وكان تنيسون قد كتب في تلك الفترة أهم قصائده (الذكرى)، ولكنها لم تجذب انتباه القراء والكتاب كما فعلت رباعيات الخيام.

نـــشر فيتـــز جيرالـــد أعمـــالاً متفرقة، منها ست مسرحيات للكاتب الاسباني كالديـــرون قبل ان يتجه إلى الدراسات الشرقية، ويترجم مجموعة من رباعيات الخيام وينـــشرها دون ان يذكر اسم المترجم، في عام ١٨٥٩، وظلت هذه الرباعيات مهملة، تباع بسعر زهيد، لدى الناشر اللندني كارتش، لاتثير انتباه احد حتى اكتشفها الشاعران دانتي جابرييل روزيتي وصديقه الجرينون سوينبورن، واشتريا ماتبقى من النسخ لتقديمها كهـــدايا إلى الاصدقاء، وكان ذلك في عام ١٨٦٠، وهو العام الذي شهد نشر كتاب (اصـــل الأنواع) لداروين، وبداية الانفتاح على الافكار الجديدة والثقافات الاخرى في بـــريطانيا، وكـــان للدعاية التي بثها روزيتي وسوينبورن اثر سريع وواضح على اهتمام القـــراء بالـــرباعيات وتوالي طبعاتها المنقحة مع مقدمة موسعة للمترجم عن عمر الخيام وحـــياته وعـــصره، وهو العصر الذي يهتم الاوروبيون بدراسته لانه ارتبط بالحروب الـــصليبية والصراعات في الشرق، وكان توماس هايد استاذ اللغات الشرقية في جامعة اكـــسفورد قـــد ترجم الرباعيات إلى الانجليزية قبل فيتز جيرالد، ولكن ترجمته لم تثر اهتمام عامة الناس.

وقد نشر فيتزجيرالد ترجمته بأسلوبين مختلفين: احدهما كان الترجمة النثرية الحرفية التي التزمت بالمضمون الدقيق لنص وافكاره وصوره، والثاني كان الترجمة الشعرية التي ترصـــد المضمون وتضعه في قالب الشعر الانجليزي الكلاسيكي المألوف الذي يميل إلى الفخامـــة والبلاغة والغنائية العالية، ويمكن للقارىء ان يختار من هذين النصين ما يريد. لان الـــنص الشعري لا يخلو من التصرف احياناً، بضرورة الشعر، كما يقولون، وكان عدد الرباعيات في ترجمة فيتزجيرالد مئة وخمس رباعيات.

حكايات عن الخيام

ارتبطت بعبقرية الخيام حكايات نادرة حدثت معه أو بعد وفاته، وقد التقط الباحثون بعضاً من هذه الحكايات، ومنها: اجتمع ثلاثة من الطلاب الدارسين لدى الامام موفق الدين النيسابوري في جامعة خراسان وهم عمر الخيام ونظام الملك والحسن بن الصباح، وكانوا يراجعون دروسهم في غرفة خاصة، وهم يدرسون العلوم الدينية واللغة والهندسة والرياضيات والمنطق والعلوم واللغة الاغريقية والفلك.

وفي احد الايام قال الحسن ابن الصباح: دعونا نتعاهد على ان من يصل إلى الوزارة من بيننا نحن الثلاثة يساعد صديقيه الآخرين على الوصول إلى المراكز العالية.

ومرت الايام وصار نظام الملك وزيراً في بلاط الب شاه، فزاره الصديقان القديمان عمر الخيام والحسن بن الصباح، ولكن الخيام لم يطلب مركزاً في البلاط، ولكنه كان يريد الاهتمام بأعماله العلمية، فلبى له نظام الملك رغبته وحدد له منحة سنوية بألف ومئتي مثقال ذهبي، اما الحسن بن الصباح فقد حاول منافسة الوزير لدى السلطان، لكن المنافسة انتهت بخصومة شديدة، ثم هرب الحسن، وتحول بعد ذلك إلى قائد لمشهور من قادة فرقة الحشاشين التي نظمت حملة من الاغتيالات السرية المنظمة للخصوم.

وكان احد ضحاياها الوزير نظام الملك نفسه، بينما كان الحسن بن الصباح يحتل (قلعة الموت) ويذكر فيتزجيرالد في مقدمته للرباعيات ان نظام الملك كان قد اعتاد ان يردد في حياته بعض العبارات من رباعيات صديقه الخيام، وكانت آخر كلماته عند اغتياله، وقبل ان يلفظ انفاسه الأخيرة: (يا الهي (انني امضي في قبضة الريح) وقد استعار هذا القول من الشطر الرابع من رباعية الخيام التي يقول فيها:

(جئت كالماء وكالريح أمضي).

يذكر فيتزجيرالد في مقدمته نقلاً عن كتاب (جهار مقاله) اربع مقالات للخواجة النظامي السمرقندي، الذي كان تلميذاً للخيام، انه كثيراً ما كان يناقش استاذه الخيام في أمور مختلفة، وسمعه في احدى المرات يقول: سيكون قبري في مكان تهب عليه النسائم الشمالية وينتشر فوقه الورد والزهر، وكان النظامي يستغرب ما قاله الخيام، ومرت سنوات طويلة، وسمع النظامي عن موت الخيام فعزم على زيارة قبره في نيسابور بعد ثلاثة عشر عاماً من موته، فوجد قبره إلى جانب سور حديقة مهجورة، فتدلت أغصان الاشجار فوق القبر ونثرت عليه من ثمارها وازهارها حتى غطت احجاره.

زار الخيام بلدة فسمع اهلها يشكون من كثرة اسراب الطيور التي تحوم فوقهم وتلقي ذرقها فوق رؤوسهم وثيابهم، فصنع الخيام لهم تمثالا من الطين لطائر كبير، ونصبه في مكان عال يطل على البلدة، فهاجرت اسراب الطوير خوفا من هذا الطائر الجارح. بعد وفاة فيتزجيرالد بنحو عشر سنوات تأسس في لندن ناد يحمل اسم عمر الخيام، وكانت مهمته تنحصر في الدعوة الى المزيد من الاهتمام بأعمال الخيام ورباعياته، وزيارة قبر مترجمه ادوارد فيتزجيرالد، كما وجه رسالة الى الشاه يطلب فيها صيانة قبر الخيام في نيسابور وتجميل موقعه بزراعة انواع الزهور من حوله.

الخيام على الشاشة

قدمت هوليوود في عام ١٩٤١ فيلما روائيا طويلا بعنوان (عمر الخيام)، من اخراج البرت لويس، ولكن هذا الفيلم لم يستطع ان يرسم صورة حقيقية واضحة للخيام، ولكنه استلهم المرحلة التاريخية التي عاشها، فقيل انه فيلم مزدحم بالمغامرات

والسيوف والرمال وشيء من الحب، واعتمد السيناريو على مصادر تاريخية شرقية وغربية عن حياة الخيام واحداث المرحلة التي عاشها، وكان من اهم المراجع ما كتبه مانويل كومورن، واصدره في كتاب ترجمه الى العربية بتصرف واسع عمر ابو النصر في بيروت عام ١٩٧٠ بعنوان (قلعة الموت).

واذا كانت المراجع والدراسات عن عمر الخيام قليلة ومحدودة في اللغة العربية فانها ليست كذلك في اللغات الاجنبية الحية، ويعتبر كتاب هارولد لام (قصة حياة الخيام) من اهم المراجع الموثقة والشاملة حول حياة الخيام واعماله العلمية ورباعياته الحكيمة:

فكم توالى الليل بعد النهار
وطال بالانجم هذا المدار
فامش الهوينى ان هذا الثرى
من اعين ساحرة الاحورار

الرباعيات في العربية

اذا كان الاوروبيون قد اكتشفوا رباعيات عمر الخيام في منتصف القرن التاسع عشر، فإن اكتشاف هذه الرباعيات عربيا تأخر الى بداية العقد الثاني من القرن العشرين، حينما نقلها الى العربية، بتصرف، وديع البستاني، على شكل سباعيات، من اللغة الانجليزية، عن فيتزجيرالد، وابتعد بها عن الاصل، ومنذ ذلك الحين شهدت الرباعيات عشر ترجمات الى اللغة العربية، منقولة عن اللغتين الانجليزية والفارسية، انجزها كل من: محمد السباعي، محمد الهاشمي، احمد الصافي النجفي (ترجمة شعرية عن الفارسية)، احمد رامي (ترجمة شعرية عن الفارسية)، جميل صدقي الزهاوي (ترجمة نثرية عن الفارسية)، احمد الصراف (ترجمة نثرية)، عبدالحق فاضل (ترجمة شعرية)،

د. احمد زكي ابو شادي (ترجمة شعرية عن الانجليزية)، د. محمد غنيمي هلال (ترجمة مختارات نثرية عن الفارسية)، الشاعر الاردني عرار (مصطفى وهبي التل).

واجمــع الــنقاد والقراء على اهمية الترجمة الشعرية لأحمد الصافي النجفي، (عن الفارسية)، وترجمة احمد رامي (عن الفارسية) والتي انتشرت بشكل واسع بعد ان غنت ام كلــثوم مختارات منها، من تلحين رياض السنباطي، وكان احمد رامي قد درس اللغة الفارســية في بــاريس في نهايــة العشرينيات من القرن العشرين، ومع ان بعض النقاد الكلاســيكيين ذموا ترجمة احمد رامي، مثل روكس بن زايد العزيزي في مقدمته لترجمة ابي شــادي للــرباعيات، الا ان شــاعرية ترجمة رامي وغنائيتها الفريدة ترتفع بها الى مستوى شعر الخيام وترجمة فيترجيرالد.

امــا ترجمة عبدالحق فاضل فقد رافقتها دراسة موسعة عن الخيام مع مقارنة بين الخــيام والمعــري، تتحــرى نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما، ويبرز الالتقاء في طرح الاســئلة الجريئة المتأملة الحائرة عن الحياة وسر الوجود، بينما يظهر الخلاف واضحا في زهد ابي العلاء وانصرافه عن الملذات التي يدعو الخيام الى استترافها طولا وعرضا، ومع هذه الاختلافات فإن ما يجمع بينهما هو الحكمة والذكاء المتوقد.

وبــين التــرجمات الشعرية العربية تبدو ترجمة احدم زكي ابو شادي للرباعيات سلــسة. ومــوفقة في توصيل المعاني، ولكن الترجمات الشعرية عموما تعاني من الحشو وتبديل الالفاظ المناسبة بالفاظ غير المناسبة، حسب حاجة الوزن والقافية، وقد ضمت تــرجمة (ابــو شــادي) مقدمتين، واحدة للمترجم، واخرى للأديب روكس بن زائد العزيــزي يقارن فيها بين الخيام والمعري ايضا، ويؤكد ان عدم زواجهما كان له تأثير خاص في شعرهما.. وتبدو ترجمة د. محمد غنيمي هلال لثلاث وعشرين رباعية مختارة، عــن اللغة الفارسية، في كتابه (مختارات من التعر الفارسي عن الدار القومية للطباعة

والنشر القاهرة ١٩٦٥) هي الاقرب والاكثر دقة والتزاما بالاصل، وساعده في ذلك انه ترجمها نثرا حرا، ليس فيه حشو او تحوير في المعنى او الصورة الشعرية.

تحديد عدد الرباعيات

ويلخص د. هلال نتائج الدراسات التي تناولت مشكلة الرباعيات المضافة الى رباعيات الخيام فيقول: .. ولكن يؤخذ من البحوث الكثيرة التي قام بها المتخصصون في مختلف اللغات الكبرى وبناء على الرجوع الى المخطوطات الكثيرة والقرائن التاريخية ان ستا وستين رباعية هي من كلام الخيام على سبيل القطع، وبناء على خصائص اسلوبها يمكن ان نلحق بها مئة وثماني عشرة رباعية اخرى على سبيل الاحتمال لا اليقين، فيكون مجموع الرباعيات الصحيحة يقينا واحتمالا مئة وثماني وسبعين بدلا مما يعزى اليه من رباعيات كثيرة منحولة، تبلغ مئات، بل انها في بعض المخطوطات تتجاوز الالف.

صورة شرقية للخيام

لقي الخيام اهتماما باعماله في مجال الرياضيات والفلك، لدى الدارسين القدامى، الفرس والعرب، وتجاهلا او هجوما على رباعياته واتهامات بالزندقة من المتعصبين المتزمتين، فوصفه الرازي في كتابه (مرصاد العباد) بأنه (الدهري التائه في ميدان الضلال)، كما يذكر محمد غنيمي هلال، وان القفطي في (اخبار الحكماء) قال بأن بعض متأخري الصوفية نقلوا ظواهر شعره الى طريقتهم، وناقشوا هذا الشعر فاعتبروه افاعي سامة، وعندما استنكروه وتألبوا عليه، خاف على دمه، وامسك من عنان لسانه وقلمه وذهب الى الحج.

أما الباحثون المحدثون في الادب الايراني فلهم مواقف غريبة ومختلفة من عمر

الخـــيام، فبعضهم يعتبره رجل علم وتقيا، لا علاقة له بالرباعيات المنسوبة اليه، لما فيها من افكار حرة ودعوة الى الحياة بكل وحوهها لمشرقة، وينكرون انه كعالم ، يمكن ان يقول شعرا في الغزليات والخمريات والتأمل في حال الوجود واسئلة الحياة والموت، مع ان هــذه الموضــوعات هي الاغراض الاساسية لأهم اعلام الشعر الفارسي من الذين سبقوا عمرالخيام او عاصروه او جاؤوا بعده، ومنهم: رودكي، رابعة القزدارية. فرضي السيستاني، عسجدي، قطران التبريزي، معزي النيسابوري، انوري، حافظ الشيرازي، ومن قبلهم أبو نواس الذي كتب شعره بالعربية. ويشير بعض الباحثين الى ان التعسف الذي تعرض له الخيام في حياته وبعد موته من المتزمتين كان في بعض جوانبه يرتبط بأن اسمه (عمر) تحديدا.

ان شعر الرباعيات كان مألوفا في الشعر الفارسي الذي تأثر كثيرا بالشعر العربي، لغــة واســلوبا ومــضمونا، ويقال ان اول من كتب الرباعيات الفارسية هي الشاعرة (محاســي)، كما كتبها ابو سعيد ابي الخير الدي توفي في فترة ولادة الخيام، ثم شاع هذ النوع من الشعر المكثف بين كبار الشعراء فيما بعد.

لوركا يكتشف (الشرقي الرائع)

تتركـــز اهتمامات المستعرب الاسباني خوسيه ميجيل بويرتا حول (تاريخ الفكر الجمـــالي العربي) وهو عنوان بحث مطول وفريد، صدر في مدريد في اكثر من تسعمئة صــفحة، وفي الذكــرى المئوية لميلاد لوركا (١٩٩٨) ترجم الى العربية مقالة كانت مغمــورة، حــول عمر الخيام، وكتب خوسيه ميجيل مقالة، اعطاني نسخة منها، عن الــتأثيرات المبكرة لرباعيات الخيام على شعر لوركا، وهي غير منشورة باللغة العربية، جاء فيها:

(لا شــك ان قــراءة رباعيات الخيام تركت تأثيرا هاما في تكوين فضاء لوركا

الشخصي والادبي، وبالاضافة الى المقال الرقيق الذي نشره بعنوان (تعليقات حول عمر الخيام) في مجلة (آداب Letras) يوم ١٩١٧/١٠/١٧، حين كان مؤلفنا يصدر هذه المجلــة مع فئة من الأصدقاء في غرناطة، وهو لا يزال في التاسعة عشرة من عمره. نجد اشــارات اخـــرى الى الشاعر والعلامة النيسابوري، خليقة بالذكر، مبعثرة في قصائد ومحاضــرات مختلفة، تنتمي عموما الى بداية مشوار لوركا الادبي، واهم دليل على ذلك هو ان لوركا ارتمى بنفسه في روض الشاعر الشرقي الكبير، منذ الابيات الاولى لما تعتبر اول قـصيدة خطهــا لوركا في حياته، وهي اغنية (حلمٌ والتباس) المؤرخة في ٢٩/٦/١٩١٧ ونقرأ في مطلعها:

كانت ليلة شبقية كاملة
ليلة ذهبية في الشرق العتيق
ليلة قبلات ونور ودعابات
ليلة ملتفة بقماش العشق
اوجاع وورود على جسدك
وعيناك هما الموت والبحر
وفمك، وشفتاك، وظهرك، وعنقك
وانا كظل عمر (خيام) قديم
حلم اقمشة الجزائر ودمشق
كان يعطر، فاترا، قلبينا
وضفائرك تبث لحنا
على نجوم هواك العظيم

وتتضح من قراءة نصوص لوركا المتعلقة بعمر الخيام ان سلوك مؤلف الرباعيات لمــواجهة قــضية استقرار المأساة والتعاسة في حياة الانسان، يعني ممارسة الحب ولذات الجـــسد البـــسيطة وتعبـــئة روحانية تأملية خاصة تتلخص في تقييم الفرد بذاته واعادة الانـــسان الى بعده المادي الطبيعي والانسجام مع بقية مخلوقات الكون، اصاب الكاتب الغرناطـــي المبـــتدئ بـــصدمة قوية، لأن الموقف الوجودي لعمر الخيام، بكل بساطته

وعمقه، ينافي تماما التقاليد المسيحية المطالبة بالتخلي عن اللذات الجسدية، بوصفها اقبح الخطايا، والاستسلام للاعتراف وانتظار مجيء حياة ثانية بعد الممات).

لوحات عن عالم الخيام

حملـــت اليـــنا بعـــض الطبعات الاوروبية والامريكية والطبعة العربية من ترجمة رباعيات الخيام للشاعر المهجري المصري احمد زكي ابو (شادي المكتبة العلمية بيروت ١٩٥٢) رســـوما تخطيطـــية بارعة الحبر الصيني، بمعدل رسمة مع كل رباعية، ولوحات متفرقة بالألوان المائية، تستلهم الاجواء العاطفية والوجودية التي تبثها الرباعيات، بما فيها مـــن دعـــوات مفـــتوحة الى اكتشاف جماليات الحياة والحب والامتاع وتحرير العقل والحواس من الهموم والمخاوف والاوهام.

وقـــد انجز هذه الرسوم واللوحات فنان عالمي، ايراني المولد، من اصل ارمني، هو ســـركيس خجادوريان، وهو فنان، رسام وباحث اثري، قام بترميم الرسوم الرومانسية التاريخية على الخزف في اصفهان.

درس خجادوريـــان في كلية الفنون الجميلة في روما، وفي معهد فن الديكور في باريس، ثم في ميونيخ، وبعد ان انجز اعمالا فنية في اوروبا وايران سافر الى الهند للعمل في اكتشاف ودراسة الرسوم اتاريخية في شبه القارة الهندية، ثم عاد الى اوروبا في طريقه الى الـــولايات المتحدة، ووجدت اعماله اهتماما خاصا في الأوساط الفنية، وبعد رحلته الثانـــية الى الهـــند عاد في عام ١٩٤١ ليستقر في الولايات المتحدة، وله اعمال فنية في اكثـــر مـــن عشرين متحفا عالميا تحمل الى مشاهديها صورا من الاجواء الساحرة التي رسمها الخيام بالكلمات.

أحمد رامي وترجمة رباعيات الخيام

انتـــشرت رباعايات الخيام كأشهر أغاني ام كلثوم .. و بصراحة الكل يستشهد بحكم عمر الخيام على لسان أم كلثوم ! و لكن ما مدى جودة الترجمة ؟ لماذا يثق الناس بأحمد رامي كمترجم كونه شاعر جيد لا يعني أنه مترجم جيد أيضاً!

القارئ لترجمة أحمد رامي لرباعيات عمر الخيام يكتشف أن الشاعر للأسف لم يلتزم بأصـــول الترجمة الادبية الصحيحة . فهو في البداية لا يعرف عن عمر الخيام الكثير أو عن تاريخ الادب الفارسي .. و لو كان يعرف لكانت مصيبة ! فهو بهذا عالم متجاهل!

أعظم مصيبة أدبية و للأسف هي منتشرة بين بعض المترجمين و نقاد عمر الخيام هـــي فكرة أن عمر الخيام كان يشرب الخمرة ! و هذه من الأكاذيب السخيفة التي لا تعـــدو ســـوى جهلاً بالادب الفارسي و أصوله و هذا ما ذكره أحمد رامي في ترجمته للرباعيات بان عمر الخيام كان يشرب الخمرة لأنها تسمو بروحه فوق الأحزان والهموم

و نـــرد على هذه الشبهة بالتالي :أولاً يا عزيزي يا أحمد رامي من المفروض أن شـــاعراً كبيراً مثل أحمد رامي أن يعرف أصول الأدب الفارسي الكبير و الذي كان له كـــبير الأثر على الادب العربي في العصر العباسي خاصة من ناحية التصاوير و التشابيه الجميلة و هي من خصائص الشعر العربي في الفترات اللاحقة و عصور الانحطاط بينما كان الشعر العربي في الماضي يرسم صوراً بسيطة و غير معقدة نجد أن الشعر العربي في المراحل المتأخرة بعد تأثره بالادب الفارسي و دخول الفرس في وسط الثقافة العربية في العـــصر العباســـي قد تحسنت بذلك التصاوير حتى نجد أبياتاً كاملة في تشبيه و صورة واحدة و ليست مجرد تشابيه بسيطة في كلمة أو كلمتين .الأدب الفارسي الصوفي اتخذ الخمـــر رمـــزاً للعشق الإلهي , السكران هو العابد الزاهد الذي في الحقيقة يبدو شكلاً

كالسكران من شدة التعب و العبادة المتواصلة .و الساقي هو الذي يعطي الخمرة ويدخل الفرحة على قلوب المساكين العشاق والعباد و الساقي عادة يرمز إلى الله ﷻ .

إلى أن أحمد رامي تجاهل هذه الصور و هي منتشرة بكثرة في الأدب الفارسي ومعروفة وأصبحت جزء لا يتجزء من التشابيه المعروفة لدى الايرانيين ودليل ذلك أن كبار الفقهاء ورجال الدين الشيعة والسنة في إيران الذين يكتبون الشعر كهواية يستخدمون هذه التصاوير .بابا طاهر وحافظ الشيرازي و جلال الدين الرومي وغيرهم كلهم استخدموا هذه الصور والتشابيه .. إلا أن أحمد رامي بكل رومانسية تصور نفسه عمر الخيام و فسر شعر الخيام حسب هواه متجاهلاً تاريخاً كبيراً للشعر الفارسي .ومن كبار الشعراء الذين ينتقدونه وينتقدون ترجمته البدائية هم محمد عبد الغفار الهاشمي مدرس الفارسية في الأزهر الشريف في الستينات . و فيها انتقد أحمد رامي في أشارة إلى كلام أحمد رامي حول عمر الخيام كونه يشرب الخمر لتسمى روحه ، قائلاً :إن رامي قد تحدث عن نفسه بدلاً من حديثه عن الخيام . لقد هام بحب الخمر والنساء ونظر في مرآة الخيام إلى نفسه هو فخدعته نظرته ونسى الخيام و اجاد التعبير عما يختلج في صدره هو .

ونستدل بدليل آخر على كون الخيام لا يشرب الخمر الخيام فقيه من كبار فقهاء زمانه و قد كتب رسائل متعددة في الفقه و الشريعة و الفلك و الفلسفة و تذكر المصادر بعض رسائله في الفقه و الشريعة و منها رسالة في حكمة رب العالمين في خلق الكون و فيها يشرح فوائد العبادات و الفرائض واتباع الفرائض !هل من المعقول أن أكبر فقهاء زمانه يشرب الخمر ؟الواقع يقول العكس وهو أن الخمر كما ذكرنا سابقاً و ذكرها كبار المترجمين المتبحرين في أصول الأدب الفارسي بأن الخمر في شعر عمر الخيام هي خمرة العشق الألهي . والقارئ لشعره يجد أن عمر الخيام لم يصف الخمر وصفاً دقيقاً أبداً بل كان دائماً يصف الخمر كتأثير و هذا هو الهدف و المغزى من التشبيه ، هي حالة السكر التي يدخل فيها العاشق.

من رباعيات الخيام

مررت بالخزاف في صحوة
يصوغ كوب الخمر من طينة
أوسعها دعًا فقالت له :
هل أقفرت نفسك من رحمة

***

لو أنني خيرت أو كان لي
مفتاح باب القدر المقفل
لاخترت، عن دنيا الأسى أنني
لم أهبط الدنيا ولم أرحل

***

هبطت هذا العيش في الآخرين
وعشت فيه عيشة الخاملين
ولا يواتيني بما أبتغي
فأين مني عاصفات المنون

***

حكمك يا أقدار عين الضلال
فأطلقيني آد نفسي العقال
إن تقصري النعمى على جاهل
فلست من أهل الحجا والكمال

***

إذا سقاك الدهر كأس العذاب
فلا تبن للناس وقع المصاب
واشرب على الأوتار رنانة
من قبل أن تحطم كأس الشراب

***

لا بد للعاشق من نشوة
أو خفة في الطبع أو جنة
والصحو باب الحزن فاشرب تكن
عن حالة الأيام في غفلة

***

أنا الذي عشت صريع العقار
في مجلس تحييه كأس تدار
فعدّ عن نصحي لقد أصبحت
هذي الطلى كل المنى والاختيار

***

أعلم من أمري الذي قد ظهر
وأستشف الباطن لمستتر
عدمت فهي أن تكن نشوتي
وراءها منزلة تنتظر

***

طارت بي الخمر إلى منزل
فوق السماك الشاهق الأعزل
فأصبحت روحي في نجوة
من طين هذا الجسد الأرذل

***

سئمت يا ربي حياة الألم
وزاد همي الفقر لما ألمّ
ربي انتشلني من وجودي فقد
جعلت في الدنيا وجودي عدم

***

لم يخل قلبي من دواعي الهموم
أو ترض نفسي عن وجودي الأليم
وكم تأدبت بأحداثه
ولم أزل في ليل جهل بهيم

***

الله قد قدر رزق العباد
فلا تؤمل نيل كل المراد
ولا تذق نفسك مرّ الأسى
فإنما أعمارنا للنفاد

***

إن الذي يعرف سر القضاء
يرى سواء سعده والشقاء
العيش فان فلندع أمره
أكان داء مسنا أم دواء

***

يا طالب الدنيا وقيت العثار
دع أمل الربح وخوف الخسار
واشرب عتيق الخمر فهي التي
تفك عن نفسك قيد الإسار

***

الكأس جسم روحه الساريه
هذي السلاف المزة الصافية
زجاجها قد شف حتى غدا
ماء حوى نيرانها الجارية

***

قد ردد الروض غناء الهزار
وارتاحت النفس لكأس العقار
تبسم النور فقم هاتها
نثأر من الأيام قبل الدمار

***

بي من جفاء الدهر همّ طويل
ومن شقاء العيش حزن دخيل
قلبي كدنّ الخمر يجري دما
ومقلتي بالدمع كأس تسيل

***

وكلما راقبت حال الزمن
رأيته يحرم أهل الفطن
سبحان ربي كلما لاح لي
نجم طوته ظلمات المحن

***

ماذا جنينا من متاع البقاء
ماذا لقينا في سبيل الفناء
هل تبصر العين دخان الألى
صاروا رمادا في أتون القضاء

***

تلك القصور الشاهقات البناء
منازل العز ومجلى السناء
قد نعب البوم على رسمها
يصيح أين المجد، أين الثراء

***

هون على النفس احتمال الهموم
واغنم صفا العيش الذي لا يدوم
لو كانت الدنيا وفت للألى
راحوا لما جاءك دور النعيم

***

وإنما الدهر مذيق الكروب
نعيمه رهن بكف الخطوب
ولو درى الهم الذي لم يجيء
دنيا الأسى لاختار دار الغيوب

***

صبت علينا وابلات البلاء
كأننا أعداء هذا القضاء
بينا ترى الإبريق والكأس قد
تبادلا التقبيل حول الدماء

***

تفتح النوار صب المدام
واخلع ثياب الزهد بين الأنام
وهاتها من قبل سطو الردى
في مجلس ضم الطلى والغرام

***

حار الورى ما بين كفر ودين
وأمعنوا في الشك أو في اليقين
وسوف يدعوهم منادي الردى
يقول ليس الحق ما تسلكون

***

نصبت في الدنيا شراك الهوى
وقلت أجزي كل قلب غوى
أتنصب الفخ لصيدي وإن
وقعت فيه قلت عاص هوى

***

أنا الذي أبدعت من قدرتك
فعشت أرعى في حمى نعمتك
دعني الى الآثام حتى أرى
كيف يذوب الإثم في رحمتك

***

إن تفصل القطرة في بحرها
ففي مداه منتهى أمرها
تقاربت يا ربّ ما بيننا
مسافة البعد على قدرها

***

وإنما الدنيا خيال يزول
وأمرنا فيها حديث يطول
مشرقها بحر بعيد المدى
وفي مداه سيكون الأفول

***

جهلت يا نفسي سر الوجود
وغبت في غور القضاء البعيد
فصوري من نشوتي جنة
فربما أحرم دار الخلود

***

يا ورد أشبهت خدود الحسان
ويا طلي حاكيت ذوب الجمان
وأنت يا حظي تنكرت لي
وكنت من قبل الأخ المستعان

***

أولى بك العشق وحسو الشراب
وحنة الناي ونوح الرباب
فأطلق النفس ولا تتصل
بزخرف الدنيا الوشيك الذهاب

***

لا تشغل البال بأمر القدر
واسمع حديثي يا قصير النظر
تنح واجلس وادعا قانعا
وانظر الى لعب القضا بالبشر

***

يا قلب إن ألقيت ثوب العناء
غدوت روحا طاهرا في السماء
مقامك العرش ترى حطةً
أنك في الأرض أطلت البقاء

***

إن الذي يذبل زهر الربيع
ينثر أوراق وجود الجميع
والهم مثل السّم ترياقه
في الخمر فاشرب قدر ما تستطيعَ

***

زجاجة الخمر ونصف الرغيف
وما حوى ديوان شعر طريف
أحب لي إن كنت لي مؤنسا
في بلقع من كل ملك منيف

***

أتسمع الديك أطال الصياح
وقد بدى في الأفق نور الصباح
ما صاح إلا نادبا ليلة
ولت من العمر السريع الرواح

***

علام تشقى في سبيل الألم
ما دمت تدري أنك ابن العدم
'لدهر لا تجري مقاديره
بأمرنا فارض بما قد حكم

***

تحمل الداء كبير الرجاء
أنك يوما تنال الشفاء
واشكر على الفقر الذي إن يُرَدّ
أصبحت موفور الغنى والثراء

***

ليتك يا ربي تبيد الوجود
وتخلق الأكوان خلقا جديد
فتغفل اسمي أو تزيد الذي
قدرت لي في الرزق بين العبيد

***

وصلتني بالنفس منذ القدم
فكيف تفري شملنا الملتئم
وكنت ترعاني فماذا دعا
إلى اطراحي للأسى والألم

***

هات الطلى فالنفس عما قليل
توشك من فرط الأسى أن تسيل
عساي أنسى الهم في نشوتي
من بعد رشفي كأسها السلسبيل

***

يا ساقي الخمر أفق هاتها
ثم اسقني سائل ياقوتها
فإنها تبعث من روحها
نفسي وتحيي ميت لذاتها

***

صب من الإبريق صافي الدماء
واشرب وهات الكأس ذات النقاء
فليس بين الناس من ينطوي
على الذي في صدرها من صفاء

***

أين طهور النفس عفَّ اليمين
وكيف كانت عيشة الصالحين
إن كنت لا تغفر ذنبي فما
فضلك يا ربِّ على العالمين

***

أحمد رامي مترجم رباعيات الخيام من الأصل الفارسي

شـــاعر الحب مما لاشك فيه أن حب أحمد رامي لأم كلثوم كانت الجذوة التي لم تنطفـــئ خلال حياته والتي أوصلته إلى الخلود أحمد رامي شاعر ذو موهبة رائعة في نظم الـــشعر أجـــزل الله له العطاء في موهبة الشعر ولمع اسمه في أوائل العشرينات حتى خيل للناس أن لا خليفة لأمير الشعراء غير أحمد رامي

و في منـــصف العـــشرينيات التقـــى أحمد رامي بأم كلثوم فإذا به يضعف أمام سحرها وتلين موهبته لإلهامها.

فينصرف عن الشعر إلى نظم الأغنية الدارجة لها، وتستمرئ عاطفته مرعى ذلك الصوت الخصيب حتى يكاد ينسى نفسه، وينسى موهبته الأصيلة، وينسى ما جبل عليه وما خلق له، قرباناً لوتر أم كلثوم. ولكن في نزول احمد رامي من قمة الشعر إلى سهل الأغنـــية الدارجـــة، لم يهـــبط عبثاً ،وإنما حمل رسالة أدبية وقومية ضخمة، هي رسالة الوثـــوب بالأغنية الدارجة من السفوح إلى القمم، في الكلمة والمعنى معا، واستطاع أن يطوع الصور والمعاني الشعرية العالية للكلمة العامية وأن يرقق عواطف العامة بالشجن والأنـــين والذكـــريات وغيرها من الكلمات التي تخلق الصور، والتي لم تعهدها الأغنية الدارجة من قبل، حتى صارت أغنية رامي مميزة على كل أغنية غيرها بشيء جديد، هو قـــربها إلى الـــشعر، وحـــتى أصبح رامي زعيم مدرسة في الغناء، لم يتأثر فيها المؤلفون وحـــدهم، وإنمـــا امتد تأثيرها إلى روح الملحن وحنجرة المغني أيضا ولكن في السنوات الأخـــيرة من نظمه الشعر ارتد رامي عن الكلمة الدارجة إلى الكلمة الفصحى وعاد إلى الإيمـــان بمـــا خلق من أجله، وقد خلق ليكون على القمة التي يقف عليها أعلام الشعر

العربي في هذا الجيل فمن هو الشاعر أحد رامي الذي جعل من شعره عرشاً تتربع عليه سيدة الغناء العربي أم كلثوم وصاغ لها أرق العبارات وأعذب المعاني من إحساس وشغف وعشق لصوتها يقول عنه أحد الشعراء : (لم اعرف من بين سير الشعراء سيرة أكثر شاعرية من سيرة أحمد رامي الشاعر الدي انتقل من مروج النرجس في جزيرة طاشيوز اليونانية إلى الحياة بين القبور في حي الإمام ثم إلى مجامع المتصوفين في حي الحنفي، ثم إلى عشرة الشاعر الخيام تحت أضواء باريس، ثم إلى الفردوس الذي مدته لخياله أم كلثوم .

أحمد رامي من مواليد القاهرة ولد والنغم ملْ أذنيه...وكان أبود وقتها طالبا بكلية الطب .. و كان أبوه شغوفاً بالفن يجتمع لديه دائما أهل الفن والطرب وعندما تخرج والده من كلية الطب أختاره الخديوي ليكون طبيبا في جزيرة يونانية (جزيرة طاشيوز) كانت ملكا خاصا للعباس الثاني كانت حياة أحمد رامي في السنين الأولى من حياته في هذه الجزيرة هي سنوات التفتح في براعم الأخيلة وهكذا تفتح برعم خياله على غابات اللوز والنقل والفاكهة، والبحر والموج والشاطئ .. وكانت ملاعبه هناك بين مروج النرجس الكثيفة هذه المروج التي كانت من قبله ملاعب لهومير وغيره من شعراء اليونان الأقدمين ..... وعاد رامي من هذه الجنة وعمرة تسع سنوات ليلتحق بالمدرسة وقد وعي اللغتين التركية واليونانية تاركاً أهله في الجزيرة ليسكن عند أقاربه في مصر في بيت يقع في حضن القبور بحي الإمام الشافعي، فاستوحشت نفسه وانطوت على هم وحزن عميقين.

وعندما رجع أهل أحمد رامي من الجزيرة اليونانية عاد أحمد مع أهله إلى حي الناصرية في القاهرة وما لبث أن تركه أبوه برعاية جده لكي يسافر إلى السودان .. فعاودت أحمد الوحشة بعد الإيناس ولولا أن خفت حدتها على نفسه إذ أنه كان يستأنس من خلال نافذته التي تطل على مسجد السلطان الحنفي حيث يمضي كل ليلة

في الاستماع إلى مجامع المتصوفة يتلون أورادهم ويرددون ابتهالاتهم واستغاثاتهم في نغم جميل . وكان يأنس في النهار بمكتبة قريبه من بيت الرافعي وهو بيت علم وأدب وثقافة ووطنية ... فكان أحمد يقضي بها جل وقته وكان أول كتاب وقع في يده فقرأه وتشبع بـه وحفظـه عن ظهر قلب هو كتاب (مسامرة الحبيب في الغزل والنسيب) كلها مختـارات مـن شعر العشاق والغزليين وهذا الكتاب لعب الدور الأول في حياة رامي، فقـرر مصير حياته ...ومن خلال قراءاته من هذه المكتبة تعلق قلبه بحب الأدب وكان هـناك جماعـة أدبية اسمها جمعية النشأة الحديثة يجتمع في رواقها كل خميس جماعة من فحـول ذلـك الجيل .. ومنهم لطفي جمعة وصادق عنبر وإمام العبد ... وقد توسم صادق عنبر في أحمد الصغير خيرا وسمعه يتلو الشعر في هذا الرواق الأسبوعي وواتته في هـذا الرواق فرصة سانحة قرأ فيها أول قصيدة من نظمه وهو يومئذ في الخامسة عشرة من عمره وكانت أولى قصائده وطنية قال فيها يا مصر أنت كنانة الرحمن في أرضه من سـالف الأزمان ساعد بلادك بابن مصر ونيلها .. واهتف بها في السر والإعلان وأول قصيدة منشورة له كانت في مجلة الروايات الجديدة ومطلعها :

أيهـا الطائـر المغـرد رحمـاك ... فـإن التغـريد قـد أبكانـي
أنـت مـثلت فـي الغـذاء غـريبا ... غـاب دهـرا عن هذه الأوطـان

وبعـد أن تخرج من دار المعلمين عين مدرسا في إحدى المدارس وبعد ذلك عين أمينا للمكتبة فاطمأنت نفسه وانصرف إلى حياة أدبية خالصة وانكب على مافي المكتبة مـن آداب العـالم الثلاثة العربية والفرنسية والإنجليزية ثم سافر في بعثة لدراسة اللغات الـشرقية وفن المكتبات بباريس ١٩٢٣ وهناك في باريس عاش أسعد ذكريات شبابه وكأنه كان هناك على موعد مع شاعر التاريخ عمر الخيام وعاد إلى القاهرة على عمله بعد عامين وظل يتدرج في مناصبها حتى أصبح وكيلا لها وقد جاوز الستين ولكنه ظل يلقب في المجامع والمنتديات بشاعر الشباب وقد مارس احمد رامي ثلاثة أنواع من الأدب

هـــي الشعر الوجداني والعاطفي والوطني ثم أدب المسرح فقد زود أحمد رامي المسرح المـــصري بـــذخيرة ضخمة تبلغ نحو خمسة عشرة مسرحية مترجمة عن شكسبير الخالد مـــنه:/ هاملت ويوليوس قيصر والعاصفة وروميو وجولييت والنسر الصغير وغيرها مما قدمـــته مـــسارح يوسف وهبي وفاطمة رشدي في زمن عزة المسرح ثم انتهى إلى نظم الأغنـــيات عـــندما ولع بأم كلثوم وبها اشتهر وطار ذكره حتى أوشك الناس أن ينسوا رامـــي شاعر الفصحى، ورامي كاتب المسرح ولم يذكروا إلا شاعر الأغاني .. إلى أن ارتد إلى إيمانه بالشعر وغنت أم كلثوم القصائد له ومنها يا ظالمني، دليلي احتار، عودت عـــيني علـــى رؤياك، حيرت قلبي معاك، أنت الحب، يا مسهرني، وحياة الحب،.... وغيرهـــا مـــن الأغاني الرائعة الأصيلة والخالدة حتى يومنا هذا وهاك مقطعا من قصيدة قـــصة حـــبي ذكريات عبرت أفق خيالي ... بارقاً يلمع في جنح الليالي نبهت قلبي من غفـــوته..... وجلـــت لي ستر أيامي الخوالي كيف أنساها وقلبي .... لم يزل يسكن جنبي إنها قصة حبي ذكريات داعبت فكري وظني ... لست أدري أيها أقرب مني هي في سمعـــي على طول المدى ..... نغم ينساب في لحن أغن بين شدو وحنين .... وبكـــاء وأنـــين كـــيف أنساها وسمعي .... لم يزل يذكر دمعي وأنا أبكي مع اللحن الحزين .

بين عمر الخيام وصلاح جاهين

قسما يجود علينا الزمان بمثلهم،صلاح جاهين ١٩٣٠

و عمر الخيام ١٠٤٤ صاحبا اشهر الأعمال الشعرية انتشارا بين المهتمين بالشعر " الرباعيات"

أهـــم مـــا يميز الرباعيات لكلا منهم هو النزعة التشاؤمية والممزوجة برنة تفاؤل خفـــية باهـــتة لا تتـــضح بسهولة مع ثقة مطلقة في حكمة الأقدار بتلاعب الأحداث بالإنسان

تأمل الخيام في إحدى رباعيته إذ يقول :

ديوان شعر تحت غصن شجرة
زجاجة من النبيذ،رغيف خبز
وأنت إلى جانبي في القفار نغني
آه ، إن القفار وقتئذ تكون جنتنا

بينما تغلبه رنة الحزن والتشاؤم بسرعة فيقول في رباعية أخرى

كل صباح يأتينا بآلاف الورود،هكذا أنت تقول
ولكني أتسائل،أين ترك الصباح الزهور التي حملها بالأمس
فهذا الشهر الأول من الصيف الذي سيجيئنا بالورود
سيطوي "جمشيد" و "كايكوباد" في مكان بعيد

وجمشيد و كايكوباد هؤلاء ملوك فارسيين أسطوريين

أمـــا بالـــنسبة لـــرباعيات صلاح جاهين فلم يدع نزعه التشاؤمية تفقده روح الدعابة الجبارة التي وهبه الله إياها في معظم رباعياته

أنا قلبي كان شخشيخة أصبح جرس

جلجلت به صحيو الخدم و الحرس
أنا المهرج قمتم ليه؟ خفتم ليه؟
لا ف أيدي سيف ولا تحت منى فرس

ثم للشجن يعود و بشدة فيحكي :

دخل الربيع يضحك لقاني حزين
نده الربيع على أسمى لم قلت مين
حط الربيع أزهاره جنبي وراح
واش تعمل الأزهار للميتين

قال صلاح جاهين أن شد ما يحزنه انه بعد مماته فإن أكثر ما سيذكره الناس له هي الرباعيات رغم غزارة وتنوع أعماله وهو خاطر أجده غريبا إلى الآن

ياللي بتبحث عن إله تعبده
بحث الغريب عن أي شيء ينجده
الله جميل،الله عليم، رحمن رحيم
احمل صفاته وأنت راح توجده

أما عمر الخيام فبعد أن جاوز الثامنة والأربعين وجد نفسه وحيدا مهجورا ومطاردا من السلطة الجديدة التي تقاسمها أبناء السلطان السابق، يستعيد في وحدته وجه ياسمين حبيبه عمره،وهي في حمى الموت بعد أن حرمته الظروف منها طويلا ثم التقى بها في حلب يفترسها المرض بعد طلاقها وحملها إلى الشام وتزوجها ولكنها ماتت بعد أسبوع واحد في الطريق إلى نيسابور فدفنها تحت شجرة عتيقة لا يفارق الظل موقعها وعاد فقال :

يخيل إلى أحيانا أن الوردة لا تحوز احمرارها القاني
إلا من تربة رواها دم قيصر دفين
وكل زهرة من الياسنت في ثوب الحديقة
هبطت في حضنها من رأس محبوب لنا ذات يوم

قال جاهين في لقاء له ذات مرة حين سؤل-:

المقـــدم: أســـتاذ صلاح ما الذي دفعك إلى كتابة الرباعيات على الرغم من أن هناك الرباعيات التي سبقك إليها عمر الخيام

صلاح جاهين: ما هو أنا كنت برخم عليه

المقدم: طيب ما هو أكثر شيء يمكن أن يضحكك في هذه الدنيا ؟

صلاح جاهين: لما ببص في المراية

هكذا كانت شخصية صلاح جاهين ساخرة مرحة و جلادة لذاتها طول الوقت ولا يمكنك أبدا فهم الأعاصير التي تدور داخلها فهما مطلقا وكذلك كانت رباعياته

يا باب أيا مقفول ، إمتى الدخول؟
صبرت ياما و اللي يصبر ينول
دقيت سنين،والرد يرجعلي مين؟
لو كنت عارف مين أنا كنت أقول

أجمل اللحظات اقضيها مع رباعيات عمر الخيام حينما أتناوب قراءتها مع ما نقله العظيم " احمد رامي " للرباعيات بعد أن أتقن دراسة اللغة الفارسية في ترجمته الشعرية للرباعيات و لم أكن أفهم الفرق قبلها بين الترجمة الشعرية والترجمة العادية – الحرفية -- قـ بلا حتى قرأت رباعيات الخيام لأحمد رامي وقارنتها بالترجمة الحرفية لرباعيات الخيام الأصلية فمثلا كتب الخيام فقال :

انهض الآن،فالشمس التي أطاحت بالنجوم
بعيدا عن حقول الليل
أطاحت بالليل معها عن السماء
واخترقت قلعة السلطان بسهم من الضياء

فترجم " رامي " هذا ترجمة شعرية فقال :

سمعت صوتا هاتفا في السحر نادى من الحان ، غفاة البشر
هبو املأوا كأس الطلى قبل أن تفعم كأس العمر كـــف القدر

ولان الـــرباعيات المتــرجمة ليست متماشية ترتيبا مع الرباعيات المنقولة فلك أن تتخـــيل المـــتعة والإثـــارة عندما ابدأ في مقارنة الرباعية هذه بتلك لأبحث عن الأفكار المشتركة بين الرباعيات حتى أجد الرباعية المترجمة ونظيرها المنقولة ، وهي تسلية لذيذة وممـــتعة إلي أقـــصى حـــد كما أنها بحث متفرد في حد ذاته بين طيات الأفكار المتنوعة لشعراء عظام .

احمد الصافي ألنجفي وعمر الخيام

ولد الشاعر احمد الصافي النجفي في مدينة النجف في العراق. التحق صغيراً بالكتاب في النجف ثم حصل دروساً خاصة في العلوم الادبية والدينية. درس الآداب العربية في ايران لسبع سنوات بين ١٩٢٠ و١٩٢٤. عمل محرراً في مجلات ادبية ودينية بينها مجلة العرفان في صيدا، لبنان. عاش مبعداً بين ايران والكويت وسوريا ولبنان ورجع الى بغداد حيث توفي بعد مدة قصيرة من رجوعه ينتسب احمد الصافي النجفي الى اسرة حجازية قدمت الى البصرة واستقرت في النجف. جده لأمه الشيخ محمد حسين الكاظمي لبناني الاصل من بلدة الزرارية قرب صور. نشأ النجفي في جو حافل بالعلم والادب والدين فتقرب في صغره من علماء النجف يتعلم الاصول الدينية .مات والده وهو في العاشرة من عمره فغادر المدرسة وراح يثقف نفسه بنفسه، فدرس المنطق والنحو والصرف والبيان. ولما توفيت والدته وهو في السابعة عشرة اصيب بمرض عصبي شديد فامتنع عن الدراسة واكتفى بالمطالعة واقبل على المجلات والصحف عله يأخذ منها معرفة افتقدها.

اشترك في ثورة ١٩١٩ ضد البريطانيين فصدرت الاوامر باعتقاله مما اضطره للفرار الى طهران بعد ان امضى اثني عشر يوماً ماشياً على قدميه. التحق بايران بعدد من المدارس يدرس اللغة الفارسية ويحسن من لغته العربية. مكث في ايران سبع سنوات ترجم خلالها «رباعيات الخيام» ترجمة دقيقة، ونقل الى الفارسية كتاب (علم النفس) لعلي الجارم واحمد امين ليدرس في دار المعلمين.

عاد الى العراق سنة ١٩٢٤ بعد ان استقل البلد. لكن حر العراق الشديد اثر على صحته فنصحه الاطباء بمغادرة البلاد الى سوريا ولبنان. فجاء دمشق سنة ١٩٣٠

حـــيث سكن في غرفة خالية مهجورة ملحقة بشارع قرب سوق الحميدية. وكان يأتي الى بـــيروت بـــين حـــين وآخـــر ليقيم في غرفة متواضعة قرب مستشفى اوتيل ديو. نشبت اثناء اقامته في بيروت ثورة في العراق تزعمها رشيد عالي الكيلاني فراح النجفي يقـــود التظاهـــرات الطلابية في لبنان ويلهب مشاعر الناس بقصائده الحماسية فاعتقلته الـــسلطات الفرنـــسية بتهمة الترويج للأفكار النازية وظل رهن الاعتقال ثلاثة واربعين يوماً خرج في نهايتها حاملاً ديوانه «الجديد» حصاد السجن.

اصـــيب خـــلال الحرب الاهلية في لبنان برصاصات قيل انها طائشة، ونقل الى مستـــشفى المقاصد في حالة من الاغماء. وبعد تماثله الى الشفاء رجع الى العراق منهياً نفياً دام ستة واربعين عاماً. وكان قد اصبح شيخاً متهدماً فاقد البصر.

مات في بغداد ودفن في النجف.

مـــن مـــؤلفاته الـــشعرية: الامواج، اشعة ملونة، الاغوار، الحان اللهيب، شرر، اللفحات . له ترجمات ومقالات منها: رباعيات عمر الخيام، حصاد السجن .

احمد الصافي النجفي

إن البلاد كما الحسان تفاوتت ــــحسنا، وأن عروسها بغداد

د. شاكر الحاج مخلف/رئيس تحرير جريدة المدار الأدبي

ولـــد شاعر العراق الكبير "احمد الصافي النجفي" في مدينة النجف الأشرف في العام ١٨٩٧ وتلقى علومه الأدبية والدينية وبقية العلوم الطبيعية ومحاضرات عن الفلك والكـــواكب والطـــب الإسلامي في مجالس الدرس من خلال جهود علماء الدين، بعد ذلـــك أنطلـــق في مشواره العلمي والمعرفي معتمدا على نفسه مطبقا أصعب المناهج في التعليم الذاتي مبحرا في كتب الفكر والتراث والأدب العربي القديم وكذلك في مصادر العقـــيدة الإســـلامية وفـــروع الحكمة والفلسفة، كما تبدو واضحة آثار البيئة العلمية والدينـــية الـــتي كانـــت تحيطه بها أسرته التي كان يغلب عليها الطابع الديني والعلمي وكـــذلك الأدبي، وهي تتمتع بمكانة مرموقة لدى أهل تلك المدينة وفعالياتها، كما يعود التأثير الآخر للأصدقاء الذين رافقهم في مسيرته، حيث عرف عن اغلبهم ميولا تتطابق مع ميوله واهتماماته الأدبية والفكرية، وصار فيما بعد يتبارى معهم في مجال نظم الشعر وحفظـــه، أن سجل حياة الشاعر العراقي الكبير احمد الصافي النجفي يشير إلى انه تمكن من نظم الشعر وقرضه في أعوام حياته الأولى وبالتحديد في سن التاسعة من العمر ..

بعض الأنام يرى الحقيقة مرة
فيفر منها مطبقا عنها الفما
كيلا تلاحقه فتدخل فاه أو
يبقى يشاهد وجهها المتجهما
وأنا أراها مرة فألوكها
كي أغتذي منها وإن تك علقما

ولكم تقاليد شغفت بحبها
زمنا وكنت بظلها متنعما
دب الفساد لها فرمت أصونها
بالحافظين مطهرا ومعقما
لكن عييت بأمرها فتركتها
لما رأيت فسادها مستحكما

كانت حافظة الشاعر احمد الصافي النجفي للشعر تثير الدهشة والإعجاب خاصة لـــدى العلماء ورجال الدين وكان يبدو كالنجم متألقا في المجالس الأدبية والتجمعات ذات الطابـــع الفكري والثقافي،ويذكر عنه في طفولته حفظه للقرآن الكريم بفترة قياسية تجـــاوز فـــيها أقرانه وصار حديث الناس في النجف، كما أتقن اللغة العربية وعلومها وكذلك اللغة الفارسية وتفوق فيها ..

مرحلة الشباب

عندما أكتمل البناء الفكري والثقافي والأدبي للشاعر احمد الصافي النجفي الذي صـــار يشار أليه بالبنان يوما بعد آخر وتحول من شاعر مدينة النجف إلى شاعر العراق والعرب، وجد لنفسه قاعدة قوية ومجالا خصبا عندما عمل في الصحافة كما أشتغل في التـــرجمة، حـــيث قام بترجمة العديد من الكتب والمؤلفات من اللغة الفارسية الى اللغة العربية، ومن أثاره النادرة في هذا المجال ترجمته الرائعة لرباعيات الشاعر الفارسي " عمر الخـــيام " والتي طبعت في دور النشر اللبنانية أكثر من عشرة طبعات، وحظيت باهتمام الكثير من الأدباء والدارسين وكتبت عنها مقالات كثيرة أشادت بجهود الشاعر النجفي الدقيقة والمتميزة حيث تمكن من نقل أفكار الخيام إلى العربية راسما صوره الخمرية دون أن تفقد تلك الرباعيات الشعرية قيمها الفكرية أو الجمالية وتقع الرباعيات التي ترجمها في ثلاثمائة وإحدى وخمسين رباعية .

قلبي على نفسي يفيض قساوة

وعلى بني الدنيا يفيض ترحما
ابكي على غيري إذا ما نابه
خطب فيجري الدمع منهلا دما
لكن أثور إذا دعتني نكبة
وأعود من حكم القضا متبرما
وعليّ دمعي في البلاء متحجر
حتى ولو وقعت على الأرض السما
يرثى الأنام لحالتي إما رأوا
بؤسي وأنظر حالتي متبسما
آلام روحي غير آلام الورى
ولكم فرحت بما رأوه مؤلما
كم يحزنون لما أراه سعادة
أو يرقصون بما أراه مأتما

جوائز مبكرة

بعد ترجمته لرباعيات الخيام ونشره الكثير من القصائد الشعرية ذات الحس الوطني والقومي في جريدة " السياسة " التي كانت تصدر آنذاك في القطر المصري الشقيق والتي كان يرأس تحريرها الأديب المعروف " محمد حسين هيكل " والتي ألقت الضوء على شاعرية الصافي النجفي وصار معروفا في لبنان وسوريا ومصر وبلدان عربية أخرى، وتقديرا لجهوده الأدبية الكبيرة في مجال الترجمة من العربية إلى الفارسية وكذلك من الفارسية إلى العربية، قلده النادي الأدبي في مدينة طهران وسام العضوية وعلى اثر ذلك توالى صدور مجموعاته الشعرية والتي بلغت " خمس عشرة " مجموعة شعرية .. النجفي كما رآه العقاد وزيادة وآخرون

حظي احمد الصافي النجفي بتقدير كبير من لدن معاصروه من الكتاب والأدباء والشعراء وغيرهم، وشغلت به المحافل الأدبية والفكرية، فقد قال عنه الكاتب " محمود عباس العقاد " الشاعر احمد الصافي النجفي يمثل بحق أشهر شعراء العربية رقة وثورة

وإخـــلاص للقضايا الوطنية ولعربية، كما قالت الأديبة المشهورة " مي زيادة " الصافي النجفـــي شاعر كبير دون منازع يعيد أمجاد الشعر العباسي إلى الأدب العربي المعاصر، ولم يـــتوقف العقـــاد عند ذلك المديح بل كتب عنه كراسا أختار فيه نماذج من شعره المتعدد الأغراض وقال فيه" لا يكفي أن يدرس الصافي أديب واحد، وذلك لسعة آفاقه الشعرية وعمق تفكيره وأساليب بنائه لا مورة الشعرية وقوة مضامينها، كما قارن نقاد آخـــرون في مسيرة النجفي والمعري الحياتية والشعرية، وأفادوا أن كلاهما قد عانى من الـــبؤس والفاقـــة وكلاهما أيضا قد قادته أوضاعه المعيشية ومحيطه البيئوي إلى التمرد ورفض صور التردي، وصفه أحد أقرانه من الأدباء" عندما تجالس الصافي النجفي تحس أنك تجالس الطبيعة الساحرة الطاهرة ..

عيني ترى مالا يرون وعينهم
مالا أراه ففي أي عمى
ماذا تهمني الفتوق بمنزري
سيظل عرضي سالما لن يثلما
ما شأن جسمي والرداء فإنني
مهما بي اتصلا غريب عنهما

الشاعر الفيلسوف

يغلـــب علـــى شعر الصافي النجفي الكثير من السمات المرتبطة بشيوع الحكمة والأفكار الفلسفية والعلمية فيها، وربما نجد أن الكثير من أغراضه الشعرية تكاد تقترب مـــن ذات المظاهر في بناء قصيدة أبو الطيب المتنبي المشحونة بالفكر الفلسفي والعقلي وســـبر أغوار ما وراء الطبيعة، والصافي النجفي يعترف ضمنا في الرد على تلك الآراء بأنه متأثر كثيرا بشعر المتنبي وأيضا تلك الفلسفة والحكمة تسربت إلى شعره من خلال دراســـته العميقة للفلسفة التي درسها في المراكز العلمية والدينية أو تلك التي قرأها في

الكــتب يــضاف إلى ذلك البعد، تلك الشفافية التي أشتهر فيها، وأيضا سعة الإطلاع وولعــه الشديد بقراءة كتب الحكمة والفلسفة العربية الإسلامية القديمة، وكذلك ميله القــوي إلى نــتاج الشعراء المتصوفين والمعتزلة،فقد وجد في ذاك المخزون الكبير الذي يستند أليه وجعله في أبياته القليلة ليطير محلقا وناسجا فضاءا للحكمة والمعرفة والعلم في أفكــار وتــأملات فلسفية تفتح العقول التي تتأملها وتقودها إلى أسئلة عديدة، وكان الــصافي النجفي ذات يوم يصف الموقف المتقلب في مظاهر الطبيعة، عندما أخذ الثلج يتساقط والناس قد تجمعوا من حوله في حالة اندهاش، فقال :

لقد أصيب لحاف السما ببعض الفتوق
فاصبح القطن يهمي من ذا اللحاف العتيق

وقال أيضا واصفا جمال الطبيعة والبيئة في لبنان وسوريا في قصيدة فريدة اعتبرت من اجمل القصائد العربية التي تصف مواقع البيئة السورية الجميلة :

أيا "بقين" فيك الحسن يسبي
فمآبك غير غانية وصب
ضياء البدر أخفته شموس
تطل عليك من شرق وغرب
إلى "بقين" سمرت بألف قلب
وعدت إلى الشام بدون قلب

كمــا نظر عميقا إلى البيئة الفلاحية وكيف يستحوذ نظام الإقطاع على جهود الفلاحين الذين يواصلون الليل با النهار في عمل مضني دون الحصول على الحياة الحرة الكريمة، وهو يرى أن دوره التحريضي يقضي إن ينبه أبناء شعبه من الحيف الذي لحق بهم وكمن يضع أمامهم مشعل منير ليكشف عن سجف الظلام، كمن يمهد بذلك إلى الثورة :

رفقا بنفسك أيها الفلاح
تسعى وسعيك ليس فيه فلاح

هذي الجراح براحتيك عميقة
ونظيرها لك في الفؤاد جراح
عرق الجبين يسيل منك لآلئا
فيزان منه للغني وشاح

الشاعر الثوري المعارض

في رحلة عمره التي امتدت زهاء الثمانين عاما، كتب الصافي النجفي شعرا متميزا يضم بين دفتيه المواقف المتعارضة مع السلطة والمنتمية إلى الشعب، فقد نبذ التسلط العثماني وعاصر أدوار الحكم للملكي المتعاقبة على العراق، وكانت بداية المواجهة بينه وبين السلطة تتمثل في الموقف الوطني الذي اتخذه إبان الثورة العراقية الكبرى " ثورة عام ١٩٢٠ " تلك التي انطلقت شرارتها من جنوب العراق ردا على الاحتلال البريطاني الغاشم للبلاد ثم تطورت لتشمل كل مدن العراق دون استثناء وساهمت فيها القوى الوطنية وفي مقدمتهم رجال الدين النجباء ووجد الصافي النجفي نفسه مكلفا من قبل قيادة الثورة ليكون وسيلة الاتصال ونقل المعلومات بين القيادة وجماهير الثورة في النجف وما يجاورها من مدن أخرى، وقد تمكن من إيصال رسالة الثورة في مناهضة قوى الاحتلال ومطالبته بالاستقلال من خلال الكثير من القصائد الوطنية التي كتبها ودون فيها تفاصيل الثورة ومواقف الثوار والحوادث التي حصلت من المقاومة الباسلة والقتال الذي تكبدت فيه بريطانيا وقواتها افدح الخسائر وهي تواجه بترسانتها العسكرية شعبا اعزلا لا يملك سوى سلحة بدائية ولكنه يملك الأيمان ويسعى إلى الحرية، وعندما تمكنت بريطانيا من إخماد الثورة، كان الصافي النجفي من الأشخاص المطلوبين للاعتقال والمحاكمة ثم الصادر بحقهم عقوبة الشنق، وبصدد ذلك يقول :

ولئن أشنق تكن مقبرتي
منبرا يعلن جرم الإنجليز

ثم غـــادر العـــراق متخفيا نحو الأراضي الإيرانية، وظل من هناك يرسل قصائده الوطنية مساهما في تأجيج غضب الجماهير ونقمتها على وجود بريطانيا وقواتها والعملاء الـــذين كانـــوا ينفذون سياستها الغاشمة وهو يخاطب القوة المحتكمة إلى الفعل التسري المضاد لتطلعات الجماهير قائلا :

أيها القوة مهلا فاحذري
أن في التاريخ للناس خبر
وإلي أصغي قليلا و انظري
ومعي سيري ترى فيه العبر
كم هوة من قوة قبل الأجل
وعروش وشعوب ودول
بعد ما صالوا بجند وخول
إنهم بالسيف قاموا وعلوا
وبه أيضا من الأوج هووا

طـــاف مـــدنا ودولا عديدة منفيا مطاردا من أنظمة متتابعة تسلطت على حكم البلاد ورفعت الشعارات الكاذبة لتخدير عقول أبناء الشعب العراقي وساهمت في تثبيت أقدام المحتلين والدخلاء،اكثر من خمسين عاما قضاها بعيدا عن العراق تطلب رأسه جميع الحكـــومات، وتهاجم قصائده كل الحكومات، أرتحل منفيا إلى إيران والكويت وسوريا ولبنان،عرف الفاقة وشظف العيش في المنافي وعاش زاهدا متعففا، يكد ويكتب وينتظر بـــزوغ الأمل في وطنه، وعندما كان في لبنان أثناء الثورة العظيمة والمجيدة " ثورة مايس ١٩٤١ " ووصـــلته أنبائها وسيطرتها على مدن البلاد وهزيمة رموز الاستعمار البريطاني القبـــيح، كتب العديد من القصائد الثورية عنها و عمل مروجا لأخبارها، وقد تنبهت الـــسلطات البريطانية وحكام لبنان العملاء إلى خطورة صوته الوطني المدوي، فأمرت باعتقاله وزجه في السجن ببيروت، وقد كتب قصيدة رائعة يصور مشاعره وهمومه وهو يواجه قرار العملاء والخونة :

ولما علمت الذنب خدمة موطني
حلا السجن في عيني وطاب لي الشنق

وفي عـــام ١٩٥٨ فـــرح احمد الصافي النجفي بذاك التغيير السياسي وتصور أن بـــلاده ستتخلص من سيطرة الاستعمار ومن قبضة العملاء والخونة ولكن ذاك الحلم الكبير تهاوى رمادا بعد بروز أعاصير الحزبية العفنة وماجرته على البلاد من دمار وحقد اســـود همجي وجد فيه الصافي النجفي ردة كبيرة لاحدود لها، لم يختلف ليل الإنجليز الـــذي أحـــاط بالعـــراق نـــصف قـــرن عـــن لـــيل قاســـم ومـــا تـــبعه . النهاية المأساوية

واصـــل الـــصافي النجفي حياته الصعبة خارج حدود الوطن أقام إقامة طويلة في لبـــنان قريبا من مركز الثقافة ودور النشر كان يواصل طباعة دواوينه الشعرية ويترجم بعـــض الكتب عازفا عن العودة إلى العراق وهو يرى أن رياح الديكتاتورية العاتية قد هـــبت على بلاده، وهي لاتقيم وزنا للثقافة والحضارة، وكم طاف به هاجس الشوق والـــرغبة للعودة إلى ثرى العراق والسير في دروب النجف مدينته التي رأى فيها النور، لكـــنه كان يتراجع عن تنفيذ تلك الرغبة، لذلك وطن نفسه على العيش بقية حياته في لبـــنان الـــذي وجد فيه حظوة وتقديرا كبيرا من لدن رجال الدين الشيعة وفعاليات الصحافة والثقافة ودور النشر والمنتديات الأدبية،حاصرته الحرب الطائفية اللبنانية، كان يبحث عن الهدوء والآمان على ضفاف المتوسط، وفوق كورنيش لبنان أصابه رصاص الحـــرب فعاد إلى مدينته التي انطلق منها ليوارى في ثراها، تغنت قصائده بالوطن فيقول متباهيا بكعبة المجد والجمال :

إن البلاد كما الحسان تفاوتت حسنا
وأن عروسها بغداد

من رباعيات الخيام

أبدعت فينا بينات العِبر
وصُغتنا َيا ربي شتى الصور
فهل أطيق اليوم محو الذي
تركته في خلقتي من أثر

***

طبائع الأنفس ركّبتها
فكيف تجزي أنفسا صغتها
وكيف تفنى كاملا أو ترى
نقصا بنفس أنت صورتها

***

تخفي عن الناسَ سنا طلعتكَ
وكل ما في الكون من صنعتك
فأنت مُجلاه وأنت الذي
ترى بديع الصنع في آيتك

***

يا رب مهّد لي سبيل ِالرّشاد
واكتب لي الراحة بعد الجهاد
وأحي في نفسي المنى مثلما
يحيي موات الأرض صوب العهاد

***

لن يرجع المقدار فيما حكم
وحملك الهم يزيد الألم .
ولو حزنت العمر لن ينمحي
ما خطه في اللوح مر القلم

***

ولى الدجى قم هات كأس الشراب
كأنما الياقوت فيها مذاب
واحرق من العود بخورا وخذ
من غصنه المعطار واصنع رباب

***

الخمر توليك نعيم الخلود
ولذة الدنيا وأنس الوجود
تحرق مثل النار لكنها
تجعل نار الحزن ماء برود

***

عيشي من أجل الطلى مستحيل
فإنها تشفي فؤادي العليل
ما أعذب الساقي إذا قال لي
تناول الكأس ورأسي يميل

***

أولى بهذا القلب أن يخفقا
وفي ضرام الحب أن يحرقا
ما أضيع اليوم الذي مرّ بي
من غير أن أهوى و أن أعشقا

***

سارع الى اللذات قبل المنون
فالعمر يطويه مرور السنين
ولست كالأشجار إن قلمت
فروعها عادت رطاب الغصون

***

إن الألى ذاقوا حياة الرّغد
وأنجز الدهر لهم ما وعد
قد عصف الموت بهم فانطووا
واحتضنوا تحت تراب الأبد

***

نفسي خلت من أنس تلك الصحاب
لما غدوا ثاوين تحت التراب
في مجلس العمر شربنا الطلى
فلم يفق منا صريع الشراب

***

ولست مهما عشت أخشى العدم
وإنما أخشى حياة الألم
أعارني الله حياتي وعن
حقوقه استرداد هذا النسم

***

قالوا امتنع عن شرب بنت الكروم
فإنها تورث نار الجحيم
ولذتي في شربها ساعة
تعدل في عيني جنان النعيم

***

إن دارت الكأس ولذ الشراب
فكن رضيّ النفس بين الصحاب
واشرب فما يجديك هجر الطلى
إن كان مقدورا عليك العذاب

***

شيئان في الدّنيا هما أفضل
في كل ما تنوي وما تعمل
لا تتخذ كل الورى صاحبا
ولا تنل من كل ما يؤكل

***

لو كان لي قدرة رب مجيد
خلقت هذا الكون خلقا جديد
يكون فيه غير دنيا الأسى
دنيا يعيش الحر فيها سعيد

***

إذا بلغت المجد قالوا زنيم
وإن لزمت الدار قالوا لئيم
فجانب الناس ولا تلتمس
معرفة تورث حمل الهموم

***

خير لي العشق وكأس المدام
من ادعاء الزهد والإحتشام
لو كانت النار لمثلي خلت
جنات عدن من جميع الأنام

***

عبدك عاص أين منك الرضاء
وقلبه داج فأين الضياء
إن كانت الجنة مقصورة
على المطيعين فأين العطاء

***

اذن الحجا والفضل هذي العقول
ن حاولوا فهم القضاء الجليل
فحدثونا بعض أوهامهم
ثم احتواهم ليل نوم طويل

***

يا عالم الأسرار علم اليقين
يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار فئنا الى
ظلك فاقبل توبة التائبين

براءة الخيام من رباعياته !!
(وفتوى الشيخ المنجد)

في منتدى الكاشف فتوىً للشيخ محمد المنجد - وفقه الله - في الشاعر الشهير " عمر الخيّام "، هذا نصها :

عمر الخيام

الحمد لله :

١. هــو : أبو الفتح، عمر بن إبراهيم الخيَّامي النيسابوري، شاعر، فيلسوف، من أهل نيسابور، مولداً ووفاة .

٢. ولــد سنة ٤٠٨ ه، في قرية نيسابور، وتوفي ودفن فيها سنة ٥١٧ ه، وقيل : ٥١٥ ه

٣. كان عالماً بالرياضيات، والفَلَك، واللغة، والفقه، والتاريخ .

٤. ولنبوغه في علم الفلك، فقد عيِّن مديراً لمرصد بغداد، ولشدة اهتمامه بالفلسفة قُرن اسمه باسم ابن سينا - الذي كان له مقالات كفرية تُخرج عن الإسلام--.

٥. واشتهر كذلك بالشعر، ومن أشهر أشعاره " الرُّباعيات "، وهي مليئة بالكفر والإباحية والزندقة، ولا عجب إذا علمنا اهتمام الغرب بطباعتها ونشرها، وقد تــرجموها إلى لغــات عديدة مثل الإنجليزية، والفرنسية، والروسيَّة، والألمانية، وغيرها، وقد استفاد الإنجليز في نشر الفاحشة والرذيلة والتي دعا إليها الخيَّام في " رباعــياته "، وقــد نــشروا ذلك في الدول التي استعمروها كالهند وإيران، ناسبين ذلك الأمر إلى واحد من المسلمين بل ومن عظمائهم في زعمهم .

٦. ومِن أشعاره في الخمر – من الرباعيات – :

اشرب الراَح فهْي رُوح الرَّوْح
بلْسم النفس والحشا والمروح
وإذا ما دهاك طوفان همٍّ
فانْجُ فيها فذي سفينة نوح

٧. وفي إنكاره البعث بعد الموت يقول :

قم قبل غارة الأسى مبكرًا
وادع بها ورْديَّة تجلو الدُّجَى
فلستَ يا هذا الغبيُّ عسجدًا
حتى تُوارى في الثرى وتُخرجا

= العسجد : الذهب .

٨. وفي إباحياته وخلاعياته يقول :

ما اسطعتَ كن لبني الخلاعة تابعاً
واهدِم بناء الصوم والصلوات
واسمع عنِ الخيَّام خيرِ مقالة
إشرب وغنِّ وسِر إلى الخيرات

٩. وفي استهزائه بالشرع ووقاحته مع ربه، وموقفه من التوبة، يقول :

كلَّ يوم أنوي المتاب إذا ما
جاءني الليل عن كؤوس الشراب
فأتاني فصلُ الزهور وإني
فيه يا ربُّ تائبٌ عن متابي

١٠. ويرى بعض الباحثين كالزِّركلي أنه تاب من ذلك وحجّ، وبعضهم كعبد الحق فاضل يشكك في نسبة الرباعيات له !

وعلـــى كل حال : فالرباعيات لا تدل على أنه تاب، لأن فيها المجاهرة بالكفر والـــتحلل مـــن الفضائل، وفيها التبرّي من التوبة والإنابة، بل لا تدل على أن صاحبها يؤمن بالله واليوم الآخر .

والتـــشكيك في نـــسبتها إلى الخيام لا يقوى مع كثرة من نسبها إليه ودلّل على ذلك، والله أعلم بالحقائق .

وانظـــر في تـــرجمته : " الأعلام " للزركلي ٥ / ٣٨، و "معجم المؤلفين " لعمر رضا كحالة ٢ / ٥٤٩، و " عمر الخيام بين الكفر والإيمان " لإحسان حقي، و " ثورة الخيام " لعبد الحق فاضل . وصلى الله على نبينا محمد) .

اهـــ . الشيخ محمد صالح المنجد

قلـــتُ : وقد اطلعت على مقال للباحث بكري شيخ أمين – وفقه الله –، نشره في مجلـــة الحج، عدد محرم، ١٤٢٧هـ، أحببتُ نقله للإخوة هنا ؛ لما فيه من نظرة أخرى للرباعيات، منتظرًا فوائدهم (مع التنبيه إلى أن علامات التعجب مني) :

براءة الخيام من رباعياته !!

في كثير من بلاد العالم فنادق ومطاعم وملاهٍ ومراقص تحمل اسم (عمر الخيام) فقط، وغالباً ما تكون هذه المواطن أمكنة للعبث، والانحراف، والإثم، والمحرمات كأن صاحبها يشير -بشكل خفي- إلى العلاقة الوطيدة بين هذه التسمية وسلوك الخيام وآرائه.. أو كأن صاحب هذا الملهى لم ير تسمية موحية بالانفلات والانحراف أفضل مما يوحيه اسم (عمر الخيام) في الشرق أو في الغرب. ويقف الباحث أمام هذه الظاهرة مستغرباً، متعجباً، مندهشاً، ويتبادر إلى ذهنه أن عمر الخيام يُضرب به المثل في تعاطي السرور والخمور والفجور وأنه طوال حياته، ما كان يبالي بجنة أو نار، أو حساب أو عقاب، وإنما كان أبيقوريا يغتنم الساعة التي هوفيها.. وبعدها فليكن الطوفان، ولولا ذلك ما اختاره صاحب الملهى الليلي، أو المقهى أو المشرب عنواناً.

ويزيد هذا الظن تأكيداً وتثبيتاً انتشار آلاف الكتب في شتى لغات العالم، فيها أشعار منسوبة إلى عمر الخيام، تدعى ب(الرباعيات)، كثيراً ما تكون -هذه الرباعيات- مطبوعة على ورق صقيل فخم، في كل صفحة رباعية واحدة بالفارسية والعربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والأوردية والأسبانية ومعظم لغات العالم، وفي الصفحة المقابلة صورة رمزية لرجل عجوز، طاعن بالسن، أشيب الشعر، لحيته تغطي نصف صدره، وأمامه غادة حسناء، غراء، فرعاء، مصقول عوارضها، تسكب من كوز بيدها خمراً في كأس، وتقدمها إلى العجوز وبيدها الأخرى آلة طرب، وفي إطار الصورة طيور وبلابل، وزهر وعنادل، وأشجار وثمار.

والغريب في الأمر أن كتب الرباعيات منتشرة في كل مكتبات العالم، وهي في طبعات تكاد لا تحصى، وفي لغات الدنيا قاطبة، وكثيراً ما تختلف رباعيات طبعة عن أخرى في اللغة ذاتها، أو في اللغات المختلفة، وليس من المستغرب أن يتجاوز عددها في

شتى الطبعات ألفي رباعية، أو يزيد.

ويقف الباحث المدقق متسائلاً: أصحيح أن عمر الخيام، الفارسي، المسلم، كان رجلاً متهتكاً، أمضى حياته كما يصورون ويزعمون؟

أصحيح أنه نظم هذه الآلاف المؤلفة من الرباعيات الصارخة بالمجون والمعصية والفجور؟ بل كيف انتقلت هذه الأشعار الفارسية المحلية إلى معظم لغات العالم، ومن الذي نقلها، ونشرها، ورسمها وزينها وأرخص ثمنها ؟

ويعود الباحث إلى مراجعه، وكتب التراجم، يستقصي سيرة عمر الخيام ويستوضح شخصيته، ليعرفه على حقيقته، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه.

المفاجأة الكبرى التي تبلغ حد الصدمة تبدو حين يبدأ بقراءة سيرة هذا الرجل، فيرى أن اسمه عمر، وكنيته أبو الفتح، ولقبه غياث الدين، ووالده إبراهيم النيسابوري، وشهرته: الخيام، أو الخيامي، لاشتغاله بصنع الخيام.

اتفق أكثر المؤرخين على أنه ولد في نيسابور من أعمال خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي، وتوفي قبيل انتهاء الربع الأول من القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي، ويحدد خير الدين الزركلي في كتابه "الأعلام" وفاته بسنة ٥١٥ هجرية، الموافقة لسنة ١١٢١ للميلاد.

أما عن دراساته فيذكر المؤرخون أن كتب الفلسفة اليونانية المترجمة شائعة، ومؤلفات أرسطو طاليس وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزينون وأبيقور في الفلسفة الطبيعية والإلهية والرياضية؛ وما يتفرع عنها من منطق وطب وهندسة وأخلاق وسياسة وهيئة ميسرة بين الناس، والجدل محتدم حول آراء السفسطائيين والمشائين الرواقيين وغيرهم من أهل المذاهب الفلسفية كانت شائعة ومعروفة.

وفي عصره نضج علم الكلام، و شتد النزاع العلمي بين الأشاعرة والمعتزلة والحنابلة (!) والجبرية، وشاعت آراء الباطنية، وكثر الإقبال على التأليف في مختلف العلوم والفنون، وذاعت رسائل إخوان الصفا، وتعددت الفرق والطوائف، وكثر الأطباء والفلاسفة، وظهر أبو علي ابن سينا، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة، وألف حجة الإسلام (!) الغزالي كتباً في الرد على الفلسفة، وعظم أمر التصوف، وكثر القائلون بالجدل ووحدة الوجود، وتفرد نفر بآرائهم الحرة فاتهموا بالزندقة والإلحاد وصفوة القول: عاش الخيام في وسط علمي، وفي بيئة علمية وفنية، فعاصر زمرة من الفلاسفة والأطباء والمهندسين والرياضيين والفلكيين من بناة الأرصاد، وتتلمذ على نوابغ عصره من العلماء، وتردد إلى بعضهم، وتردد بعضهم إليه. وكثرت بينه وبينهم المجادلات والمحاورات والمراسلات في علوم شتى، وكان لأولئك الذين تتلمذ لهم وتتلمذوا عليه مكانة علمية عظيمة في عصره.

معاصروه جميعاً وصفوه بأحلى وأجمل وأرفع ما وصف به الرجال والعلماء، رفاق دربه وأصحابه وأترابه كانوا من خيرة الناس وأفضلهم. منهم الإمام أبو حامد الغزالي، مجدد المائة الخامسة للإسلام (!)، وصاحب (إحياء علوم الدين) ومنهم الوزير نظام الملك، وزير ملوك السلاجقة، وباني المدارس النظامية في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وجار الله محمود الزمخشري، صاحب التفسير المعروف باسم (الكشاف) وصاحب الكتب اللغوية، والإمام ظهير الدين البيهقي، صاحب كتاب (حكماء الإسلام). وكثيرون آخرون على هذا المستوى ناهيك عن صحبته لملوك عصره، أمثال جلال الدين ملكشاه، وألب أرسلان، وخاقان بخارى. وسواهم من أبناء مطلع القرن السادس الهجري.

. مؤرخو عصره وصفوه ب (الإمام) و(حجة الحق) و(وحكيم الدنيا وفيلسوفها) و(الدستور) و(ابن سينا الثاني) و(العالم الفلكي) و(الفقيه) و(العالم بالقراءات القرآنية)

و(الزاهد) و(المتصوف).

تُرى: هل يمكن أن يوصف إنسان على هذا القدر من العلم، والخلق، والزهد، والتقوى، والحكمة، وحسن مجالسة وعارفوه بتلك الأوصاف الرائعة.

لم يقل أحد من تلاميذه وشيوخه وأصحابه ورفاق دربه إنه كان زنديقاً، أو سكيراً، أو منحرفاً، حتى الشعر ذكروا أن له عدداً من الرباعيات في الزهد لا تزيد على بضع عشرة، جميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية، وهي قليلة ومحدودة، لا تتجاوز معاني الزهد، والشكوى من الأصحاب غير الأوفياء، والفقر، وهموم الحياة، والإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد.

يشهد على ذلك ما جاء في ترجمة حياته بتلك الكتب التي كتبت في حياته، والكتب التي كتبت بعد وفاته بقليل، منها: (جهار مقاله) لتلميذه أحمد بن عمر النظامي السمرقندي و(حواشي جهار مقاله) و(الزاجر للصغار عن معارضة الكبار) للزمخشري، و(حكماء الإسلام) للإمام أبي القاسم البيهقي، و(نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، و(فردوس التواريخ) لخسرو الأبرقوهي، و(عجائب المخلوقات) لعماد الدين زكريا القزويني، و(جامع التواريخ) لرشيد الدين، و(أخبار الحكماء) لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، و(كامل التواريخ) لابن الأثير، وسواها، وجميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية القليلة والمحدودة.

ويثور في الذهن سؤال ضخم كبير: كيف نسب إلى هذا الرجل هذا الكم الهائل من الرباعيات، وهو لم يقل إلا بضع عشرة رباعية؟ وكيف جعلت الأشعار عمر الخيام زنديقاً أو كالزنديق، وهو رفيق أكابر العلماء ونظيرهم؟ وكيف انتقلت هذه الأشعار إلى لغات العالم؟ ولماذا صورته بهذه التصاوير؟ ولماذا بذلت الرباعيات هذه البذل،

وغدت بمتناول كل يد؟

ونتساءل عن هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم كله منذ ما يزيد على مئة عام من عصرنا، ونحاول أن نعرف العوامل التي دفعت إلى انتشار هذه الأشعار الماجنة لشاعر مسلم.

كان أول من عرف الخيام من الفرنجة توماس هايد أستاذ العربية والعبرية في جامعة أوكسفورد، وتبعه المستشرق النمساوي هامر برغستل سنة ١٨١٨م، ثم غرس دوتاسي، وفي القرن التسع عشر ترجم اسير كور أوسلي رباعيتين، وإدوارد هارن بعض رباعيات، والفرنسي نيقولا السفير في طهران، وشبهه بحافظ الشيرازي، وبلغ عدد المترجمين للرباعيات في القرنين الماضيين أكثر من عشرين مترجماً، ومعظمهم من اليهود، والمؤلفين في الأدب العبري.

وفي سنة ١٨٥٩م نشر الشاعر الإنجليزي فيتز جيرالد الرباعيات شعراً، وبهذا الشعر انتشرت الرباعيات في جميع أصقاع العالم، وبدأ الناس يعرفون عمر الخيام، ويرددون شعره حتى راح يتغنى به آلاف الناس في شتى بقاع الأرض؟ وفي الحق: إن من يقرأ أشعار الإنجليزي فيتز جيرالد الرائعة المسبوكة بلغة كأنها السحر، ينجذب على مضمونها، ويسحر بأسلوبها وجمالها كل من يقرؤها.

وأعجب من هذا كله أن هذه الأشعار ترجمت من الإنجليزية إلى معظم لغات العالم، وما رباعيات الخيام العربية المغناة بالعربية، والتركية، والأوردية. والفرنسية، والروسية، وسائر اللغات الأخرى إلا ترجمة لرباعيات فيتزجيرالد، وليس لعمر الخيام الحقيقي يد فيها، ولا معرفة، ولا هو قائلها، بل لم تكن تخطر له على بال، وهو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

هذا التناقض العجيب بين رباعيات قال فيتز جيرالد إنها منسوبة لعمر الخيام

ودراسة موضوعية رصينة لشخصية عمر الخيام تظهر لنا أن في الأمر سراً.

ويكشف العلماء والباحثون السر، ويربطون بين حركة الاستعمار التي قويت واشتدت في القرن الثامن عشر، وما رافقها من حملات تبشيرية (!) وتنصيرية. زعم المبشرون أنهم وجدوا مخطوطة في جامعة أوكسفورد فيها رباعيات منسوبة إلى رجل يدعى ب(الخيام) كلها زندقة، ودعوة إلى السكر والعربدة، وسرعان ما ترجمها إلى الإنجليزية اليهودي (توماس ماير)، ثم تلقفها (فون هامر النمساوي) ونقلها إلى الألمانية حتى إذا حلت سنة ١٨٥٩ الميلادية وجدنا (فيتزجيرالد) اختار من الرباعيات ما شاء له الهوى، ونقلها بالمعنى شعراً إلى الإنجليزية، وكانت –كما يقولون– أشعاراً رائعة، وفي غاية الجمال فأعجب بها الناس، وانتقلت من الإنجليزية إلى معظم لغات العالم، حتى إلى الفارسية والعربية، وولد من خلالها شاعر جديد، اسمه: عمر الخيام لا يمت بصلة إلى عمر الخيام الفارسي الأصيل المسلم بصلة إلا بصلة الاسم، لا أكثر. وربح الاستعمار والمبشرون (!) ربحاً لا نظير له، فلقد أوهموا المشارقة (!) –بخاصة– أن من علمائهم الكبار من ينظم مثل هذه الأشعار، ويشرب هذه الخمور، ويفعل هذه الأفاعيل، إذن، فلا حرج عليهم أن يقلدوا عالمهم، ويتبعوا فلسفته شبراً بشبر، وذراعاً بذراع..

وانطلت الحيلة أو اللعبة على كثير من الناس، فإذا جمهور غفير من المخدوعين يسلك سلوك (خيام فيتزجيرالد) ويتفلت شيئاً فشيئاً من تعاليم الدين، ويغدو في آخر العمر مدمن شراب، مريد شيطان رجيم.

كان أول من نقلها إلى العربية وديع البستاني مترجماً لأشعار فيتزجيرالد، وأعقبه محمد السباعي المصري، ثم العراقي محمد الهاشمي نقلها من الفارسية، ومثله أحمد الصافي النجفي، وجميل صدقي الزهاوي، وأحمد زكي أبو شادي، وتوفيق مفرج.

لكـــن الطامة الكبرى هي التي ترجمها من الإنجيزية الشاعر المصري أحمد رامي. وكانـــت ترجمته من الجمال الفني والعبارات المغرية أشبه بترجمة فيتزجيرالد السحرية، وزادهـــا حـــلاوة أســـلوب وقبول عند كثير من دعاة الإلحاد غناء أم كلثوم لها، رغم تبديلها عدداً من الكلمات الأصلية.

وقـــد يقول قائل: ومن ناظم تلك الرباعيات المصورة المطبوعة، والتي وجدت في أكسفورد، وترجمها ماير وهامر وفيتز جيرالد وسواهم؟

والجـــواب سهل ويسير، فما أكثر دعاة الإلحاد في كل زمان ومكان، وما أكثر الوضـــاعين والمنـــتحلين والمخـــتلقين، وهل من العسير أن ينحل الزنادقة والوضاعون والملحـــدون شعرًا على لسان عمر الخيام وغير الخيام ؟ وهل ننسى ما نحل على لسان الجاهلـــيين، وكم وضع على لسان السموءل شعراً هو منه براء، وكم وضع على لسان الرســـول الكـــريم أحاديـــث زعموا أنها نبوية، والنبي الكريم منها براء، ولم يسلم من الوضـــاعين والكذابين شاعر، أو حاكم، أو خليفة، أو نبي، حتى آدم عليه السلام قال شعراً، وأقوالاً وأفعالاً ما أنزل الله بها من سلطان، ولا خطرت على بال، ولا مرت على شفتي إنسان.

فهـــل ينتبه العقلاء إلى هذه المخاطر، والافتراءات، والأكاذيب على لسان نبينا العظيم، وعلى الشعراء، والحكام، والعلماء، ورجال الدين (!)، والتاريخ العربي من أوله لآخـــره، ويدركـــون ما يحاك لهم هنا وهناك، وما يلبس الأعداء من لبوس؟) . انتهى مقال الأستاذ بكري .

ثم اطلعـــتُ على ما كتبه الباحث الراحل أنور الجندي – رحمه الله – في كتابه " أصـــالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعَلمانية والتنوير الغربي " (ص ٤٥٦- ٤٦٢) عن رباعيات الخيام، وأظن الأستاذ بكري شيخ أمين قد استفاد منه . وأنا أنقله

بطوله لأهميته :

قال - رحمه الله - :

أشعار عمر الخيّام

استطارت شهرة العالم الفلكي الإسلامي عمر الخيام فجأة، بعد أن كان واحداً من العلماء المسلمين في مجال الكشوف الجغرافية، ورصد الكواكب، فأصبح شاعراً خطيراً في مجال الدعوة إلى الخمر والإباحية والانطلاق، وذلك عندما نشر (فيتزجرالد) الشاعر الإنجليزي مجموعة من الشعر الفارسي الملفق عام ١٥٨٩ نسبها إلى الخيام وقد جند الشاعر الإنجليزي (فيتزجرالد) عشرات من أساتذة الأدب في الجامعات الإنجليزية وفي مقدمتهم (أ.ج. آربرى) لهذه المؤامرة الخبيثة.

ومنذ ذلك الوقت حرصت القوى التغريبية على ترجمتها إلى اللغة العربية، فسلط عليها عدد كبير من الشعراء العرب الذين ترجموها، وفي مقدمتهم البستاني والزهاوي ورامي والصافي النجفي والسباعي وأبوشادي ومحمد الهاشمي.

وأولتها الصحف اهتماماً كبيراً، وقد تبع ذلك اهتمام بالغ وتركيز أشد خطورة على اسم "الخيام" دفعاً لهذا التيار الجديد وتعميقاً له، فصدرت طوابع البريد في مختلف أنحاء أوربا باسمه وصورته، وأنشأت الأندية الليلية الصاخبة تحت لوائه، وكتبوا اسمه على أطراف البطاقات، (كارت بوستال) تعظيماً وتكريماً لقصائد التحلل والمجون المنسوبة إليه.

كشف الزيف:

وقد كان لهذا التيار أثره في التعريف من جديد بالخيام في نظر الشرقيين (عرباً ومسلمين) بوصفه شاعراً ماجناً عربيداً يدعو إلى اللذة، وقد استمر ذلك زمناً طويلاً،

قبل أن تكشف الدراسات الأصيلة، والأبحاث العلمية الخالصة من الزيف عن كذب هذه الدعاوى العريضة وفسادها، وتبين أن الخيام لم يكن هو قائل كل هذا الشعر الذي نسب إليه، و لم يكن هو في حياته إنساناً خليعاً ولا داعية إلى إباحية.

فيتزجرالد هل زيف ؟

إن المراجعات الدقيقة التي أجريت منذ اللحظة الأولى كشفت عن أن (فيتزجرالد) حين وصلته المخطوطات الفارسية والهندية لم تكن بالوضوح الذي يمركزها كلها حول عمر الخيام.

وإن هناك أخطاء بالغة في الترجمة، كذلك فإن هناك إشارة واضحة إلى أنه استوحى هذه النصوص و لم يترجمها، كذلك فإن الدكتور (ميلار) نشر مقالاً في جريدة المورننج بوست قال فيها: إن شخصية عمر الخيام محاطة بغلالة من غموض وإيهام، وقد نسجت حوله أساطير غامضة تدعو إلى الشك في وجوده،

وجاء ببراهين أنكر فيها نسبة هذا الشعر إلى عمر الخيام. وأشار الأستاذ (همايون) في مقال له ترجم في مجلة الثقافة ١٤ مارس ١٩٣٩ إلى الشك في نسبة هذا الشعر إلى عمر الخيام، وأن عدداً كثيراً من قصائده منسوب إلى شعراء آخرين وكثير منهم أقدم عهداً من عمر الخيام، وهنا تبدو (دهشة) المراجعين لهذا التركيز على عمر الخيام، بينما هناك من شعراء إيران أمثال: حافظ وسعدي والعطار من لم تتهيأ لهم مثل هذه الفرصة.

وبدت الشكوك تتردد حول اتجاه هذه الرباعيات الخمسمائة المنسوبة إلى عمر الخيام وما تحمله من دعوة إلى التغزل بالخمر وحث الناس على تعاطيها والقول بأنها الدواء الناجح لآلام النفس، بينما تكشف حياة عمر الخيام عن شخصية رجل مسلم عميق الإيمان بالله، متصرف بكليته إلى العلوم الفلكية.

ومنذ ذلك الوقت الباكر كانت الإرهاصات كلها تشير بالشك، وأصبح الاتهام حول هذه الرباعيات واضحاً، بل إن واحداً من مترجمي هذه الرباعيات وهو أحمد حامد الصراف كتب تحت عنوان (هل كان عمر الخيام سكيراً) مقالاً في مجلة المقتطف ١٩٢٥ حاول من خلاله أن يصل إلى مفهوم باطني زائف يختلف عن مفهوم الإسلام في موضوع العقاب والجزاء والمغفرة، والإرادة الجبرية مما تحمله فلسفات الغنوصية القديمة، ولكنه كان شاكاً في نسبة هذا الشعر إلى الخيام.

كذلك أشار لطفي جمعة (البلاغ ٨ مايو) إلى أنه لم يهتد أحد بعد إلى العدد الصحيح لتلك الرباعيات ولم يتأكد أحد من صحة ما هو منسوب منها كذباً إلى الخيام، وقد استمر إلقاء الضوء على هذه الظاهرة سنوات طويلة لم يتوقف.

وقد أشار دكتور محمد موسى هنداوي في محاضرة له ألقاها في مارس ١٩٢٨ إلى أن الرباعيات تحتوي على كثير من الاختلاف والانتحال، مما يجعل (الخيام) مفترى عليه في تاريخ الأدب.

ذلك العالم الرياضي العاقل المفلسف الحكيم المالك كل مشاعره، خاصة في الرباعية التي تدعو إلى احتساء الخمر وتمجيد الكأس إلى جوار رباعية أخرى فيها الاعتراف بالإله الواحد وفي الالتجاء إليه، فكيف تستقيم النزوة الطائشة بجوار الحكمة السديدة.

إن الذين اتهموا أسرفوا في الاتهام حتى حاكموا الخيام عن رباعيات لم تثبت نسبتها إليه، فضلاً عن التزيد فيما نشروه.

وقد أشار إلى ما أورده (عبدالحق فاضل) في بحثه عن الخيام قوله: ومن الحق علي أن أنبه إلى أمر هو أني لست على يقين من أن هذه الرباعيات التي تقرأ هي رباعيات الخيام حقاً، فما من إنسان يسعه أن يجزم بأن معشار تلك الرباعيات التي تعد بالألوف

والتي تكتظ بها النسخ المختلفة هي للخيام حقاً.

وقـال الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة في بحث مستفيض عن الخيام إن هذا العـالم الفلكي اشترك في إصلاح التقويم الفارسي، وفي بناء المرصد للسلطان ملكشاه، والذي ترجع شهرته الكبرى عند المؤرخين المعاصرين إلى علو قدمه في الرياضيات وفي كثير من فروع العلم.

لذا نجد تلميذه نظامي يضعه في القسم الخاص بالمنجمين والفلكيين، لا في القسم الخـاص بالـشعراء، ويضعه البيهقي المؤرخ المعاصر للخيام والذي عرفه شخصياً بأنه الفيلسوف حجة الحق.

وهـذان المؤرخان لا يذكران شيئاً يدل على أنه شاعر، فضلاً أن ينسبا إليه شيئاً من الرباعيات المنشورة التي تحمل اسمه.

ولكـن بعد أن انقضى على وفاة الخيام أكثر من قرنين، أخذت تظهر مجموعات الـرباعيات التي تنسب إليه، وأخذ حجمها يتزايد مع الزمن، وإن كان لم يذكر له قبل ذلك رباعيات ذات محتوى شكي إلحادي.

وإذا صـرفنا النظـر عما في مجموعات الرباعيات التي ليس لدينا ما يثبت نسبها للخيام إثباتاً يقينياً، لأن كثيراً منها كما بين ذلك تشوكوفسكي في بحث نقدي له عام ١٨٩٨ حـيث ينـسب بحجة أقدم أو أحسن أو مساوية إلى شعراء آخرين، فإن ما في المراجع غير المباشرة، من ربعيات تنسب للخيام تدعو إلى الاعتقاد بأن له رباعيات من التي أضيفت إليه فيما بعد.

وهكذا تعددت الكتابات في رد نسبة هذا الشعر إلى الخيام حتى تصل إلى البحث الذي قال (الكلمة الحاسمة) في هذا الاتهام، وهو " كشف اللثام عن رباعيات الخيام " للسيد أبو النصر مبشر الطرازي الحسني والذي يقول إنه لم تكن للخيام رباعيات تزيد

علـــى عدة رباعيات يقال إنه أنشأها ترفيها للنفس، وقد زاد عليها المغرضون رباعيات كـــثيرة، وضـــعوها أو أخذوها من هنا وهناك، ونسبوها إليه، هذه الرباعيات المتنكرة المخزية ليست من نظم عمر الخيام، لأنها لا تتفق ومكانته العلمية.

ويعجـــب الـــسيد الطـــرازي (رحمه الله) كيف يعرف عمر الخيام لا عن طريق مكانـــته العلمية الحقة، وإنما عن طريق رباعيات مزعومة، عبروا عنها برباعيات الخيام ووصـــفوها بأنها فلسفة الخيام، فمنهم من قال إنه (أبيقوري النزعة والميول)، ومنهم من سمـــاه وايلد الشرق (نسبة إلى أوسكار وايلد الكاتب الجانح) ومنهم من ذهب إلى أنه معري المذهب، ومنهم من رأى أنه إباحي وأنه مستهزئ بأحكام الدين.

كمـــا طعن فيه البعض بأنه (دهري) وزعم البعض أنه تناسخي وظن بعض أنه باطني، ولا أدري أو تشاؤمي، وجبري، وادعى آخر أنه ثائر على كل شيء، على الدين وعلى الأخلاق وعلى العقل أيضاً.

وليس لهم دليل على ذلك إلا تلك الرباعيات التي نسبت إلى شخصه، وظنوا أنها من الحكيم عمر الخيام النيسابوري ومقولاته وآثاره.

ولقـــد كـــان عليهم أن يعرفوا الحكيم النيسابوري تحت ضوء الفحص العلمي الـــصحيح، والـــنقد التاريخـــي الموثـــوق معـــتمدين علـــى آثـــاره ومقـــولاته. ويـــصل الـــسيد الطـــرازي إلى القول بانتحال تلك الرباعيات بدلائل كثيرة ولا سيما التناقض بين معانيها واتجاهاتها، ويعجب أن يعرب عمر الخيام في ضوء رباعيات مترجمة علـــى يـــد شاعر إنجليزي هو (إدوارد فيتزجرالد) تلك الترجمة التي قام بها عام ١٨٥٦ ونشرها في الغرب على أوسع نطاق، وقد انساق المسلمون وراء تلك الفلسفة المزعومة والخداعة، وتأثروا بما فيها من المعاني المثيرة والاتجاهات المغرية والتحليلات الباطلة.

وكـــشف الـــباحث ما وراء هذه من هدف حين قال: إن أوائل الغربيين الذين

اهتموا بالرباعيات إنما كانت تدفعهم فكرة استعمارية معتمدين في ذلك على محض مصادفة ساقها القدر وقد خدمهم المستشرق فيتزجرالد الذي تلقى الإشارة من قبل السادة الإنجليز.

ويقول دكتور محمد موسى هنداوي: أنا مع الطرازي في أن الاستعمار لا يترك وسيلة إلا استخدمها ولا سلاحاً إلا استعمله.

ويقول الطرازي:" وإن الأغراض المقنعة وراء هذا هي إشاعة روح فن الرباعيات عن طريق شعر منسوب إلى مسلم ورباعيات مسكرة خليعة فيها دعوة صريحة وصارخة إلى تناول الصهباء ومجالسة الغادة الحسناء وإمرار الحياة بالعطالة والجمود والكسل والخمول والحرية المطلقة التي لا قيود فيها وفي ذلك مهاجمة واضحة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف".

ويقول: إن الذين قاموا بذلك هم خواص الغربيين الماهرين ممن لهم علاقة بالتبشير المسيحي ومنهم المستشرق النمساوي هافر يرغستل الذي ترجم ٢٥ رباعية منها وكلها تخالف تعاليم الإسلام وتخدش مقدساته وذلك في كتاب (تاريخ الدولة العثمانية).

ولقد وجدوا في هذه الرباعيات بغيتهم المنشودة في الطعن على الدين الإسلامي، والاستهزاء بتعاليمه المقدسة، ولا سيما الجرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين في ذلك إلى مقولات -ولو موضوعة- منسوبة إلى رجل عظيم من عظماء الشرق وعالم من علماء الإسلام، كما كسبوا مبالغ باهظة عن طريق بيع ترجماتهم وكتبهم في الشرق والغرب . ويقول الأستاذ الطرازي: كان فيتزجرالد الشاعر الماهر الإنجليزي قد تلقى الإشارة من قبل بعض ساسة الإنجليز، فقدم إلى المستعمر المحتال خدمة مشكورة، ولكن تحت ستار الخدمة للأدب الغربي، وذلك بترجمة تلك الرباعيات

إلى النظم الإنجليزي، وحذا حذوه (زوكوفسكي) المستشرق الروسي وقد تفرد فيتزجرالد بميزة خاصة، فقد صور الرباعيات المستنكرة المخزية الخليعة بصورة خلابة، وضمنها في كلمات إنجليزية منظومة جذابة، بحيث تخلب قلوب أهل الشرق، ولا سيما الشباب الناشيء ورجال المستقبل، وتكسب اهتمامهم نحوها من حيث طلاوتها اللفظية أولاً، والشهوات والنزعات النفسية، ثانياً.

وقد خدع فيتزجيرالد الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية في ثوب ثقافي أدبي.

ونجح معه الإنجليز بدهائهم المعروف في السياسة الاستعمارية في نشر هذه السموم الفتاكة بين أبناء الشرق عامة، وخاصة أبناء مستعمرة الهند، وجارتها إيران تحت ستار الأدب، ودعاهم جميعاً إلى تناول الخمور ومغازلة الحسان وملازمة السرور والغناء ومجانبة السعي والعمل، وحثهم على الإباحية والزندقة بدعوى الحرية المطلقة، الأمر الذي دفع الشرق إلى ما دفعه من التأخر وجعله مستعداً لقبول تدخل المستعمر في شئونه الاقتصادية أولاً، والسياسية ثانياً، ومما أدى إلى تأخر طائفة من الشرقيين، وفساد أخلاقهم، وابتعادهم عن كسب العلوم والفنون.

وقد تمكنوا ونجحوا في تنفيذ خدعتهم في صفوف أبناء الشرق، ودفعوهم إلى التقدير والإعجاب بتلك الترجمة الخادعة للرباعيات حيث سارعوا إلى ترجمتها إلى العربية والأوردية.

ولقد حاولت الرباعيات أن تحيي بذكاء ورقة تعاليم الباطنية وأتباع حسن الصباح من إباحية شرب الخمر وجميع الملذات، وإنكار النبوات والمعجزات، والقول بقدم العالم وإبطال القول بالمعاد والنشر من القبور، وكون الجنة هي نعيم الدنيا، ووصايا أخرى ترمي إلى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الإلحاد.

ويــؤكد الأستاذ الطرازي أنه ليس هناك أي سند تاريخي أو دليل علمي موثوق يثبت صدور تلك الرباعيات، ولا سيما المستنكرة الخليعة منها، عن الحكيم عمر الخيام النيــسابوري، وأن هذه الرباعيات التي نسبوها إليه جمعوها من هنا وهناك وطبعوها في الشرق والغرب.

ولــو كــان للخيام رباعيات مثل هذه الرباعيات -ولا سيما المستنكرة الخليعة الخمــرية- لمــا سكت عن روايتها المؤرخون الأقدمون، حيث لا توجد نسخة مدونة لرباعيات الخيام، إلا ما دون بعد مرور ثلاثة قرون ونصف قرن من وفاته، وهي النسخ المعــروفة بنسخة بودليان المحفوظة في أوكسفورد، وهم لا يعرفون مصدر هذه النسخة التي أخذ منها صاحبها، الأمر الذي يدل على أنها موضوعة.

ويلخــص الأستاذ عبداللطيف الجوهري معلقاً على كتاب الشيخ الطرازي أهم الخطوط العامة:

أولاً: انخــداع الشرقيين ولا سيما الخياميين المتطرفين، رجاء تخليصهم مما سموه (فلــسفة الخــيام) التي دفعت بهم إلى حضيض الأهواء والأوهام وساقتهم نحو الفساد والانحــلال، ورمت بهم في مسالك الجهل والضلال، مع التنبيه على لعبة أعداء الإسلام ورجال الاستعمار وما لهم من دور خفي دقيق في هذا المضمار.

ثانــياً: لم يشر أحد من أصحاب التراجم إلى أن الخيام عرف بأنه يقرض الشعر حــتى الإشارات الضعيفة التي وردت، تدل على أنه إن كان له شعر فلا يمكن بحال أن يــنحدر إلى مستوى الرباعيات الخارجة، والتي تنسب إليه بلا حجة واضحة، وهو من هو، الحكيم الذي يجالس الخلفاء وينتج الرسائل في التوحيد والفقه والرياضات.

ثالثاً: رأي الغربيون أن معاني تلك الرباعيات وأهدافها متفقة مع أهواء الغرب في شــرب الخمر ومصاحبة الغانيات وإمرار الحياة بحرية مطلقة مزعومة، ووجد المختصون

بـــشئون التبشير النصراني في الغرب في هذه الرباعيات بغيتهم المنشودة، في الطعن على الـــدين الإسلامي والاستهزاء بتعاليمه القدسية، ولا سيما الجرأة على الرسول صلى الله عليه وسلم وجدوا بغيتهم عن طريق عظيم شرقي مسلم.) . انتهى كلام الأستاذ أنور - رحمه الله - .

وليُلاحظ أنه كان من الأولى استبدال كلمة " الشرقيين " ب " المسلمين "، لكنه جرى على عادة أبناء عصره . والله الهادي .

القيم والعادات الاجتماعية

فى مربعات ابن عروس

صابر محمد فرج

يقـــول عالما الاجتماع الأمريكيان مكيفر وبيج : «إنه لا يرجى للنظم السائدة والـــروابط أى انتظام بمعنى الكلمة إلا إذا ارتكزت واعتمدت على مركب معتمد من صنوف مختلفة من العادات وأساليب السلوك» (١).

فالعـــادات إذن ســـلطة المجتمع غير المدونة فى قوانين أو دساتير وهى محفوظة فى صـــدور البـــشر وتحيط بالإنسان فى كل مناسبة وفى جميع تعاملاته مع غيره في المجتمع، ومـــن هنا تتضح الأهمية العظمى للعادات وذلك لتدخلها فى سائر نواحى الحياة، وتعتبر العادات الاجتماعية «العقل الجمعى» أو ما يسميه (سمنر) روح الجماعة.

ومـــن مميزات العادات الاجتماعية أنها ذات سلطة وسلطان على الأفراد، فهى تلزم أفراد المجتمع، ويجد الفرد فى طاعتها راحةً.

وكـــل مجتمع له عاداته الاجتماعية التى تتناغم مع القيم التى اعتنقها ومعايير الخير والشر، الصواب والخطأ، وقد يرى مجتمع ما أن بعض العادات عادية ويراها مجتمع آخر شاذة، مثلما قال المويلحى فى حديث عيسى بن هشام : ولا يتحتم أن ما يكون ذا نفع عند الغربيين يكون له نفع عند الشرقيين والعادات الاجتماعية مرغوب فيها ومحببة إلى الأفراد، ولعملية التنشئة الاجتماعية أهمية كبيرة فى ثبات تلك العادات التى تصبح مقبولة مـــن الجميع، ومن يخرج عليها وينحرف عنها يتعرض لعقوبات الرأى الجمعى بمختلف أنواع التحقير الاجتماعى.

---

(١) مكيفر وبيج، المجتمع، ترجمة : د. علي أحمد عيسى، ص ٤١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون.

دور الشاعر فى تدعيم القيم والعادات الاجتماعية :

عندما يضع المجتمع قيمه ومثله وعاداته، نجد الفنان صاحب المشاعر الرقيقة يجرى وراء رغبته المباشرة نحو الإصلاح من نقائص المجتمع ويعتبر ذلك الخلل مثلبة يجب الوقوف أمامها ومحاربتها، وهذا ما فعله «ابن عروس» فى مربعاته والتى ضمنها المعانى الأصيلة للقيم والمثل، ولقد تنوعت فى مصر أنواع الكتابة الأدبية ولكن براعة شاعرنا التى أبدعت هذه المربعات تقف وحدها شامخة وذات دلالة على الحس القومى بمشكلات المجتمع، ولما كان حيز المربعة لا يسمح بالاستهلال وإنما بالمباشرة والدخول فى صميم الموضوع مع التركيز والتكثيف، والاستغناء عن كل ما هو زائد / الثرثرة جعلها تقترب بل تكون هى النموذج الأمثل للقصيدة الومضة.

الدعوة إلى القيم المثالية :

يقول «إبراهيم حلمى» [٢] هناك أنواع من القيم تسمى بالقيم المثالية التى يحس الناس استحالة تحقيقها بصورة كاملة مثل القيم التى تدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، وقد يعجز الفرد فى الواقع عن الالتزام بها، ولكن مع ذلك، إذا تبناها فإنه يعدل كثيراً من سلوكه. مثلما يقول «ابن عروس» :

قلل كلامك وخليك
فى كل محفل موقر
وأحسن لمن كان يؤذيك
بالسوء فى كل محضر

كما أن مربعاته تدعو إلى فضيلة الخير والبعد عن الشر وتلك رسالة سامية، فيقول :

اللى على الخير هنيه

(٢) القيم فى مواويل يوسف شتا، مجلة الفنون الشعبية، العدد ١٩٩٦/٥٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وبشره بالغنيمة
واللى على الشر عزيه
بكره يلاقى الهزيمه

وإكرام الضيف قيمة وعادة وسلوك متبع وكامن فى الضمير العربى، ويؤكد عليه «ابن عروس».

الجود ما هواش بمال
ولا بلبس القماشى
دا طبع فى الشخص سلسال
لا هو بماله ولا شى

ويقــول المثل العربى (القناعة كنز لا يفنى) ويجىء ابن عروس ليؤكده من خلال مربعاته الرائعة :

كسرة من الزاد تكفيك
وتبقى نفسك عفيفة
والقبر بكره يطويك
وتنام فى جار الخليفة

أمــا عــن قــيمة الصدق، فحدث ولا حرج، قال تعالى (ليسأل الصادقين عن صــدقهم) وقال الشاعر القديم «وفى الصدق منجاة من الشر فاصدق» وعدم الصدق رذيلة، وشهادة الزور من ضمن رذائل الكذب والتى يحقرها ويحقر فاعلها شاعرنــــا «ابن عروس» فى مربعه :

ما أشقاك يا شاهد الزور
فى الحشر حالك يحزّن
ذنبك لدى الناس مشهور
فى يوم بيان المخزّن

والتــرابط الأســرى قوة للمجتمع ويقف أمامنا المثل الشعبى (أهلك لا تهلك)

فيجيء شاعرنا «ابن عروس» ليقول :

ما ينجدك غير أهلك
ولا ينفعك غير مالك
واحلف يمين بعد أمك
حبيب م النسا ما بقا لك

ومن ضمن المربعات التى تنفر من لرذائل ويحذرنا فيها شعرنا من الإنسان الخائن / البغيض.. والذى لايحمل لك سوى العداوة، فيقول :

من يبغضك لم يحبك
ولو طعمتو الحلاوه
السن للسن ضاحك
والقلب كله عداوه

ونعتقد أن الفنان الشعبى تأثر بهذا المربع فى مواله السباعى(٣)

صاحبت إنسان وعينه للطمع فاتحه
بيعمل أطرش وودنه للسمع فاتحه
عن الحلال صام وبطنه للحرام فاتحه
أتريه مكروه وعلى فعله الخلايق شاهده
بينضح المر ولا عمره بينضح شهد
ومهما احترمته وأكلته المروق شهد
خوان للعهد ولا يقرا معاك فاتحه

ومن خلال حكمة الشعب المصرى الأصيلة / الأمثال الشعبية.. المتضمنة للقيم، يعيد لنا «ابن عروس» صياغة الحكم والأمثال فى مربعاته، فمثلا يتخذ معنى المثل الشعبى (علمت فيك والطبع فيك غالب، وديل الكلب لم ينعدل ولو علقوا فيه قالب) فيقول:

نصحتك ما إتنصحت
والطبع فيك غالب

(٣) مرجع سابق، ص ٥٧.

وديل الكلب لم يتعدل
لو حطوا فيه قالب

وكما يقول المثل (لسانك حصانك إن صنته صانك) يقول «ابن عروس» :

صابونة العدو ما ترغيش
وان رغت ياللا السلامه
إن قعدت فى مطرح ما ترغيش
حتى تقوم بالسلامه

ويجيء الفنان الشعبى بعد أجيال ليقول :

زلة لسانك تسقطك من عين كل أهل كمال
واعلم بأن الرجال ما بتتقلش بمال
لو كنت تقل الجبال ع الأرض ما تعلم

وينبه ابن عروس أفراد مجتمعه بالبعد عن النذل صاحب الخصال الذميمة، فيقول:

النذل له طعم مالح
وله خصايل ذميمه
القرب منه فضايح
والبعد عنه غنيمه

أما الشاعر الشعبى المتأثر يقول «ابن عروس» فيقول فى مواله:

فى النذل هات العصا العوجه وانزل دق
اكمنه تعبان انزل فوق دماغه دق
ما عرفشى طعم الشرف ولا حتى طعمه داق
لا بينفعك فى الشتا ولا يكرمك في الصيف
شاطر فى أكل الحرام زى اللهيب فى السف
تملى سقعان ومكرمش فى عز الصيف
ولا تلتقى ضيف على بابهم فى مره دق(٤)

---

(٤) مرجع سابق، ص ٥١.

وابـــن عروس يلتمس العذر لمن يوافق على غير الحقيقة، ويعمل بمبدأ الضرورات تبيح المحظورات ولكنه يطالب بعلاج وإصلاح هذه الآفة التى تضر بالمجتمع فيقول :

طبيبى بالعجل الحق هات لى دواك الموافق
فيه ناس كتير بتعرف الحق ولجل الضرورة توافق

كما أن التطلعات دائما ما تصيب أفراد المجتمع لذلك يدعونا إلى عيشة البساطة والقناعة ويذكرنا بالمثل الشائع (على قد لحافك مد رجليك) :

كل عيشك بملحك وفجلك وعيش عيشة جدودك
واتمد على قد رجلك بلا تزيد عن حدودك

والإنـــسان المصرى الصبور دائما ما يتحمل المصائب ويصبر على كل الأحوال وهنا يستدعى «ابن عروس» المثل الشائع (الصبر مفتاح الفرج) فيقول فى مربعه :

لا أنام على الشوك عريان
واصبر على ما جرالى
واصبر عليك يا زمان
حتى ينعدل حالى

ويجىء بعده الشاعر الشعبى وبنفس المعنى فيقول :(٥)

أمشى على الشوك حفيان
واضحك مع اللى جفانى
واصبر على ظلم الايام
لمن ينعدل زمانى

والكلمـــات هى نفس الكلمات إلى حد كبير ولكننا نجد شاعرنا «ابن عروس» دون الآخر مع أن الكلمات واحدة، ويرجع ذلك إلى مقدرة الشاعر فى إحداث المجاورة الموحية والشائقة / المناسبات للكلمات.

---

(٥) ٥- مرجع سابق، ص ٥٩.

ومن المفارقات فى هذا المجال أن زين الدولة الحسين بن عزيز أبى الكرم قال شعرا فى مجلس الملك الصالح المتوفى سنة ٧٤٦هـ. وجمع متضادين وهما النار والماء فى جوانحه ودلل على مهارته فى صياغة هذا المعنى فقال :

وإذا تشب النار بين أضالعى
قابلتها من أدمعى بسيول
فأنا الغريق بل الحريق أموت فى
هذا وذا كذبالة القنديل

وفى نفس المجلس أنشد أحد عوام بغداد من الكان كان نفس المعنى، واستعمل نفس الكلمات، فجاء شعره العامى أروع وأدق :

النار بين ضلوعى وأنا غريق مدامعى
كأنى فتيلة قنديل أموت حريق وغريق(٦)

والشاعر العامى هنا أعطى للكلمات المتداولة، لغة شاعرية هامسة، كانت قليلة التأثير قبل استعمالها فى شعره.

وهكذا نجد أن «ابن عروس» يأخذ من الناس فلسفتهم وحكمتهم ثم يردهما إليهم بمربعاته السريعة القصيرة / الموجزة / الطلقة فتهزهم هزاً. ونعتقد فى نهاية هذه الإطلالة أنه من الضرورى أن نوجه نظر القارئ إلى أنه من الضرورى فى العامية بالذات تكون الأذن مقياس صحة الوزن، لأن اللسان العامى قد لا يشبع مخارج الحروف مثل الكتابة وقد يلجأ إلى الحذف والإدغام ويهتم بالنطق.

(أ) اعتمد المقال على كتاب «مربعات ابن عروس»، دراسة وتحقيق : مسعود شومان.

---

(٦) ٦- التراث الشعبى، العدد ٦، بغداد، ١٩٧، ص١٨٣.

مختارات من مربعات ابن عروس

من الشعر الشعبي

أنا باوَحِّد اللي خلق الناس
خلق مسلمين ونصارى
وناس نامت على فُرش وكُناس
وناس ع المعايش حيارى

طبيب الجرايح قوم اِلحق
وهات لي الدوا اللي يوافق
فيه ناس كتير بتعرف الحق
ولاجل الضرورة توافق

فَرَطت قِلعِي ما جانيش ريح
وعاودت ع ابَر ناوي
ياما ناس زيِّنا مجاريح
لكين صابرة ع البلاوي

سكت الهَوى والناموس طار
والسبع طاطا بعينه
خليه دا النومِ أستار *
لما الكلب ياخد يومينه

شوف الزمان انتهت عَدَليه
وادي البُطل ع الحق راكِب
جه السبع يُطلَب عدليه
لقي الهلف ع انتخت راكب

يا قلبي إوعى تعاشر الدُون
ولا تكلّمُه بالاشتراحة
تكلمه الكلام موزون
تلقاه يرد بقباحة

جاني طبيبي مع العصر
وف إيده ماسك عصاية
اتاري طبيبي قليل أصلْ
من خصمي جابلي الوصاية

كلام الغرَابا حِملناه
فات علينا كما ريح هاوي
كلام القرابا إخ منَّاه
وياجي فوق فرش الكلاوي

إوعى تقول للندل يا عم
ولوكان على السرج راكب
ولا حد خالي من الهم
حتى قلوع المراكب

ولابد من يوم محتوم
تترد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم
أسوَد على كل ظالم

غربي بلدنا بلد سيح
وادي الهلف ماشي ورانا
مش عيب كراسي التماسيح

تقعد عليها "الورانا"؟*

أستار: ستائر

الورانا: جمع "ورل" – حيوان صحراوي يشبه التمساح

إضافة:

خشب المراكب من السنط
في البحر ياخد مهاجه
واجب ع الحر يلزم الصمت
لمَا الهلف ياخد مهاجه

تعريف بابن عروس

هو شاعر ذاع صيته بعد وفاته بقرون غير أن العديد من المفكرين يقولون ان ابن عــروس هــو شخصية وهمية ولكن البعض يؤكد أن شعره والذي يتمتع بقالب معين يسمى مربعات او بالتحديد تسمى مربعات بن عروس نسبة إليه.

غــير أن تعــريفا بابن عروس هو الشاعر الذي عاش في العصر العثماني وكتب بالعامية ما وصل إلينا ونتداوله كحكم و أقوال مأثورة

علاقة ابن عروس بالعصر الحديث :

نجــد في كثير من الأحيان العديد من الكتاب يظهرون بعض مربعاته في مؤلفاتهم مثل الراحل عبد الفتاح الجمل في كتابه رحلة في غرب مصر حين كتب

مسكين من يطبخ الفـاس
ويريد مرق من حـديده
مسكين من يعاشر النــاس
ويـريـد من لا يـريـده

والكثير من الشعراء العاميين يأتون ببعض من مربعاته لإظهار الحكمة والبلاغة.

كمــا أن بعض الأغاني الجديدة التي أخذت في الانتشار بشكل هائل تتخذ من كلماتــه مبدأ للكلمات ومذهب يرددونه وقد نجد الكثير يتخذون من مقاطعه العديد مثل المربع القائل.

يا بت جميلك هبشني
والـهبشة جت في العباية
رمان صدرك دوشني
وخلى فطوري عشايـة

وتجــد أيضا السيد الأبنودي في أغنية مسلسل ذئاب الجبل اتخذ من كلماته .

لشعره فقال

ولابد عن يوم معلوم
تترد فيه المظالم
أبيض علي كل مظلوم
واسود علي كل ظالم

مربعات ابن عروس

ولابد من يوم معلوم
ترتد فيه المظالم
ابيض على كل مظلوم
واسود على كل ظالم .

مسكين من يطبخ الفاس
ويريد مرق من حديده
مسكين من يعاشر الناس
ويريد من لا يريده
إوعى تقول للندل يا عم
وان كان على السرج راكب
ولا حد خالى من الهم
حتى قلوع المراكب

كيد النسا يشبه الكى
من مكرهم عدت هارب
يتحزمو بالحنش حى
ويتعصبو بالعقارب

الليل ما هو قصير
إلا على اللى ينامه
والشخص مادام فقير
ما حد يسمع كلامه

أنا باوَحِّد اللي خلق الناس
خلق مسلمين ونصارى
وناس نامت على فُرش وكْناس
وناس ع المعايش حيارى

طبيب الجرايح قوم اِلحق
وهات لي الدوا اللي يوافق
فيه ناس كتير بتعرف الحق
ولاجل الضرورة توافق

فرَطت قِلعِي ما جانيش ريح
وعاودت ع البَر ناوي
ياما ناس زيّنا مجاريح
لكين صابرة ع البلاوي

سكت الهَوى والناموس طار
والسبع طاطا بعينه
خليه دا النوم أستار *
لما الكلب ياخد يومينه

شوف الزمان انتهت عَدَليه
وادي البُطل ع الحق راكِب
جه السبع يُطلب عدليه
لقي الهلف ع التخت راكب

يا قلبي إوعى تعاشر الدُون
ولا تكلِمُه بالاشتراحة
تكلمه الكلام موزون
تلقاه يرد بقباحة

جاني طبيبي مع العصر
وف إيده ماسك عصاية
اتاري طبيبي قليل أصل
من خصمي جابلي الوصاية

كلام الغرَابا حِملناه
فات علينا كما ريح هاوي
كلام القرابا إخ منّاه
وياجي فوق فرش الكلاوي

إوعى تقول للندل يا عم
ولوكان على السرج راكب
ولا حد خالي من الهم
حتى قلوع المراكب

غربي بلدنا بلد سيح
وادي الهلف ماشي ورانا
مش عيب كراسي التماسيح
تقعد عليها "الورانا"؟*

اللي حبنا حبناه
وصار ماتعنا متاعه
واللي كرهنا كرهناه
ويحرم علينا اجتماعه

يا بت جملك هبشني
والهبشة جت في العبايا
رمان صدرك دوشني
وخلى فطوري عشايا

مختارات من مربعات ابن عروس

من الَشعر الشعبي

أنا باوَحِّد اللي خلق الناس
خلق مسلمين ونصارى.
وناس نامت على فَرش وكْناس
وناس ع المعايش حيارى

طبيب الجرايح قوم اِلحق
وهات لي الدوا اللي يوافق
فيه ناس كتير بتعرف الحق
ولاجل الضرورة توافق

قَرَطت قِلعِي ما جانيش ريح
وعاودت ع البَر ناوي
ياما ناس زيِّنا مجاريح
لكين صابرة ع البلاوي

سكت الهَوى والناموس طار
والسبع طاطا بعينه
خليه دا النوم أستار*
لما الكلب ياخد يومينه

شوف الزمان انتهت عَدَليه
وادي البُطل ع الحق راكِب
جه السبع يُطلب عدليه
لقي الهلف ع انتخت راكب

يا قلبي إوعى تعاشر الدُون
ولا تكلّمُه بالاشتراحة
تكلمه الكلام موزون
تلقاه يرد بقباحة

جاني طبيبي مع العصر
وف إيده ماسك عصاية
اتاري طبيبي قليل أصل
من خصمي جابلي الوصاية

كلام الغرَابا حِملناه
فات علينا كما ريح هاوي
كلام القرابا إخ منّاه
وياجي فوق فرش الكلاوي

إوعى تقول للندل يا عم
ولوكان على السرج راكب
ولا حد خالي من الهم
حتى قلوع المراكب

ولابد من يوم معلوم
تترد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم
أسوَد على كل ظالم

غربي بلدنا بلد سيح
وادي الهلف ماشي ورانا
مش عيب كراسي التماسيُح
تقعد عليها" الورانا"؟*

الورانا: جمع "ورن" — حيوان صحراوي يشبه التمساح

خشب المراكب من السنط
في البحر ياخد مهاجه
واجب ع الحر يلزم الصمت
لمّا الهلف ياخد مهاجه

أنا لم لقيت لي سعد ولابخت
ولا خِل صادق.. قناني
جيت عند بيت عزولي اتلبخت
عبوا لي الدوا في قناني

الليل ما هو قصير
إلا على اللى ينامه
والشخص مادام فقير
ما حد يسمع كلامه

مسكين من يطبخ الفـاس
ويريد مـرق من حـديده
مسكين من يعاشر النـاس
ويـريـد من لا يـريـده

كل عيشك بملحك وفجلك
وعيش عيشة جدودك
واتمد على قد رجلك
بلا تزيد عن حدودك

لا أنام على الشوك عريان
واصبر على ما جرالى
واصبر عليك يا زمان
حتى ينعدل حالى

قلل كلامك وخليك
فى كل محفل موقر
وأحسن لمن كان يؤذيك
بالسوء فى كل محضر

اللى على الخير هنيـه
وبشره بالغنيمة
واللى على الشر عزيـه
بكره يلاقى الـهزيمه

من يبغضك لم يحبك
ولو طعمتو الحلاوه
السن للسن ضاحك
والقلب كله عداوه

الندل له طعم مالح
وله خصايل ذميمه
القرب منه فضايح
والبعد عنه غنيمه

كيد النسا يشبه الكى
من مكرهم عدت هارب
يتحزمو بالحنش حى
ويتعصبو بالعقارب

خلخال خطرَ ع القدم

كل المحاسن فيه
والصايغ اسمه حسن
صانع جميع مافيه
جاني جواب من البلد
وسلام حبيبي فيه
مكتوب بحرف الألم
والدمع باين فيه
دخلت بستان حبيبي
أتفرج علي اللي فيه
لاقيت عريض الفلا

فارش ونايم فيه
ومبين الدق لاخضر
قلت له غطيه
قال لا انت ابن عمي
ولا ابن خالي
ولا شريكي فيه
سحبت سيف المحبه
لجل ما أرميه
رمش بعينه رماني
قبل انا ما أرميه
*****

عبد الرحيم منصور
سيرة ذاتية

ولد الشاعر عبد الرحيم منصوَر فى (دندرة) بندر قنا وتعتبر نشأته اكبر مؤثر فى كتابته وعندما كانت ام الشاعر تلقى انشادات امام الفرن لتضيع الوقت ولم تكن تدرى انها تعطى ابنها جواز السفر ليرتحل عنها فور ان يشب عن الطوق ثم يرتحل عنها إلى الابد وبالفعل ما كاد شاعرنا عبد الرحيم يشب عن الطُوق حتى كانت بذور الشعر التى زرعتها فيه أمه قد بدأت تظهر وتحاول الخروج وهكذا حرضته موسيقى الشعر للرحيل عن قريته بحثا عن حلمه .. وبداية اكتشافه كانت على يد الكاتب الكبير لويس جريس اثناء جولته فى الجنوب المصرى لأكتشاف المواهب لتقديمها فى مجلة صباح الخير تحت عنوان (المعذوبين بالفن) وعثر اثناء جولته على كنز من المواهب أعلن عنه وقدمته المجلة ، هذا الكنز كان الشاعر عبد الرحيم منصور الذى يكتب بالعامية .. وبدأ شاعرنا ومعه مجدى نجيب والأبنودى وسيد حجاب فى بث اشعارهم العامية عبر الاذاعة وكان الناس يعشقون هذا النوع من الشعر الذى اصبح على كل لسان وخصوصاً البسطاء لأنه كان يستخدم لغة حياتهم اليومية التى تشكل تعاملاتهم ومشاعرهم ، وايضاً لأن اللغة كانت متواصلة مع موروثنا الشعبى الملئ بالمواويل والملاحم الشعبية التى رسمت . الحياة الاجتماعية فى مصر على مر العصور

وهكذا استقبلت القاهرة اشعار عبد الرحيم منصور وفتحت له صدرها لأنه كان اقرب تعمقاً فى جذور الأرض التى شكلت الوَجدان الشعبى واقترابه من سخونة الجنوب فى مشاعر أهله المليئة بالمواويل الحزينة وكتب ديوانه الأول (الرقص ع الحصى) فى أواخر الستينات وكان نشره على حسابه الخاص ولأنه لم يهتم كثيراً بالدواوين فلم تنشر باقى الدواوين .. وقدم مع بليغ حمدى وقتها الكثير من الاغانى لكبار المطربين

والمطــربات وبرز أسمه خصوصاً اثناء حرب اكتوبر فكانت اول واشهر اغانى النصر من كلماتــه وتغنى بها اشهر المطربين والمطربات .. إلى ان بدأت محطة هامة فى حياته حين تعرف على المطرب محمد منير وبدأ معه مشوار دام حوالى ١٠ سنوات وكان التحدى الذى واجه عبد الرحيم هو كتابة اغانى رومانسية وقت رحيل الفنان عبد الحليم حافظ فخرجت الرومانسية على طريقة عبد الرحيم بشكل جديد وبمفردات جديدة تماماً على الاغنية الرومانسية السائدة وقتها فى اغانى مثل فى عنيكى ويا صبية وبدأت الاغنية تتخذ شــكل جديد كما شملت اغانيه موضوعات لم يتطرق لها احد من قبل وبدأ كتابة أول الــبومات منير (علمونى عنيكى) ووقتها تعرف على الملحن النوبى احمد منيب والملحن والمــوزع هانى شنودة وتوالت النجاحات حتى وصلت للذروة فى ألبوم (شبابيك) عام ١٩٨١ كمــا كــتب فى أوائــل الثمانينات لمطربين جدد ساعد على نجاحهم بجانب المطربين الكبار وقتها

تعتــبر اول الثمانيــنات هي الفترة الاهم والاشهر فى حياة عبد الرحيم منصور حــيث كــتب لمحمد منير اغانى فى ألبرمى (شبابيك) و(اتكلمى) كما وضع سيناريو وحــوار واشعار فيلم (الزمار) للمخرج عاطف لطيب وكتب كلمات ألبوم (حظوظ) للمطرب الشعبى كتكوت الامير وكتب أول اغانى المطربين عمرو دياب وعلى الحجار ومــدحت صــالح ومحمد ثروت ووليد توفيق ورحل عبد الرحيم منصور يوم ٢٨/٨/ ١٩٨٤

مختارات من رباعيات عبد الرحيم منصور

من رباعيات الموت والميلاد

١ ـ طعم البيوت في الشوارع
طعم الشوارع بيوت
الخطو طالع وراجع
بيتولد ويموت

ΘΘΘ

٢ ـ على الطريق وش، غربه
وخطو مالوهش صاحب
والوقت ميت ف تربه
والتربه ماليها صاحب

ΘΘΘ

٣ ـ مشيت معاه كان صديق
رسينا على كل شي
صديق وجاع في الطريق
هبش في لحمي النى

ΘΘΘ

٤ ـ القهوه زى الديار
عريانه من غير وش
طفحت هموم النار
على كل وش يبش

ΘΘΘ

٥ـ بيتنا أهه يا ولاد
في وش بنت غريبه
في عينها زهر الميلاد
والموت وله تكعيبه
ΘΘΘ

٦ـ جايه منين يا قله
من حجر طينه قنا
كيف العيون والغله
عطشانه زي أنا
ΘΘΘ

٧ـ حرام يا قاضى العشق
مين حرموا وتابوا
موالي م الارض شق
وقصفوا رقابه
ΘΘΘ

٨ـ لا شي باقي ودايم
يا حلم أمي وخيه
القش هو اللي عايم
ونا وزماني في خيه
ΘΘΘ

٩ـ بافر من تحت جلدي
وأهرب وألف وأدوب
الود أشرب بيدي
نبع الشروق والغروب
ΘΘΘ

١٠- يا نخل مالها جدورك
في الأرض مالهاش مخالب
جيتك لحدك أشورك
رجعت مغلوب وغالب
ϴ ϴ ϴ

١١- لا برق إلا وطالع
من بطن أم السكون
العتمه شايفه المطالع
والفجر من غير عيون
ϴ ϴ ϴ

١٢- سفر وحلم وسفر
الخلق بتقول يا دنيا
الشهر أصبح صفر
بين الصباح والعشيه
ϴ ϴ ϴ

١٣- طلقوني جوه الدروب
وف قلبى ندعه حليب
بين الشروق والغروب
إزاى يا ولد تشيب
ϴ ϴ ϴ

١٤- لاتنين سوا لاتنين
البذره ويا الحصاد
الفجر أبيض جنين
والموت شهاده ميلاد
ϴ ϴ ϴ

١٥ـ يا طيره ليه طايره بدرى
لسه خفيف الريش
فطموني بدري . وبدري
وليد وعايز يعيش
ΘΘΘ

١٦ـ مش طايقه ليه خلقاتك
خلقاتي ضاقوا عليه
مش عارفه ليه شققاتك
رموني للغربه ديه
ΘΘΘ

١٧ـ يا فكر خلي يا شارد
ياللي مالكش بلاد
التوهه سكين بارد
على رقاب العباد
ΘΘΘ

١٨ـ سيبوني أمشى لوحدى
سيبونى أتوه عريان
الدنيا توب على قدي
وما اطقش أنا الغطيان
ΘΘΘ

١٩ـ ده ده ولا حنه
يا أم الكفوف ، العريضه
ده شوق لولدي اللي سابنا
في بحور همومنا الغويطه
ΘΘΘ

٢٠- ياما قصص وحكايات
فاتوها ناس للزمان
لها روح مع جناحات
لها عين وودن ولسان
ΘΘΘ

٢١- الصرخه في القلب جوع
تخلق ربيع أو خريف
ورده في صدر الربوع
دمعة فقير ع الرغيف
ΘΘΘ

٢٢- فيه طير بيرجع لعشه
وطير بيفضل مسافر
وطير ماهوش لاقي قشه
وطير مهاجر مهاجر
ΘΘΘ

٢٣- قالولي ليه يا قناوى
خطوك على السكه ساكت
أنا قلت كان لي غناوي
داقت الحقيقه وشاخت
ΘΘΘ

٢٤- ده دم مين يا خال
حنه فى كفوف النسا
ولا جنين خيال
في بطن أمه اتنسى
ΘΘΘ

٢٥- يا ماشي ع الأرض هدي
دي الأرض أم حنونه
تولد وتحزن وتدي
تنفر من اللي عادونا

ϴ ϴ ϴ

٢٦- عرفت عتبات بيوت
لكن ما خطيتهاش
ودقت ياما الموت
والقلب برضك عاش

ϴ ϴ ϴ

٢٧- فيه طلق تجار حروب
وطلق يحمي الديار
وطلق يحمي دروب
وطلق يزرع عمار

ϴ ϴ ϴ

٢٨- فيه طلق يولد حياه
أطفال في عمر أساه
وطلق أسود أساه
مدفع بيقتل رضيع

ϴ ϴ ϴ

٢٩- مولوده بس النهارده
ونا ليه ياما زمان
بخطوه ع الأرض شارده
تموت وتحيا فـ مكان

ϴ ϴ ϴ

٣٠ـ من الحصا والشقا
إيدين بتخلق ديار
عرق مع زقزقه
وليل فى حضن نهار

من رباعيات الحب

١ - خديني بسمة لقا
إرميلي كلمة وداع
بين الفرح والشقا
لازم يحل الشراع
ΘΟΘ

٢ - طلي يا دنيا عليه
يا عيون حبيبي الزلال
منقوش في قلبي وإيديه
كحل الطريق والليال
ΘΘΘ

٣ - السر في عنيكي قاتل
ياللي عنيكي شبابي
وأنا وعنيكي باقاتل
أصبح سؤالي جوابي
ΘΟΘ

٤ - إن جم وراحوا الحبايب
بقلوبنا راح نعمل إيه
إحنا في طريق الغرايب
خدنا الزمن في إيديه
ΘΟΘ

٥- حران وحضنك جليد
صافي وقلبك غبار
مين قال لقاهم بعيد
التلج ويا النار
ΘΘΘ

٦- يا مسقى ملقى العطاشى
خايف عليكي ورايدك
بتشوفي عيني عطاشى
تداري عني مواردك
ΘΘΘ

٧- منين أجيب لك دار
شبابيكها ع البحري
قدامي جنه ونار
والحمل فوق ضهري
ΘΘΘ

٨- بعيده وإنتي في حضني
في حضن مين يا بعيده
كيف ونا منك ومني
لحظة لقانا شريده
ΘΘΘ

٩- عنيكي شبابيك أغاني
باطل منها وباشوف
خلت زماني حصاني
خلتني ع السر ألوف
ΘΘΘ

١٠- عودك يا أسمر فتني
يا أحلى عود في الصبايا
خلاني ع الصبر أغني
خلى مسايا ضحايا
ϴ ϴ ϴ

١١- في الماضي واللي جاي
بانده وأدور عليكي
ساعات يرد الناي
وساعات تجاوب عنيكي
ϴ ϴ ϴ

١٢- بودي أزرع شجره
شجرة حنان في الضل
ترخي عليكي يا سمره
وتلم شمل الكل
ϴ ϴ ϴ

١٣- عنيكي دول مليانين
مكر وخيانه وجنون
ساعات كتير جعانين
وساعه مالهمش لون
ϴ ϴ ϴ

١٤- لو كان وليه الخيار
لاختارك إنتي أميره
وأكون أنا شهريار
نغزل حكاوي كتيره
ϴ ϴ ϴ

١٥- الخل والله باعوني
باعوا وقلبي اللي شاري
وكل يوم يقتلوني
ويضيعوني في كاري
ϴ ϴ ϴ

١٦- يا جنين فى علم الغيب
جاي تعمل إيه دلوقتي
حجر العالم غريب
وأخاف تدوخ مثل دوخي
ϴ ϴ ϴ

١٧- أنا اللي محتاج لابن
في الرحله ابني يخاويني
مش عايزه لكن بحن
يملا عليه سنيني
ϴ ϴ ϴ

١٨- آه لو تطول الايدين
لا أملا الديار بالعيال
يبقوا لي ضهر وعنين
ويبقوا رد السؤال
ϴ ϴ ϴ

١٩- خلقت مواويل كتير
وحضنتها نكرتني
والحلم بحنين عسير
الرعب فيه بيسكرني
ϴ ϴ ϴ

٢٠- إيه اللي جواكي قولي
محبة ولا عداوه
إن كنت قادره تطولي
خديني فديه وحلاوه

ΘΘΘ

٢١- منين أجيبك يا سمره
ياللي عيونك دوايا
حلمت ياما ببكره
وبكره أصبح مسايا

ΘΘΘ

٢٢- ريتك معايا تطوفي
وسط البشر والزحام
وتشوفي حيرتي وخوفي
عليكي من دي الالآم

ΘΘΘ

٢٣- يا بنت ساعة لقا
بتساوي كل الزمان
عنيكي دي زقزقه
وياي في كل مكان

ΘΘΘ

٢٤- شبكت عنيكي عيوني
وعنيكي قلق الصبايا
قلت الوداع قم خدوني
ورموني وحدي لشقايا

ΘΘΘ

٢٥ـ عشقت فيها عنيها
وعنيها أعوام خوالي
توبها اللي مقسوم عليها
منسوج بأبر الليالي
ϴ ϴ ϴ

٢٦ـ من الحبايب فرحنا
ومن الحبايب بكينا
زمان بيحضن فرحنا
وزمان بيقسى علينا
ϴ ϴ ϴ

٢٧ـ عنيكي تحت المطر
كيف القلق والخوف
فيهم كلام للقدر
مداري مش مكشوف
ϴ ϴ ϴ

٢٨ـ مش عايز أشوفك بتبكي
مش عايز أشوفك حزينه
ده أنتي فى مكانك بتحكي
وتحطي وتشيلي فينا

من رباعيات الحكمة

١ - على كل لون الحياه
على كل لون يا بشر
بشر بتخلق حياه
وبشر بتقتل بشر
ϴ ϴ ϴ

٢ - على كل لون الدموع
دموع فرح وأنين
دموع فى غربال سبوع
ودموع في قلب حزين
ϴ ϴ ϴ

٣ - على كل لون العرق
على كل لون السنين
عرق يبيض ورق
وعرق يندي الجبين
ϴ ϴ ϴ

٤ - على كل لون يا خلق
على كل لون تطلعوا
سودتوا لون الحق
وكرهتوا كون ترجعوا
ϴ ϴ ϴ

٥- جاهل يا طامع فى رمال
عمرك كضلك يفوت
فوق ذكرى حلوه حلال
بدل الضلال والسكوت
ϴ ϴ ϴ

٦- ياللي غويت الليالي
خايف عليك من حبالها
ليبقى حالك ده حالي
وتدوق حرامها وحلالها
ϴ ϴ ϴ

٧- دايماً قليل البخت
بلاقي في الكرشه عضمه
لفيت كتير واتملخت
ومشيت بأحزاني هدمه
ϴ ϴ ϴ

٨- دربك بسيط يا خال
وعيونه زي المرايه
إن طال وأصبح محال
يبقى بداية غنايا
ϴ ϴ ϴ

٩- البحر يا مراكبي مايل
ولا شراعك خفيف
عمال فى الموج تحايل
والريح فى ضهرك مخيف
ϴ ϴ ϴ

١٠- البر قدام عينك
لو لحظه رايقه تشوفه
في الضيقه ربي شريك
تلقى كفوفك كفوفه

ΘΘΘ

١١- تبت حبالك وبحر
ويا الرفاقه المليحه
في الشده وياك تشمر
وتعدي لايام مريحه

ΘΘΘ

١٢- أوعى تريح وترسى
وتقول ده آخر المطاف
الدنيا مالهاش مرسى
والحمل فوق الكتاف

ΘΘΘ

١٣- أوعى يا خيال تميل
عمر الخيول ما بترحم
لا حيرمي سرجه الخيل
ولا حتى على صاحبه يندم

ΘΘΘ

١٤- يا صاحبي عافر إن
لم يحظى حامك بمرسى
ده العمر مالوش سن
والدنيا قدامنا لسه

ΘΘΘ

١٥- جوه النقوش القديمه
بهتانة حكمة زمان
شبه الغريم والغريمه
لونها ولون الحيطان
ΘΘΘ

١٦- الحكمه من غير شفايف
قول يا حكيم القبيله
بترتعش ليه وخايف
مالناش غيرك وسيله
ΘΘΘ

١٧- سمعت حكمه وقلت
يا هلترى مين كاتبها
قالوا الألم والكبت
والصمت هوه صاحبها
ΘΘΘ

١٨- الليل ده عالم وعالم
عالم وساتراه بيوت
عالم بيعسكر بعالم
وعالم ماهوش لاقي قوت
ΘΘΘ

١٩- هات من جرابك وقوللي
يا اللي إنت عارف البعيد
وأديني سدرك يا خلي
سدرك كأنه العيد
ΘΘΘ

٢٠- عالم وبودان كبيره
سامعه وماهيش سامعه
الضحكه بتساوي حيره
والفرحه بتساوي دمعه
ΘΘΘ

٢١- سوا في الطريق السهل
أو في طريق الصعب
جاي بالورود والفل
بكره لجموع الشعب
ΘΘΘ

٢٢- أنا كلمه منها الحقيقه
سابتني ليه الخلايق
وحدي ومن غير شقيقه
عريانه بين الشقايق
ΘΘΘ

٢٣- سموني باسم الحقايق
سموني باسم التراب
وارموني وسط الخلايق
أقتل نغم كداب
ΘΘΘ

٢٤- أيام علينا تعدي
وتمر مثل السحاب
وإحنا بناخد وندي
ونبيع لبعض العذاب
ΘΘΘ

٢٥- عايش على دى الحال
ألف وأتعب لحالي
وكل ما أسأل سؤال
يرجع لي تانى سؤالي
ϴ ϴ ϴ

٢٦- أنا شلت حمل صديقي
وشلت همه وجروحه
ونا لوحدي في ضيقي
وهوه عايش لروحه
ϴ ϴ ϴ

٢٧- مازرعتش الورد عمري
وباشم ريحة عبيره
أه ع اللي يزرع ما يدري
ويجني لكن لغيره
ϴ ϴ ϴ

٢٨- سدري بينهج كرب
وعيوني عواميد نور
تهل على درب
دعوه وورد وسرور
ϴ ϴ ϴ

٢٩- قليل كلام الحزين
لكنه في القلب طامي
لا له لسان أو إيدين
لكنه له طلق حامي
ϴ ϴ ϴ

٣٠- والله بسيط يا خال
كما دمعتي ف كمي
وشديد كأني رجال
ولاهمني همي

ΘΘΘ

٣١- ياما صحاب وصحاب
ليا ونا فرادي
لما باقع في العذاب
يرخوا العيون والأيادي

ΘΘΘ

٣٢- يابو العيال النحيفه
والقلب أخضر مراعي
عيني زيك كفيفه
لكني شايف شراعي

ΘΘΘ

٣٣- دعوة أبويا وأمي
إني أعيش قلقان
لا إيد تحايل فى كمي
والباب قصادي بيبان

ΘΘΘ

٣٤- في عروقي زعق السكوت
زعق في قلبك يا خلي
فتح بيبان البيوت
لقيت سكوتها بيغلي

ΘΘΘ

٣٥ـ البذره مره يا خال
طرحت لنا غيط مرار
حرام ده ولا حلال
تجني المرار ع الديار
ΘΘΘ

٣٦ـ باقي وطامي يا نيل
دعا في العيون الغريبه
تضحك وتصرخ تميل
فرح وقسوه وطيبه
ΘΘΘ

جانب من ربعيات

فريد إبراهيم

تجليات

لـــــيس الـــــتدين بــــالكلام
وإنمـــا بالفعـــل والخلـــق الكـــريم
فرســـــولنا لـــــم يـــأت إلا كـــى
يـــتم مكـــارم الخلـــق الحلـــيم
ويعـــــيد للإنــــسان عــــزته
ويخـــرجه مـــن الظلـــم الألـــيم
حتـــى تـــصير حياتـــنا قيـــثارة
للحـــــب والخيـــــر العمـــــيم

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق } { حديث صحيح } .

الـــدين لا يعلـــو بـــتطويل الذقـــون
ولا بملبـــــسنا القـــــصير
أو التفـــــرغ بالمـــــساجد
الـــــدين يعلـــــو بالتعاضــــد
الـــدين يعلـــو بالتـــراحم والـــتواد
وبالـنجابة فـى الـزراعة والحـصاد
الـدين يعلـو بالجهـاد بكـل حقـل
مـــــن حقـــــول الاجـــــتهاد

عـــن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أقوالكم ولكن ينظر إلى أعمالكم } { رواه مسلم } .

اغـرس فـسيلة دوحـة قـد لا تجـئ
ثمارهــا إلا ودنـيانا هـباء
واسـأل ثـواب عطائهـا
رب الـسماء
فالمـسلم الحـق القـويم كزهـرة
تعطـى ولا تـرجو ثـناء
وكـنخلة تعطـى لمـن
حفـظ الجمـيل ومـن أسـاء

عـن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:{ إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها } { رواه البخارى والإمام أحمد } .

أهـلاً بأيـام التقـى
والـصوم والخلـق القـويم
أهـلاً بمدرسـة الإرادة
والإنابـة والطـريق المـستقيم
أهـلاً .. تجـئ كمـا تجـئ الـريح
مرسـلة وبالخيـر العمـيم
يـا لـيت كـل العمـر .. رمـضان كـريم

عـن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{ من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه } { أخرجه البخارى ومسلم } .

بـــدر نكـــررها إذا شـــئنا
بـــأن نحـــيا بـــأخلاق الـــصحابة
اقـــــتداء بالرســـــول
ونعـــيش إســـلاماً يـــسير علـــى
الثـــرى هـــدياً بدنـــيانا يـــصول
ليـــست مـــن الأمـــل البعـــيد
إعـــادة المجـــد الأصـــيل

قـــال ﷺ:{ تـــركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وسنتى } { صدق رسول الله } .

كـن نـسمة تحـنو علـى غـصن الحـياة
فينتـــشى ويـــزيد إيـــناعاً وطـــولاً
كـن غـيمة إن تحتـضن جـبلاً جديـباً
يغـــتذى كـــرماً جمـــيلاً
كـــن بلـــسماً يهـــب الـــشفاء
ولـــيس ينتظـــر الكثيـــر أو القلـــيلا
كـــن عـــون محـــتاج ضـــعيف
عـــاش مكـــسوراً ذلـــيلاً

عـــن أبى موســـى ﷺ عن النبى ﷺ قال:{ مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة } .

كـذب المـنجم مهمـا قـوله صـدف
ومـن أتـى بابـه اسـتدبر الهـدف
فالغـيب لله، لـيس لمفتـر رجـف
كـذب المـنجم فـيما زيفـه هـرف
مـن ظـنه عارفـاً عـن دينه عـزف

قال ﷺ: { من أتى عرافاً فسأله عن شئ فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً } { أخرجه مسلم وأحمد والبخارى } .

المـسلمون جمـيعهم جـسد
وحـيد فـى المـشاعر
إن يـشتكى عـضو يعـش
أعـضاؤه مـا بـين محمـود وحائـر
هـذا كـلام رسـولنا
المخـتار فـى الـسنن الظواهـر
حتـى نـنافح عـن جمـيع ضـلوعنا
فـى وجـه طمـاع وجائـر

عـن أبى عباس ﷺ قال: قال ﷺ: { المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد على أقصاهم } { سنن ابن ماجه } .

فـيك الـتقت رايـات حـق
تنـشر الـنور المبـين
وعلـت صـروح الخيـر وانقـشع
الظـلام فـلا هـوان ولا أنـين
بـدر وحطـين وملحمـة العـبور
علامـة الـزمن الجمـيل
شـهر التقـى والـصوم
والـصدقات قـرباً للجلـيل

عـن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه } { رواه أحمد والنسائى } .

كـان العـبور هديـة
مـن خالـق الكـون الكـريم
حتـى نطهـر أرضـنا
مـن مـدع بـاغ أثـيم
كـان العـبور جـزاء ملحمـة
مـن الجهـد العظـيم
قـد صـاغها جـند تـتوق
لحـور جـنات النعـيم

قـال ﷺ: { إن النـصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً } { سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألبانى } .

هـــى وحـــدة غابـــت طـــويلاً
غيـــر أنـــا لا نمـــل الانـــتظار
فـــيها نعـــيد حـــضارة وكـــرامة
كانـــت علـــى الدنـــيا الفـــنار
ويـسير واحـدنا مـن البحـر المحـيط
إلـــى الخلـــيج بغيـــر إذن أو قـــرار
ينـــساب فـــى الـــوطن الكبيـــر
الخيـــر مـــن كـــل الجـــرار
لا يـــشتكى مـــن تخمـــة بمديـــنة
وفـــى الأخـــرى الـــضوار

قال ﷺ:{ مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى } { أخرجه مسلم } .

الحـــج رحلـــة عاشـــق
قطـــع الحـــياة هـــوى وحـــباً
يـــشتاق للبـــيت العظـــيم لكـــى
يـــنال رضـــى وقـــرباً
وتهـــزه مـــرآى الـــديار
كمـــا يهـــز الـــوجد صـــباً
يـــسعى ويـــسأل ربـــه
فيجيـــبه المـــنان قـــرباً

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:{ العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة } { أخرجه مسلم والبخارى } .

مـــن ذا يبلغنـــى المقـــام
وروضـــة أشـــكو الكـــروب
وأبـــث صـــاحبها شـــجونى
والتياعـــى فـــى الـــدروب
قـــد كـــان مـــا حذرتـــه
وأصـــابنا وهـــن رهـــيب
أعـــدادنا كالـــنمل لكـــن
تنمحـــى إن صـــاح ذيـــب

عـــن ثـــوبان قـــال: قال رسول الله ﷺ:{ يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكـــنكم غـــثاء كغـــثاء السيل ولينتزعن الله من قلوبكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن: قال: حب الدنيا وكراهية الموت } { حديث صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألبانى } .

لا تكـــتمن شـــهادة تنجـــى
بـــريئاً مـــن جـــريمة
وتقـــول لا أرجـــو القلاقـــل
فـــى دهاليـــز كثيـــرة
فالـــصمت يغـــرى الآثمـــين
يقـــوض الأســـس الكبيـــرة
ويقـــود أصـــحاب الحقـــوق
إلـــى دهاليـــز ألـــيمة

قال ﷺ:{ لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه } { كتاب تخريج الأحاديث، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألبانى } .

زعـــم الـــشقى بأنـــه ســـيتوب
إن شـــــابت جفـــــونه
ومـــضى يعـــربد موقـــناً
أن المنـــــية لا تخـــــونه
حتـــى أتـــته فلـــم يجـــد
شـــيئاً بجعبـــته يعيـــنه
ومـــضى إلـــى ســـفر طـــويل
دون زاد أو مـــــــئونة

عـــن عـــبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال:{ إن الله ﷻ ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر } { سنن بن ماجة، حديث حسن } .

لبـــيك لا أحـــداً ســـواك
لـــــه ألبـــــى
وأجيـــئه فـــى كـــلَ آن
ســاجداً وجـــدى وقلبـــى
لبـــيك مـــا مـــر النـــسيم
وأيـــنع الغـــصن الجمـــيل
والتقـــى بـــالأرض جنبـــى
لبـــيك فـــى كـــل الـــزمان
فأنـــــت ربـــــى

عن أبي سهل الساعدى إن رسول الله ﷺ قال:{ ما من ملب مر يلبى إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا } { سنن ابن ماجه } .

الحق أوضح من ضياء الشمس
في عز الظهيرة
لكن أهل الزيغ يلوون الحقائق
والمعاني كالفتيلة
حتى يتوه الناس ما
بين الفضيلة والرذيلة
وتضيع في الدنيا الحقوق
وتختفي قيم جميلة

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: { إنكم تختصمون إلىّ إنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضى لكم على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة } { أخرجه البخارى } .

امسح على رأس اليتيم وكن له
في يوم عيد كافلاً ومعيلاً
وصل القريب وزر مريضاً سائماً
تجد الإله لدى المريض مقيلاً
ودع التخاصم والتدابر للورى
وكن الحليم ورتل التنزيلا
تجد الحياة بهية وكريمة
تجد الجميع موازراً وجميلاً

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى } { رواه مسلم } .

قـــال الـــرعاة وأكثـــروا
إن الـذئاب تـراود الـشاة القـصية
والخيـر أن تبقـى الـشياه جماعـة
حتـى تظـل بـرغم رقـتها قـوية
فلـم الـشياه، العارفـات لـضعفها
متفـــرقات هازئـــات بالقـــضية
يركـضن فـى سـكك الـذئاب يـرحنها
وكـأنهن الباحـثات عـن المنـية

عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: { ما من ثلاثة فى قرية، ولا بدو وتقـام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية } { سنن أبي داوود } .

ظهـر الفـساد ببـرهم وببحـرهم
ويكـاد أن يأتـى إليـنا
إنـى أخـاف ونحـن نغـبط قـبحهم
أن تمـسخ الأخـلاق فيـنا
قـد يفخـرون بمـصنع وبمعمـل
وبكـل مـا يـسبى العـيونا
فـإذا مـضت عـنا المـروءة
والـرجولة لا نجـد إلا مـشينا

عن أبي سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: { لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعـاً بـذراع حـتى لـو دخلوا حجر ضب تبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ..؟ } { رواه البخارى } .

قـــد قـــدر الأقـــدار ربـــك
فاطمـئن ولا تكـن عـبداً عجـولاً
مـا دمـت تـسعى فـى فجـاج الأرض
ملتمـسـاً بهـا عيـشاً جمـيلاً
مـا دمـت تحيـى مـنهج الله العزيـز
وتـستعين بحـبله سـبحاً طـويلاً
مـا دمـت تفعـل كـل مـا فـى الوسـع
منتظـراً مـن الله القـبولا
فـإذا بلغـت الأمنـيات
غـنمت مـا تـرجو وحققـت الوصـولا
وإذا مـضت عـنك الأمانـى
عـشت محمـوداً ومأجـوراً نبـيلاً

قال ﷺ: { لا حيلة فى الرزق ولا شفاعة فى الموت } { صدق رسول الله } .

العلـم نـور يقتفـيه
العاشـقون مـدى الحـياة
ويـزيدهم نهمـاً إلـيه
بلـوغهم مـنه شـذاه
لا الجهـد يمـنعه ولا الأيـام
تـصرف همـه عمـا ابـتغاه
فـإذا فـزعت مـن المـشيب
بمفرقـى وبمـا جـناه
فالعـذر أنـى عاشـق
للعلـم لا أرجـو سـواه

عـن معـاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { تعلموا العلم فإن تعلمه لله خـشية، وطلـبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربه } { صدق رسول الله } .

الفتح درس فى التسامح
والتواضع والصفح الجميل
دخل الرسول وأهل مكة
بين مذهول ومرتعد ذليل
فعفا وأصلح قائلاً
اليوم مرحمة وَشكر للجليل
لم تسكر المختار قوته
لتودى بالكثير أو القليل

فى نهاية خطبته، وهو يقف بباب الكعبة يوم الفتح قال ﷺ: { يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء } {سيرة ابن هشام }

شرع الإله هو النجاة
ومن نأى عنه يتوه ويغرق
فلم الأنام يبعثرون حياتهم
فى البحث عن سكك تطول وتحرق
ويطبقون جميع وصفات الدواء
سوى الذى جعل الدواء يطبق
فإذا رأوا من قد يحث على التقوى
قالوا دعى بالغواية ينطق

عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده فى الخط الأسود فقال: هذا سبيل الله ثم تلا الآية: ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ {الأنعام١٥٣} { حديث حسن، سنن ابن ماجة }

لا يمـــــنح الله انتــــصاراً للكـــسالى
الخائفــين الهاربــين مــن الحقــيقة
فـــالله عــدل لا يحابــى أو يجامــل
فــى حقــوق العاملــين مــن الخلــيقة
مــن جــد فــى هــذه الحــياة يجــد
مناه كمــا يشاء وهــذه نعم الطـريقة
أمـــا الـــذين تواكلـــوا وتعللـــوا
فـــسيركبون ســفينة دومــاً غــريقة

قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ {محمد٧} .

لمـــــاذا يخلــــط الأوراق قــــوم
يـركبون سـفينة فـى وجـه ناصـح ؟
ويؤولـون كلامـه فـى غيـر موضـعه
القــويم يلفقــون لـــه الفــضائح
يــــتجاهلون بـــأنهم سيـــصيبهم
نفس المصير، وكلهم فى اليم صارخ
فالمــوج إن بلــع الغــريق وهــاج
لا يختار مـا بين الـصوالح والطـوالح

عن النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال: { مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمـــثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أســـفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نـــؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً } { رواه البخارى } .

أمسك لسانك لا تدعه
يخوض كالذئب العقور
علم الحقيقة أو تكهن
دون فهم في غرور
فالله يسأل عبده عن
كل لفظ قاله يوم النشور
ولربما ألقى الكلام بصحبه
في قاع مهلكة تفور

قال بلال بن الحارث: سمعت النبي ﷺ يقول: { إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه } { أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى } .

إلى ربك الرجعى فما لك
تبتغى ربّاً سواه بلا حياء؟
كأنك لن تقابله وتنسى
يوم ينقطع الخليل أو الرجاء
وتفر أم من بنيها كلهم
ولكل فرد شأنه يوم اللقاء
ويقوم مفزوع الفؤاد مروعاً
كل الذى ضل الطريق ومن أساء

قال ﷺ: { من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعوا إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل قتل قتلة جاهلية } { أخرجه مسلم } .

أفـشوا الـسلام لكـى تـصير قلـوبكم
كالنـــبع فـــى فـــن المحـــبة صـــافى
فهـو الطـريق إلـى الـتعارف بيـنكم
وهـو الـسبيل إلـى الأمـان الـضافى
وبـــه تـزول مـــن القلـوب ضـغائن
وبــــه العــــداوة تنتهــــى لتــــصافى
إن الـــسلام اســـم الإلـــه ونعمـــة
فـى الـناس قـد جلـت عـن الأوصـاف

عـــن أبى هريـــرة ﷺ قـــال: قال رسول الله ﷺ:{ والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم } { رواه مسلم والترمذى وابن منذر وأبو داوود وأحمد والبيهقى والبخارى }

أى الأنـــام أحـــق عـــندى بالمبـــرة
والمـــسرة والـــولاء وحـــسن صـــحبة
قـــال الحبـــيب بأنهـــا الأم التـــى
جعلـت لـك الأيـام غـنًاء ورحـبة
فأعـــاد يـــسأل مـــن يلـــى أمـــى
بحـق فـى التقـرب والمـودة والمحـبة
فيجـــيب أمـــك إن رقـــة قلـــبها
تأتـى مـن الـرحمن مـرحمة ووهـبة
وأبـــوك أولـــى بالـــرعاية بعـــدها
ورعايـة الآبـاء فـى الإيمـان شـعبة

عن أبى هريرة ﷺ قال:{ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ..؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك قال ثم من؟ قال: أبوك } { رواه البخارى ومسلم } .

الـــدين يـــسر لا يجـــوز لأهلـــه
أن يجعلـــوه مطـــية الإزهـــاق
ويحملـــوا الآيـــات غيـــر مـــرادها
فـــيلف حـــبل العـــنق بالأعـــناق
والأصـــل فـــي الأشـــياء دومـــاً حلهـــا
لكـــنهم يأبـــون غيـــر شـــقاق
يـــارب إن الحـــب أصـــل عـــبادتك
والخـــوف يقـــتل همـــة المـــشتاق

عـــن أبي هريرة ﷺ قال: { قال رسول الله ﷺ: إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا، وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة } { البخارى } .

يـــا عائـــداً مـــن أرض مكـــة مـــشرقاً
بالـــنور بعـــد زيـــارة وطـــواف
أكملـــت أركـــان العـــبادة كلهـــا
ورجعـــت كالـــثوب النقـــى الـــصافى
فانـــشر لـــدى الكـــون الجمـــيل هدايـــة
تـــسمو بلـــذتها علـــى الأوصـــاف
وكـــن الـــنموذج للـــذى خبـــر التقـــى
وحـــلاوة الإيمـــان والإعفـــاف

قال ﷺ: { من حج ولم يرفث ولم يفق رجع كيوم ولدته أمه } { صدق رسول الله }

ذهب الجميع بجاههم وبمالهم
ورجعت بالصبر الجميل وحب ربى
فإذا أساء لى الزمان وأهله
لاذ الفؤاد بجنبه فيضئ دربى
ويردنى نحو الرضا ورياضه الغناء
أنهل من جناها ملء نخبى
فأذوق فى ذل المحبة عزة
تسمو على جاه الملوك بكل شعب

قال ﷺ: { إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط } { سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألبانى } .

تبت يداه
وأخطأت خطواته باب النجاة
من ظن بالمعصوم سوءاً
أو هوى فى سب أصحاب
هداه
فهو الضياء وصحبه قبس
كريم من سناه
وبأيهم من يقتدى
فى ظلمة .. نال النجاة

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: { لا تسبوا أصحابى فالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم } { رواه مسلم } .

كـــلام جمـــيل كـــصفو الـــسماء
وفعـــل قبـــيح يجافـــى الحـــياء
ونـــرجو مـــن الله نـــصراً وعـــزاً
وكـــل الـــذى نـــستطيع الـــرجاء
وربـــك يعطـــى مجـــداً دءوبـــاً
ولـــيس يحابـــى قلـــيل العطـــاء
ولـــيس يغيـــر مـــا فـــى العـــباد
إذا مـــا تمـــادوا ببحـــر الجفـــاء

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: { إنكم تختصمون إلىّ إنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضى لكم على نحو مما أسمع فمـــن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة } { أخرجه البخارى } .

قـــال الكـــلام لـــصحبه
كـــن واعـــياً قـــبل الدخـــول
إلـــــى رحابـــــى
فأنـــا كـــشيطان رجـــيم والأفاعـــى
رابـــضات عـــند بابـــى
وأنـــا مـــلاك محـــبة ومـــودة
والعطـــر ينـــشره كتابـــى
فاختـــر لنفـــسك أى بـــاب
أنـــت تدخلـــه ليكـــتب فـــى الحـــساب

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال: قلت: يا رسول الله حدثنى بأمر اعتصم به . قـــال:{ قـــل: ربى الله ثم استقم } قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علىّ . فأخذ رسول الله بلسان نفسه ثم قال: هذا } { رواه مسلم } .

ربمـــا أكـــون قـــد أخطـــأت مـــرة
وربمـــــا يكـــــون مـــــرتين
لكـــــن عفـــــو الله أوســـــع
مـــــن خطايـــــا العالمـــــين
يلقـــــى المـــــسئ بفـــــرحة
إن تـــــاب تـــــوبة مخلـــــصين
قلِـــــمَ يقابلنـــــى الأنـــــام
كـــــأنهم لا يخطـــــئون
وكأننـــــى وحـــــدى الـــــذى
وضـــــع الجـــــريمة والخطيـــــئة
فـــــى طـــــريق الطيبـــــين

قال ﷺ: { كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون } .

كـــن صـــادقاً فالمؤمـــنون بـــربهم
لا يكذبـــــــــــــــون
قـــــد يـــــضعفون فـــــيخجلون
ويجبـــــنون ويـــــبخلون
لكـــنهم بالحـــق لـــيس بغيـــره
يـــــــــــــــتكلمون
كـــن صـــادقاً، فالـــصدق مـــنجاة
وإن كثـــــرت ظـــــنون

قال رسول الله ﷺ: { كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع } {رواه مسلم}

قد أنجز الرحمنُ ما وعدَ الرسولَ
وصار للإسلام قوتهُ المهابةَ
والحق أصبح ظاهراً، والشرك
يغربُ فى لياليه المعَابَة
والمالكون حضارةً يتساءلون بدهشةٍ
عن دعوةٍ صارت مُجَابة
والنور يضوى والقلوبُ نوافذٌ
للبدر تَربُو نحو فضتِه المذابة
والرحمةُ المهداةُ يدعو قَومَه
كى يَخْرُجُوا للنور من تلك الكآبة

قال رسول الله ﷺ: { إن هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار } .

فى ليلة كانت على الدنيا
عطاء لا يضاهى
من فضل جواد كريم منعم
فى كل نفس قد براها
نزل الكتاب لكى يعيد
العالمين إلى هداها
خيراً تفوق الألف شهر
فابتدر واغنم عطاها
يا حظه من قد يصادفها
وينهل من صفاها

قال رسول الله ﷺ: { من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه }

يـــا ربـــنا أعـــد الطـــريق لأمـــة
تاهـــت وفـــرقها أذى الأهـــواء
لـــتعود كالماضـــى الـــسراج لعـــالم
يهديـــه نحـــو الـــنار فـــى الظلمـــاء
هـــى خيـــر ربـــان الحـــياة إذا وعـــت
هـــدى الكـــتاب وســـنة غـــراء
لكـــنها تـــركت مـــشاعل ديـــنها
وجـــرت وراء مطامـــع وخـــواء

قـــال ﷺ: { تـــركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وسنتى } { صدق رسول الله } .

أمـــارة نفـــس الفتـــى بالـــسوء
فاحـــرص أن تعـــودها الـــصلاح
حتـــى تظـــل علـــى اســـتقامتها
بعـــيداً عـــن شـــرور أو جمـــاح
لكـــن إذا تـــركت كمـــا تهـــوى
هـــوت نحـــو الـــبطاح
ويعـــيش صـــاحبها مذلـــة غـــيها
بالقـــاع مكـــسور الجـــناح

قال ﷺ قال: { أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك } { صدق رسول الله } .

كــن مــسلماً فــى كــل حــال
لــيس فــى وقــت الــصلاة
فالــدين يــرفض أن يجــنب
مــن تفاصــيل الحــياة
أو أن يحــال إلــى طقــوس
خالــيات مــن شــذاه
أو أن نجــزئه كمــا نهــوى
كأثــواب العــراة
فالــدين دســتور الحــياة
لكــى نــسير علــى هــداه

عــن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:إن رسول الله ﷺ قال:{ المسلم أخو المسلم لا يظلمــه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كــربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة } { البخارى } .

مــن لــيس يــأمن جــاره إيــذاءه
لا يؤمــنن بآيــة القــرآن
للجــار حــق كــيف يغمــط حقــه
مــن عــاش يبغــى طاعــة الــرحمن
قــد ظــل يوصــى بالجــوار أميــنه
طــه النبــى موقــر الجيــران
وكأنــه ابــن لــه مــن صــلبه
وكأنــه مــن خيــرة الإخــوان

قال ﷺ: { والله لا يؤمن (ثلاثة) من لا يؤمن جاره بوائقه } .

الكبـــر يعـــصف بالـــنفوس يفـــتها
وكأنـــــه مـــن طيـــنه البـــركان
ويحـــيلها نحـــو الـــضياع ودربـــه
فـــتكون مـــرتع ذلـــه وهـــوان
فالكبـــــر لله العظـــيم جلالـــــه
مـــن ذا يـــنازعه عظـــيم الـــشان
فـــادع التكبـــر فالتواضـــع عـــزة
يـــسمو بـــصاحبه إلـــى الإحـــسان

قـــال رسول الله ﷺ: { لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر } { صدق رسول الله } .

يـارب كـم لـى رجـاء لـست أعلـنه
وأنـــت تعلـــم إســـرارى وإعلانـــى
حقق رجائى وكن عونى وكن سندى
وامـــلأ فـــؤادى بـــنور يمـــح أحزانـــى
يـارب إن لـم تعـف عـن ذنبـى وعـن
خطـــــــــــــــــــــــــــــى
مـــن يملـــك العفـــو غيـــرك مـــن
لأشـــــــــــــــــــــجانى؟!!
مـن اسـتجير بـه فيقـبل كـل مـا فعلـت
نفـس أقاومهـا فتعـصينى وتنهانـى

ورد أن جبريل عليه السلام سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد ألقاه قومه فى النار: ألك إلى ربك حاجة ..؟ فقال: علمه بحالى يغنى عن سؤالى .

قالـــوا الـــسياسة تـــزويق الكـــلام
إجـــادة اللـــف العقـــيم بغيـــر غايـــة
قلـــــت الوضـــــوح سياســـــتى
والـــصدق أقـــرب فـــى الوصـــول
إلـــــــــى الهدايـــــــــة
والغايـــــة الأســـــمى تـــــنال
بمـــــــنطق أســـــــمى
ولـــيس الإلـــتواء أو الغـــواية

قـــال ﷺ: { إن الـــصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً } { أخرجه البخارى ومسلم } .

لـيس الـسكوت بكـل حـال مـن ذهـب
أو إنـــه يحمـــى اللـسان مـن العطـب
فالـصمت عـن حـق العـباد جـريمة
تغـرى الظلـوم بـأن يـزيد مـن الـشعب
وتـشيع فـى قلـب الـضعيف الـيأس
مـــن حـــق يعـــود إذا غـــصب
فيـــصير حكـــم الغـــاب قاعـــدة
لا تعتـــرف إلا بقـــوة مـــن غلـــب

قال رسول الله ﷺ: { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت } { أخرجه البخارى ومسلم } .

كـل يـساوى بعـضه
إلا تقـى يبتغـى فـضل الإلـه
فـالأب آدم أصـنه مـن طيـنة
شـهد التـنقل فـى الملـوك مع الـرعاة
فلـم التكبـر والتجبـر والتعالـى
يـا حـصاه
فالعنـصرية شـر داء
أتلفـت أممـاً وجـاه

قال رسول الله ﷺ: { الناس سواسية كأسنان المشط، لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى } .

العفـو لا يقـوى علـيه سـوى الـذى
يـسمو بـه قلـب عـن الأضـغان
فيـرى ذنـوب الـناس أهـون عـنده
مـن أن يـبوء بذلـه وهـوان
ويـرى رضـى الـرحمن غايـة حلمـه
فـيجود بعـد العفـو بالإحـسان
فـيعود قلـب عـدوه حـباً لـه
يفديـه مـن شـر ومـن خـذلان

قال رسول الله ﷺ: { أمرنى ربى بأشياء وأنا آمركم بهن: أن أعفوا عمن ضمنى، وأن أعطى من حرمنى، وأن أصل من قطعنى } .

هــو شــعبة فــى الــدين إن ضــاعت
مـــن الدنـــيا يـــضيع بهـــاء محـــيانا
تمـــــسى وجـــــوه القـــــوم جامـــــدة
بـــلا حـــس ويغـــدوا القلـــب صـــوانا
لا تكتـــرث بالمنكـــرات وبالخـــنا
وتمـــر بالعـــورات الغلـــظ عمـــيانا
إن الحـــيا روح الحـــياة وعـــزها
لـــو غـــاب عـــنا نعـــيش الـــشر ألـــوانا

قـال رسول الله ﷺ: { الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان } .

قالـــوا حلـــيم والحلـــيم بطـــبعه
لا يكتـــرث بـــتطاول الجهـــلاء
قلـــت الحلـــيم يقـــيل عثـــرة عاثـــر
ويمـــد حـــبل العفـــو مـــن علـــياء
فـــإذا تمـــادى الجاهلـــون بجهلهـــم
واســـتمرءوا التأجـــيل بالإغـــضاء
غـــضب الحلـــيم ويـــا لهـــا مـــن غـــضبة
تهتـــز فـــيها الأرض كالـــرقطاء

قال ﷺ: { إن الله يُملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته } { صدق رسول الله } .

حـــــب الرســــول وآلــــــه
ديـــــن الــــــتقاة العارفــــين
فهــــــو المـــــنار بليلــــــنا
وهـــــو الأدلـــــة والـــــسفين
وهــــــو الهدايـــــــة إن أردت
هدايـــــة وهــــــو المعــــــين
حـــــب الرســـــول عـــــبادة
فـــــيها آمـــــارات اليقـــــين

قـــال رســـول الله ﷺ: { أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني حُب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي } { رواه الترمذي } .

قصة الرباعيات

الرباعيات الشعرية التى تتناول كل واحدة منها فكرة سريعة، ليست جديدة بل إن الرباعية الواحدة قد تقوم مقام قصيدة كاملة تستقصى مبدأ ما، أو دعوة معينة .

كـــذلك تـــرجمة فكر معين ومحدد فى موضوع واحد شعراً ليس جديداً فقديماً قام الفقهاء بكتابة أحكامهم الفقهية شعراً، وكذلك فعل النحاة وعلماء الكلام {التوحيد}، بل فعلها علماء الطب وغيرها من العلوم المادية، وكما رأينا فقد حول بعض الشعراء حكايات كلـــيلة ودمنة الفلسفية إلى شعر . إلا أن أحداً على حد علمى ـــ لم يتناول معانى أحاديث رســـول الله ﷺ وحـــولها إلى شـــعر، بل إن معظم ما كتب من شعر دينى كان عبارة عن ابـــتهالات وأدعية لله ومدائح نبوية وتوس بها، لذلك كان تفكيرنا فى تقديم هذه الرباعيات التى تتناول كل واحدة قيمة خلقية تحفظ للإنسان دينه ودنياه معاً .

بـــدأ التفكير فى كتابتها استجابة لاقتراح رئيس تحرير الجمهورية السابق الأستاذ سمـــير رجب حين طلب أن تكون فى صفحة الدين بالجريدة فى شهر رمضان مقطوعة شـــعرية، فاســـتعنا بالـــشعراء من خارج الدار ليقوموا بالمهمة وكان الأمر صعباً على بعـــضهم، وهو ما دعانى بعد ذلك أن أعد الرباعيات لتقديمها ـ حين يطلب نفس طلبه الـــسنوى، وهذا ما حدث فأعجب بها وأمر أن تكتب بشكل يومى طوال رمضان عام ٢٠٠٣، وقد تم ذلك بالفعل .

فى العـــام الـــثانى ٢٠٠٤ دعانى زميلى الأستاذ محمود فرج رئيس القسم الدينى بجريدة الوفد إلى تقديم التجربة بالصفحة الدينية التى يشرف عليها فى رمضان على مدى

٣٠ حلقـــة. وقـــد تم ذلك بالفعل وهو أمر لاقى استحساناً، ممن قابلوني من القراء أو راسلوني بالبريد أو هاتفوني بالهاتف. وطالبوني بأهمية إثبات هذه الرباعيات في كتاب تحت نفس العنوان التي كانت تنشر به في الجمهورية ولدنا وهو: { تحيات }. فتقرر أن يصحب الرباعية حديث نبوي يحمل معانيها .

فريد إبراهيم

القاهرة يونية ٢٠٠٧م

الفهـــــرس